الاعتبار

بأقوال الماضين

عند الموت والاحتضار

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م

الاعتبـار

بأقوال الماضين

عند الموت والاحتضار

تأليف
محمد شومان بن أحمد الرملي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله؛ وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣).

أما بعد؛ فهذا كتاب ذكرت فيه ما وقع لي من كلام الأنبياء عند الموت والاحتضار وكلام الصحابة رضي الله عنهم والتابعين ومن بعدهم، جمعته من كتب ومصنفات كثيرة بعد بحث طويل وجهد كبير، أسأل الله سبحانه أن ينفع به قارئه وكاتبه ومن أعان على طباعته ونشره.

هذا، وفائدة هذا الكتاب عظيمة لا يكاد يستوعبها إلا من وفقه الله

---

(١) آل عمران: ١٠٢.
(٢) النساء: ١.
(٣) الأحزاب: ٧٠ و٧١.

تعالى لمطالعته والنظر فيه، فإنه سيجد أنه قد حوى من أسباب إحداث الرهبة، بل والرغبة؛ ما لا يوصف بلسان، ولا يعبر عنه ببنان.

وذلك لما فيه من وصايا الأنبياء والمرسلين عند حضور الموت، ونصائح العقلاء، ومواعظ الأتقياء، وحكايات الصالحين، وأقوال العارفين، ومواعظ المؤمنين، وما فيه من ذكر ندم العاصين، وحزن المقصرين، واستغفار التائبين، وأسى المجتهدين، وبكاء الخاشعين، وقلق الخائفين، واستبشار الراضين، واشتياق المحبين، وغير ذلك مما سيراه القارىء وتقر به عينه ـ إن شاء الله تعالى ـ.

فالكتاب ـ بإذن الله ـ داع إلى التوبة إلى الله عز وجل قبل فوات الأوان، ونزول الحمام، وحاث على الادّكار، قبل ساعة الاحتضار، ومرغب في الزهد في اللذات الدنيوية الفانية، والعمل للذات الأخروية الباقية.

ولو أراد كاتب أو خطيب أو أي واعظ أن يتكلم في المبادرة بالخيرات، والمسابقة بالصالحات، أو أراد أن يحث على التوبة والاستغفار، والتجهز لساعة الموت والاحتضار، فإنه ـ ولا بد ـ سيجد نفسه مضطراً إلى ذكر بعض كلام من مضى من المحتضرين، والاستشهاد بأحوالهم، مما يحوجه إلى مثل هذا الكتاب.

وقد افتتحته بذكر قول نبينا ﷺ، وما وصى به أصحابه رضي الله عنهم عند موته.

ثم أتبعت ذلك بأقوال الخلفاء الراشدين: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، رضي الله عنهم.

ثم باقي من وجدت قوله من الصحابة، ثم بعد ذلك التابعين ومن بعدهم، من الخلفاء والأمراء والقراء والزهاد والفقهاء والمحدثين والعلماء

والسلاطين والوزراء والنحاة والشعراء وغيرهم، وذلك إلى نحو سنة سبعمئة، وقد أذكر أقوال بعض وفيات مَن بعد (سنة سبعمئة) لكن ليست كثيرة، ومن لم ينتفع بأقوال أهل القرون السبعة الأولى فلن ينتفع بأقوال أهل السبعة الثانية.

كل ذلك بالترتيب الزمني حسب تاريخ الوفاة، وقد أخرج عن هذا الترتيب أحياناً لضرورة أو فائدة، كأن أذكر الخلفاء الأربعة متتابعين ـ كما تقدم ـ، أو أذكر مثلاً قول سعيد بن جبير ثم أتبعه بقول قاتله الحجاج، ونحو ذلك.

هذا، وقد عزوت كل قول إلى أحد أهم مصادره، وقد أزيد على مصدر لضرورة أو فائدة، وإنما قصدت عدم تكثير الحواشي بلا فائدة؛ لأن القول قد يكون أحياناً في أكثر من عشرة مصادر.

وأيضاً، ذكرت في هذا الكتاب أقوال المحتضرين من جميع أصناف الناس، حتى بعض الكفار وأهل الضلال، وأقوال المعاندين منهم، أو مَن أحدث عند الموت توبة ورجوعاً عما كان عليه من الاعتقاد الفاسد، أو الرأي الكاسد.

وذكرت لكل واحد منهم ترجمة مختصرة قبل ذكر قوله، فإنك إذا عرفت من هو القائل كان قوله أبلغ وأشد تأثيراً، وهذا ظاهر لا يخفى.

وقد أذكر أقوال بعض المجهولين في أسمائهم أو تاريخ وفياتهم، ولا يخلو ذلك من فائدة وعبرة إن شاء الله، وهؤلاء ـ أعني المجهولين ـ جعلتهم في ملحق في آخر الكتاب، وقد أقدم ذكر بعض المجاهيل لتعلق خبره بعَلَم معروف أو لفائدة أخرى ظاهرة.

هذا، وأنبه إلى أنني لم أقصد الاستيعاب، بل ولا يمكنني هذا أبداً، وإن كنت قد دونت عندي من أقوال المحتضرين ما لو وضعته كله في هذا

الكتاب لتضاعف حجمه.

سائلاً الله تعالى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه، وأن يختم لي ولإخواني المؤمنين بالحسنى، وأن يجعل آخر كلامنا من الدنيا: لا إله إلا الله، موقنين بها، محبين لها، آمين.

وكتب
محمد شومان
١٤٢١هـ

*****

تمهيد

في بيان ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان في حياته ليختم له به عند مماته ـ إن شاء الله ـ من الإقرار لله بالوحدانية والاستسلام له بالعبودية وهو ما اصطفاه الله لعباده ووفق له صفوته وأحبابه وهو دين نبينا محمد ﷺ وملة أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(١).

قال ابن كثير: يقول تبارك وتعالى رداً على الكفار فيما ابتدعوه وأحدثوه من الشرك بالله المخالف لملة إبراهيم الخليل إمام الحنفاء، فإنه جرد توحيد ربه تبارك وتعالى، فلم يدع معه غيره، ولا أشرك به طرفة عين، وتبرأ من كل معبود سواه، وخالف في ذلك سائر قومه، حتى تبرأ من أبيه فقال: ﴿ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٢). وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾(٣). وقال

(١) البقرة: ١٣٠ و١٣١.
(٢) الأنعام: ٧٨ و٧٩.
(٣) الزخرف: ٢٦ و٢٧.

تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[2]. ولهـذا وأمثاله قال تعالى: ﴿**ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه**﴾؛ أي: ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره؛ بتركه الحق إلى الضلال، حيث خالف طريق من اصطفى في الدنيا للهداية والرشاد من حداثة سنه إلى أن اتخذه الله خليلاً، وهو في الآخرة من الصالحين والسعداء، فمن ترك طريقه هذا ومسلكه وملته، واتبع طرق الضلالة والغي، فأي سفه أعظم من هـذا؟! أم أي ظلـم أكبر من هذا كله؟! قال تعـالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[3].

قال أبو العالية وقتادة: نزلت هذه الآية في اليهود، أحدثوا طريقاً ليست من عند الله، وخالفوا ملة إبراهيم فيما أحدثوه، ويشهد لصحة هذا القول قول الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿**إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين**﴾؛ أي: أمره الله تعالى بالإخلاص والاستسلام والانقياد، فأجاب إلى ذلك شرعاً وقدراً.

---

(١) التوبة: ١١٤.
(٢) النحل: ١٢٠ ـ ١٢٢.
(٣) لقمان: ١٣.
(٤) آل عمران: ٦٧ و٦٨.

قال ابن جرير: وهذا خبر من الله تعالى ذِكْرُه عن أن من خالف إبراهيم فيما سنّ لمن بعده فهو لله مخالف، وإعلامٌ منه خلقَه أن من خالف ما جاء به محمد ﷺ فهو لإبراهيم مخالف، وذلك أن الله تعالى ذكْرُه أخبر أنه اصطفاه لخُلَّته، وجعله للناس إماماً، وأخبر أن دينه كان الحنيفية المسلمة، ففي ذلك أوضح البيان من الله تعالى ذِكْرُه عن أن من خالفه فهو لله عدوّ، لمخالفته الإمام الذي نصبه الله لعباده. اهـ.

فصل
في توصية إبراهيم ويعقوب عليهما الصلاة والسلام بنيهما بالدين والموت على الإسلام

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

قال ابن جرير: يعني تعالى ذِكْرُه بقوله: ﴿**ووصى بها**﴾: ووصى بهذه الكلمة، عنى بالكلمة قوله: ﴿**أسلمت لرب العالمين**﴾، وهي الإسلام الذي أمر به نبيه ﷺ، وهو إخلاص العبادة والتوحيد لله، وخضوع القلب والجوارح له. ويعني قوله: ﴿**ووصى بها إبراهيم بنيه**﴾: عَهِدَ إليهم بذلك وأمرهم به. وأما قوله: ﴿**ويعقوب**﴾؛ فإنه يعني: ووصى بذلك أيضاً يعقوب بنيه.

قال ابن جرير: يعني تعالى ذِكْرُه بقوله: ﴿**إن الله اصطفى لكم الدين**﴾: إن الله اختار لكم هذا الدين الذي عهد إليكم فيه واجتباه لكم، وإنما أدخل الألف واللام في «الدين»؛ لأن الذين خوطبوا من ولدهما

(١) البقرة: ١٣٢.

وبنيهما بذلك كانوا قد عرفوا بوصيتهما إياهم به وعهدهما إليهم فيه، ثم قالا لهم بعد أن عرَّفاهموه: إن الله اصطفى لكم هذا الدين الذي قد عهد إليكم فيه، فاتقوا الله أن تموتوا إلا وأنتم عليه.

(فائدة): قال ابن جرير: إن قال لنا قائل: أوَ إلى بني آدم الموتُ والحياةُ، فيُنهى أحدهم أن يموت إلا على حالة دون حالة؟

قيل له: إن معنى ذلك على غير الوجه الذي ظننت، وإنما معنى ﴿**فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون**﴾؛ أي: فلا تفارقوا هذا الدين ـ وهو الإسلام ـ أيام حياتكم، وذلك أن أحداً لا يدري متى تأتيه منيته، فلذلك قالا لهم: ﴿**فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون**﴾، لأنكم لا تدرون متى تأتيكم مناياكم من ليل أو نهار، فلا تفارقوا الإسلام فتأتيكم مناياكم وأنتم على غير الدين الذي اصطفاه لكم ربكم، فتموتوا وربكم ساخط عليكم فتهلكوا.

فصل[1]

في ذكر وصية إسرائيل عليه الصلاة والسلام لبنيه عند الموت

قال تعالى: ﴿**أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ**﴾[2].

قال ابن جرير: وتأويل الكلام: أكنتم يا معشر اليهود والنصارى المكذبين بمحمد ﷺ، الجاحدين نبوته؛ حضور يعقوب وشهوده إذ حضره الموت؛ أي: إنكم لم تحضروا ذلك، فلا تدّعوا على أنبيائي ورسلي الأباطيل، وتنحلوهم اليهودية والنصرانية، فإني ابتعثت خليلي إبراهيم

---

(١) وانظر: وصية نوح ﷺ في «استدراك» (صفحة ٤٠٠).
(٢) البقرة: ١٣٣.

ووِلده إسحاق وإسماعيل وذريتهم بالحنيفية المسلمة، وبذٰلك وصوا بنيهم، وبه عهدوا إلى أولادهم من بعدهم، فلو حضرتموهم فسمعتم منهم علمتم أنهم على غير ما نحلتموهم من الأديان والملل من بعدهم.

وهذه آيات نزلت تكذيباً من الله تعالى لليهود والنصارى في دعواهم في إبراهيم وولده يعقوب أنهم كانوا على ملتهم، فقال لهم في هذه الآية: م **كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت**﴾؛ فتعلموا ما قال لولده وقال له ولده؟! ثم أعلمهم ما قال لهم وما قالوا له.

وقوله تعالى: ﴿**إذ قال لبنيه**﴾؛ قال ابن جرير: إذ قال يعقوب لبنيه. و ﴿**إذ**﴾ هذه مكررة إبدالاً من ﴿**إذ**﴾ الأولى، بمعنى: أم كنتم شهداء يعقوب إذ قال يعقوب لبنيه حين حضور موته.

ويعني بقوله: ﴿**ما تعبدون من بعدي**﴾؛ أيّ شيء تعبدون ﴿**من بعدي**﴾؟ أي: من بعد وفاتي. ﴿**قالوا نعبد إلهك**﴾؛ يعشيشيني به: قال بنوه له: نعبد معبودك الذي تعبده، ومعبود آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، ﴿**إلهاً واحداً**﴾؛ أي: نُخلص له العبادة، ونوحد له الربوبية، فلا نشرك به شيئاً، ولا نتخذ دونه رباً.

ويعني بقوله: ﴿**ونحن له مسلمون**﴾؛ ونحن له خاضعون بالعبودية والطاعة. ويحتمل قوله: ﴿**ونحن له مسلمون**﴾ أن تكون بمعنى الحال، كأنهم قالوا: نعبد إلهك مسلمين له بطاعتنا وعبادتنا إياه. ويحتمل أن يكون خبراً مستأنفاً، فيكون بمعنى: نعبد إلهك بعدك، ونحن له الآن وفي كل حال مسلمون. وأحسن هذين الوجهين في تأويل ذلك أن يكون بمعنى الحال، وأن يكون بمعنى: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق مسلمين لعبادته.

***

فصل

في سؤال يوسف عليه الصلاة والسلام ربَّه أن يتوفاه على الإسلام وأن يلحقه بالصالحين

قال الله تعالى على لسان يوسف: ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾(١).

قال ابن كثير: هذا دعاء من يوسف الصديق، دعا ربه عز وجل لمّا تمت نعمة الله عليه باجتماعه بأبويه وإخوته، وما من الله به عليه من النبوة والملك، سأل ربه عز وجل كما أتم نعمته عليه في الدنيا أن يستمر بها في الآخرة وأن يتوفاه مسلماً حين يتوفاه، قاله الضحاك. وأن يلحقه بالصالحين؛ وهم إخوانه من النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وهذا الدعاء يحتمل أن يوسف عليه السلام قاله عند الاحتضار، كما ثبت في «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها؛ أن رسول الله ﷺ جعل يرفع أصبعه عند الموت ويقول: «اللَّهُمَّ في الرَّفِيقِ الأَعْلَى» ثلاثاً. ويحتمل أنه سأل الوفاة على الإسلام واللحاق بالصالحين إذا جاء أجله وانقضى عمره. اهـ.

قلت: ويحتمل أنه لما آتاه الله عز وجل الملك وأتم عليه النعمة وكَمَّل له أمره رأى أن هذا علامة قرب أجله، فدعا بهذا الدعاء، كما أن نبينا ﷺ لما كمل الله له الدين وأعزه وأتم عليه نعمته ونصره، وأنزل عليه: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۞ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۞

---

(١) يوسف: ١٠١.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، علم أن هذا علامة قرب أجله، وليست دعوة يوسف عليه السلام من تمني الموت في شيء، والله أعلم بمراده.

(فائدة): قال ابن القيم[1]: قوله تعالى عن يوسف نبيه إنه قال: ﴿**أنت وَلِيِّي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين**﴾، جمعت هذه الدعوة الإقرار بالتوحيد، والاستسلام للرب، وإظهار الافتقار إليه، والبراءة من موالاة غيره سبحانه، وكون الوفاة على الإسلام أَجَلَّ غايات العبد، وأن ذلك بيد الله لا بيد العبد، والاعتراف بالمعاد، وطلب مرافقة السعداء.

فصل

في النهي عن تمني الموت والحكمة من ذلك وذكر ما ينبغي أن يقوله من كان لا بد متمنياً الموت

عن أم الفضل رضي الله عنها؛ أن رسول الله ﷺ دخل عليهم وعباس عم رسول الله ﷺ يشتكي، فتمنى عباس الموت، فقال له رسول الله ﷺ:

«يَا عَمُّ لاَ تَتَمَنَّ المَوْتَ، فَإِنَّكَ إِنْ كُنْتَ مُحْسِناً فَإِنْ تُؤَخَّرْ تَزِدْ إِحْسَاناً إِلَى إِحْسَانِكَ خَيْراً لَكَ، وَإِنْ كُنْتَ مُسِيئاً فَإِنْ تُؤَخَّرْ فَتَسْتَعْتِبْ مِنْ إِسَاءَتِكَ خَيْرٌ لَكَ، فَلاَ تَتَمَنَّ المَوْتَ»[2].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ المَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ مُتَمَنِّياً فَلْيَقُلِ:

---

(١) «الفوائد» (ص ٢٥٩).

(٢) أخرجه أحمد (٦ / ٣٣٩)، والحاكم (١ / ٣٣٩)، وغيرهما، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، قال شيخنا الألباني رحمة الله عليه: وإنما هو على شرط البخاري فقط.

اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْراً لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْراً لِي»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال:

«لاَ يَتَمَنَّى[٢] أَحَدُكُمُ المَوْتَ، وَلاَ يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لاَ يَزِيدُ المُؤْمِنَ عُمُرُهُ إِلاَّ خَيْراً»[٣].

فصل

في قصة موسى مع ملك الموت

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ:

«جَاءَ مَلَكُ المَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَقَالَ لَهُ: أَجِبْ رَبَّكَ. قال: فَلَطَمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ عَيْنَ مَلَكِ المَوْتِ فَفَقَأَهَا. قال: فَرَجَعَ المَلَكُ إِلَى اللهِ تَعَالَى فَقَالَ: إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَكَ لاَ يُرِيدُ المَوْتَ، وَقَدْ فَقَأَ عَيْنِي. قال: فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى عَبْدِي فَقُلِ: الحَيَاةَ تُرِيدُ؟ فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الحَيَاةَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَمَا تَوَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعْرَةٍ فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً. قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ تَمُوتُ. قَالَ: فَالآنَ مِنْ قَرِيبٍ، رَبِّ أَمِتْنِي مِنَ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ». قال رسول الله ﷺ: «وَاللهِ لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (١٠ / ١٢٧ ـ فتح) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٦٨٠)، وغيرهما.

(٢) كذا في «صحيح مسلم»، وفي «مختصره» للمنذري: «لاَ يَتَمَنَّ».

(٣) أخرجه البخاري (١٠ / ١٢٧ ـ فتح)، ولعله في مواضع أخرى من «صحيحه»، ومسلم (٢٦٨٢) بهذا اللفظ، ولفظ البخاري: «... وَلاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ، إِمَّا مُحْسِناً فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْراً، وَإِمَّا مُسِيئاً فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ».

(٤) أخرجه البخاري (٣ / ٢٠٦ ـ ٢٠٨ و٦ / ٤٤٠ ـ ٤٤١ ـ فتح)، ولعله في مواضع أخرى من «صحيحه»، ومسلم (٢٣٧٢)، وغيرهما.

فصل

في الأمر بتلقين المحتضر «لا إله إلا الله»

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[1].

قال شيخنا رحمه الله[2]: وليس التلقين ذكر الشهادة بحضرة الميت وتسميعها إياه، بل هو أمره بأن يقولها، خلافاً لما يظن البعض، والدليل حديث أنس رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من الأنصار فقال:

«يَا خالِ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ». فقال: أخال أم عم؟ فقال: «بَلْ خَالٌ». فقال: فخير لي أن أقول: لا إله إلا الله؟ فقال النبي ﷺ: «نعم».

أخرجه الإمام أحمد (٣ / ١٥٢، ١٥٤، ٢٦٨) بإسناد صحيح على شرط مسلم. اهـ.

فصل

في عرض كلمة «لا إله إلا الله» على المشرك رجاء أن يسلم

عن سعيد بن المسيب، عن أبيه أنه أخبره أنه لما حضرت أبا طالب الوفاةُ جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ لأبي طالب:

«يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ».

فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة

---

(١) أخرجه مسلم (٩١٧) وغيره.

(٢) «أحكام الجنائز» (مسألة ١٤).

عبد المطلب؟! فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب. وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. الحديث(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعمه:

«قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ».

قال: لولا أن تُعَيِّرَنِي قريش؛ يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع، لأقررت بها عينك.

فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾(٢) (٣).

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ، فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه فقال له:

«أَسْلِمْ».

فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ. فأسلم. فخرج النبي ﷺ وهو يقول:

«الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»(٤).

فصل

في أن من كان آخر كلامه «لا إله إلا الله» دخل الجنة

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٢٢٢ ـ فتح) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٤)، وغيرهما.

(٢) القصص: ٥٦.

(٣) أخرجه مسلم (رقم ٢٥) وغيرُه.

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ٢١٩ و١٠/ ١١٩ ـ فتح) وغيرُه.

«مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ»[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، [مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عِنْدَ المَوْتِ دَخَلَ الجَنَّةَ يَوْماً مِنَ الدَّهْرِ، وَإِنْ أَصَابَهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُ]».

أخرجه مسلم[2] الجملة الأولى فقط، وابن حبان[3] مع الزيادة.

قال شيخنا في «أحكام الجنائز»[4]: «ولها شاهد من حديث معاذ بن جبل، وسنده حسن، كما بينته في «إرواء الغليل» (٦٧٩)».

قلت: انظر حديث معاذ أعلاه، وأقول: وهو لا يصلح أن يكون شاهداً إلا لقوله ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله عند الموت دخل الجنة»، فأين شاهد: «وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه»؟! والله أعلم.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى قَلْبِ مُوقِنٍ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهَا»[5].

وعن يحيى بن طلحة، عن أبيه قال: رأى عمرُ طلحةَ بن عبيد الله ثقيلاً، فقال: ما لك يا أبا فلان؟ لعلك ساءتك إمرة ابن عمك يا أبا فلان؟ قال: لا، إلا أني سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً ما منعني أن أسأله عنه إلا القدرة عليه حتى مات، سمعته يقول:

«إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا عَبْدٌ عِنْدَ مَوْتِهِ إِلَّا أَشْرَقَ لَهَا لَوْنُهُ، وَنَفَّسَ

---

(١) أخرجه أبو داود (٣١١٦) وغيره، وحسنه شيخنا في «الإرواء» (رقم ٦٨٧).
(٢) (رقم ٩١٦).
(٣) (٧١٩ ـ موارد).
(٤) (مسألة ١٣).
(٥) أخرجه ابن ماجه (٣٧٩٦) وغيره، وهو في «الصحيحة» (رقم ٢٢٧٨).

اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَتَهُ».

قال: فقال عمر: إني لأعلم ما هي. قال: وما هي؟ قال: تعلم كلمة أعظم من كلمة أمر بها عمه عند الموت: لا إله إلا الله؟ قال طلحة: صدقت، هي والله هي[1].

(فائدة جليلة): قال ابن القيم[2]: لشهادة «لا إله إلا الله» عند الموت تأثير عظيم في تكفير السيئات وإحباطها، لأنها شهادة من عبد موقن بها عارف بمضمونها، قد ماتت منه الشهوات، ولانت نفسه المتمردة، وانقادت بعد إبائها واستعصائها، وأقبلت بعد إعراضها، وذلت بعد عزها، وخرج منها حرصها على الدنيا وفضولها، واستخْذَتْ بين يدي ربها وفاطرها ومولاها الحق أذل ما كانت له وأرجى ما كانت لعفوه ومغفرته ورحمته، وتجرد منها التوحيد بانقطاع أسباب الشرك وتَحَقُّق بطلانه، فزالت منها تلك المنازعات التي كانت مشغولة بها، واجتمع همها على من أيقنت بالقدوم عليه والمصير إليه، فوجّه العبد وجهه بكليته إليه، وأقبل بقلبه وروحه وهمه عليه، فاستسلم وحده ظاهراً وباطناً، واستوى سره وعلانيته، فقال: لا إله إلا الله، مخلصاً من قلبه، وقد تخلص قلبه من التعلق بغيره والالتفات إلى ما سواه، قد خرجت الدنيا كلها من قلبه وشارف القدوم على ربه، وخمدت نيران شهوته، وامتلأ قلبه من الآخرة فصارت نصب عينيه، وصارت الدنيا وراء ظهره، فكانت تلك الشهادة الخالصة خاتمة عمله، فطهرته من ذنوبه، وأدخلته على ربه، لأنه لقي ربه بشهادة صادقة خالصة وافق ظاهرها باطنها وسرها علانيتها، فلو حصلت له

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٣٨٤ ـ شاكر) وغيره، وصحح إسناده شيخنا في «الأحكام» (مسألة ٢٥).

(٢) «الفوائد» (ص ٧٣ ـ ٧٤).

الشهادة على هذا الوجه في أيام الصحة لاستوحش من الدنيا وأهلها، وفرّ إلى الله من الناس، وأنس به دون ما سواه، لكنه شهد بها بقلب مشحون بالشهوات وحب الحياة وأسبابها، ونفس مملوءة بطلب الحظوظ والالتفات إلى غير الله، فلو تجردتْ كتجردها عند الموت لكان لها نبأ آخر وعيش آخر سوى عيشها البهيمي، والله المستعان.

فصل
في الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت

عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول:

«لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»(١).

وعنه رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

«يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى ما مَاتَ عَلَيْهِ»(٢).

وعن محمد بن مطرف قال: دخلنا على أبي حازم الأعرج لما حضره الموت فقلنا: يا أبا حازم، كيف تجدك؟ قال: أجدني بخير، أجدني راجياً لله عز وجل حسن الظن به، إنه والله لا يستوي من غدا وراح يعمر عقد الآخرة لنفسه فيقدمها أمامه قبل أن ينزل به الموت حتى يقدم عليها فيقوم لها وتقوم له، ومن غدا وراح في عقد الدنيا يعمرها لغيره ويرجع إلى الآخرة لا حظ له فيها ولا نصيب(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٧٧) وغيره.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٨٨) وغيره.

(٣) «حسن الظن بالله» لابن أبي الدنيا (رقم ١٣٧).

وعن الوليد بن سليمان بن أبي السائب قال: سمعت حيان أبا النضر يقول: دخلت مع واثلة بن الأسقع على يزيد بن الأسود وهو في سياق الموت، فجلس وأنا معه، فجعل يزيد يأخذ بيد واثلة فيمرها على عينيه وفيه، لبيعته رسول الله ﷺ بها، فقال له واثلة: واحدة أسألك عنها. فأومأ برأسه، فقال: كيف ظنك بربك؟ فقال: حسن. فقال: أبشر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ عَبْدِي بِي ما شَاءَ»(١).

وعن جعفر قال: ثنا ثابت قال: كان شاب به زهو فكانت أمه تعظه: يا بني، إن لك يوماً فاذكر يومك. فلما نزل به أمر الله أكبت عليه أمه فجعلت تقول: قد كنت أحذرك مصرعك هذا يا بني فأقول: إن لك يوماً فاذكر يومك. فقال: يا أمه، إن لي رباً كثير المعروف، وإني لأرجو أن لا يعذبني اليوم بفضل معروفه، وَيْلي إن لم يغفر لي. قال: يقول ثابت رحمه الله: حَسُن ظنه بالله عز وجل في حالته تلك(٢).

وعن إبراهيم النخعي قال: كانوا يستحبون أن يُلَقِّنُوا العبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه عز وجل(٣).

وعن المعتمر (قلت: هو ابن سليمان التيمي) قال: قال أبي حين حضرته الوفاة: يا معتمر، حدثني بالرخص لعلي ألقى الله عز وجل وأنا حسن الظن به(٤).

---

(١) أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (رقم ١٢٣٥)، وفي مواضع أخر، وهو حديث صحيح له طرق كثيرة. وانظر: (صفحة ١٥٨ - ١٥٩).

(٢) «الحلية» (٢ / ٣٢٦).

(٣) «حسن الظن بالله» (رقم ٣٠).

(٤) «حسن الظن بالله» (رقم ٢٩).

وعن يحيى بن اليمان قال: قال سفيان الثوري: ما أحب أن حسابي إلى والِدَيَّ، ربي خير لي من والِدَيَّ[1].

وعن إدريس بن عبد الله المروزي قال: مرض أعرابي فقيل له: إنك تموت! قال: وأين أذهب؟! قالوا: إلى الله عز وجل. قال: فما كراهتي أن أذهب إلى مَنْ لا أرى الخير إلا منه؟![2].

وعن محمد بن أبان، عن حميد قال: كان لي ابن أخت مرهق فمرض، فأرسلت إلي أمه، فأتيتها فإذا هي عند رأسه تبكي، فقال: يا خالي، ما يبكيها؟ قلت: ما تعلم؟! منك. قال: أليس إنما ترحمني؟ قلت: بلى. قال: فإن الله عز وجل أرحم بي منها[3].

قلت: وفي الباب أخبار كثيرة سيأتي بعضها أثناء الكتاب.

فصل
في عظيم فضل اجتماع الخوف والرجاء عند الموت
وذكر ما يدل على أن حسن الظن بالله عند الموت
لا يعني خلو القلب من الخوف من الله تعالى

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال: «كَيْفَ تَجِدُكَ؟». قال: والله يا رسول الله؛ إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي. فقال رسول الله ﷺ:

«لا يَجْتَمِعَانِ في قَلْبِ عَبْدٍ في مِثْلِ هَذا المَوْطِنِ؛ إلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا

(١) «حسن الظن بالله» (رقم ٣٧).
(٢) «حسن الظن بالله» (رقم ٤٠).
(٣) «حسن الظن بالله» (رقم ٣٦).

يَرْجُو، وآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ»[1].

وعن ابن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: من حَسُنَ ظنه بالله عز وجل ثم لا يخاف الله فهو مخدوع[2].

فصل
في رجاء الرحمة لمن غلب خوفه من الله جل وعلا على رجائه

في «الصحيحين» من حديث أبي سعيد رضي الله عنه وغيره، عن النبي ﷺ:

«أَنَّ رَجُلاً كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ اللَّهُ مَالاً[3]، فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ: أَيُّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ. قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْراً قَطُّ، فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ ذَرُّونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ. فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ. فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ».

(تنبيه): اعلم أنه لا يكاد يوفق لحسن الخاتمة والموت على «لا إله إلا الله» إلا من كان في حياته من أهل الإيمان والعمل الصالح، فإن الإنسان كما لا ينام ـ غالباً ـ إلا على ما كان مشغولاً به في يومه، فإنه كذٰلك لا يموت إلا على ما كان عليه في حياته، بل الأمر أعظم من ذٰلك، فإن الإنسان إذا كان طوال عمره في الغفلة والبعد عن الله تعالى، هذا وهو قوي صحيح عاقل، فكيف يكون حاله عندما تخور قواه، ويشرد ذهنه، ويحال بينه وبين قلبه؟!

---

(١) أخرجه الترمذي (٩٨٣) وحسنه، وابن ماجه (٤٢٦١)، وغيرهما، وحسن سنده الألباني في «الصحيحة» برقم (١٠٥١).

(٢) «حسن الظن بالله» (رقم ٢٨).

(٣) أي: أكثر له منه.

قال ابن القيم[1]: فإذا كان العبد في حال حضور ذهنه وقوته وكمال إدراكه قد تمكن منه الشيطان، واستعمله فيما يريده من معاصي الله، وقد أغفل قلبه عن ذكر الله تعالى، وعطل لسانه عن ذكره، وجوارحه عن طاعته، فكيف الظن عند سقوط قواه، واشتغال قلبه ونفسه بما هو فيه من ألم النزع، وجمع الشيطان له كل قوته وهمته، وحشد عليه بجميع ما يقدر عليه لينال منه فرصته، فإن ذلك آخر العمل؟! فأقوى ما يكون عليه شيطانه ذلك الوقت، وأضعف ما يكون هو في تلك الحال، فمن ترى يسلم على ذلك؟ فهناك ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[2].

فكيف يوفق لحسن الخاتمة من أغفل الله قلبه عن ذكره واتبع هواه وكان أمره فرطاً؟! فبعيد مَنْ قلبُه بعيد مِنَ الله تعالى غافل عنه، متعبد لهواه، أسير لشهواته، ولسانه يابس من ذكره، وجوارحه معطلة من طاعته، مشتغلة بمعصيته؛ أن يوفق للخاتمة بالحسنى.

وذكر رحمه الله بعض الحكايات فيمن تعذر عليه النطق بالشهادة، مما يؤكد ما نبهنا إليه، فقال رحمه الله[3]:

قيل لبعضهم: قل: لا إله إلا الله. فقال: آه آه، لا أستطيع أن أقولها.

وقيل لآخر: قل: لا إله إلا الله. فقال: شاه، رُخ، غلبتك. ثم قضى.

وقيل لآخر: قل لا إله إلا الله. فقال:

(١) «الجواب الكافي» (ص ١٠٦).
(٢) إبراهيم: ٢٧.
(٣) «الجواب الكافي» (ص ١٠٥ ـ ١٠٦).

يـا رُبَّ قـائلـةٍ يـومـاً وقـد تَعِبَـتْ كَيْفَ الطريقُ إلى حمَّامِ مِنجابِ

ثم قضى.

وقيل لآخر: قل: لا إله إلا الله. فجعل يهذي بالغناء ويقول: تاتنا تنتنا. حتى قضى.

وقيل لآخر ذلك، فقال: ما ينفعني ما تقول ولم أدع معصية إلا ركبتها؟ ثم قضى ولم يقلها.

وقيل لآخر ذلك، فقال: وما يغني عني وما أعرف أني صليت لله صلاة؟ ولم يقلها.

وقيل لآخر ذلك، فقال: هو كافر بما تقول. وقضى.

وقيل لآخر ذلك، فقال: كلما أردت أن أقولها لساني يمسك عنها.

وأخبرني من حضر بعض الشحاذين عند موته، فجعل يقول: لله فلس، لله فلس، لله. حتى قضى.

وأخبرني بعض التجار عن قرابة له أنه احتُضِر وهو عنده، وجعلوا يلقنونه «لا إله إلا الله»، وهو يقول: هذه قطعة رخيصة، هذا مشتري جيد، هذه كذا. حتى قضى.

ثم قال ابن القيم: وسبحان الله! كم شاهد الناس من هذا عبراً؟! والذي يخفى عليهم من أحوال المحتضرين أعظم وأعظم.

وعن محمد بن عيينة الفزاري قال: سمعت أبا إسحاق الفزاري يقول لعبد الله بن المبارك: يا أبا عبد الرحمن، كان رجلٌ من أصحابنا جمع من العلم أكثر مما جمعتَ وجمعتُ، فاحتُضِرَ، فشهدته، فقال له: قل لا إله إلا الله. فيقول: لا أستطيع أن أقولها.

قال: فسألت عنه، فقيل: كان عاقاً بوالديه. فظننت أن الذي حُرِمَ

كلمة الإخلاص لعقوقه بوالديه[١].

وعن الربيع بن بَرَّة: رأيت بالأهواز رجلاً يقال له وهو في الموت: يا فلان، قل لا إله إلا الله. قال: ده دوازده، ده شازده، ده جهازده.

قال: ورأيت بالشام رجلاً يقال له وهو في الموت: قل لا إله إلا الله. فقال: اشرب واسقه[٢].

وعن عبد العزيز بن أبي رَوّاد قال: حضرت رجلاً في النزع، فجعلت أقول له: قل لا إله إلا الله. فكان يقول. فلما كان في آخر ذلك قلت له: قل لا إله إلا الله. قال: كم تقول[٣]؟ هو كافر بما تقول. وقبض على ذلك.

فسألت امرأته عن أمره فقالت: كان مدمن خمر. فكان عبد العزيز يقول: اتقوا الذنوب، فإنما هي أوقعته[٤].

وقال ابن الجوزي[٥]: وكان لنا رفيق قرأ القرآن والقراءات وسمع الحديث الكثير، ثم وقع في الذنوب وعاش أكثر من سبعين سنة، فلما نزل به الموت ذُكِرَ لي أنه قال: قد ضاقت الدنيا إلا من روحي!

وقال[٦]: ولقد سمعت بعض مَنْ كنت أظن فيه كثرة الخير وهو يقول في ليالي موته: ربي هو ذا يظلمني.

قال[٧]: وهذا كثير[٨].

---

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ٢٤٦).

(٢) المصدر السابق (رقم ٢٤٨).

(٣) وانظر في طريقة التلقين ما سيأتي (صفحة ٢٤٩ - ٢٥٠).

(٤) «كتاب المحتضرين» (رقم ٢٨٦).

(٥) «صيد الخاطر» (ص ٤٨٤).

(٦) «صيد الخاطر» (ص ١٣٧).

(٧) «صيد الخاطر» (ص ٤٨٤).

(٨) ولمزيد الاطلاع على مثل هذه الأخبار انظر ـ إن شئت ـ: «عيون الأخبار» (٢ / ٣١١)، =

قال: فلم أزل منزعجاً مهتماً بتحصيل عُدّة ألقى بها ذلك اليوم. كيف وقد رُوِي أن الشيطان يقول لأعوانه في تلك الساعة: عليكم بهذا فإنْ فاتكم لم تقدروا عليه.

قال[1]: ومن نَزَل به الموت فليعلم أنها ساعة تحتاج إلى معاناة صعبة، لأن صورتها ألم محض، وفراق المحبوبات، ثم ينضم إلى ذلك هول السكرات، والخوف من المآل، ويأتي الشيطان فيسخط العبدَ على ربه، ويقول: انظر في أي شيء ألقاك! وما الذي قضى عليك! وكيف يؤلمك؟! وها أنت تفارق ولدك وأهلك وتُلْقى بين أطباق الثرى. فربما أسخطه على ربه، وكره قضاء الله تعالى عليه، وأنطقه بكلام يتضمن نوع اعتراض، وربما حَسّن إليه الجَوْر في الوصية، وأن يزوي لبعض الورثة، إلى غير ذلك من المِحَن، فتعين حينئذ الحاجة إلى معالجة إبليس ومعالجة النفس.

وقال: أُوصي نفسي ومَنْ يبلغه كلامي بالثبات عند الموت، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فما يَلقى المؤمنُ شدةً تشبهها، وأجْوَدُ للمريض أن يغوص في سكرات الموت فلا يعقل، ونعوذ بالله من الإفاقة مع عدم الثبات.

فصل
في أن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ

= و«المنتظم» (٩ / ٢٧٣)، وسيأتي أثناء الكتاب شيء من ذلك.

(١) «الطب الروحاني» (ص ٤٥).

ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾[1].

قال ابن القيم[2]: و«الجهالة» ههنا: جهالة العمل، وإن كان عالماً بالتحريم. قال قتادة: أجمع أصحاب رسول الله ﷺ على أن كُلّ ما عُصِيَ اللهُ به فهو جهالة، عمداً كان أو لم يكن، وكل مَنْ عصى اللهَ فهو جاهل.

قال: وأما «التوبة من قريب»: فجمهور المفسرين على أنها التوبة قبل المعاينة. قال عكرمة: قبل الموت. وقال الضحاك: قبل معاينة ملك الموت. وقال السدّي والكلبي: أن يتوب في صحته قبل مرض موته.

(فائدة): قال محمد رشيد رضا[3]: اغتر الناس بظواهر هذه الأقوال في تفسير الآية، فصاروا يسوفون في التوبة، ويصرون على المعاصي، فترسخ في قلوبهم، وتأنس بها أنفسهم، وتصير ملكات وعادات يتعذر عليهم أو يتعسر على غير الموفق النادر الإقلاع عنها، حتى يجيئهم الأجل الموعود.

ثم قال: المراد أن الإصرار والتسويف خطر، وإن كانت التوبة تقبل في كل حال اختيار، إذ الغالب أن المرء يموت على ما عاش عليه، فليحذر المغرورون.

وقال[4]: فكلما قرب وقت التوبة من وقت اقتراف الذنب كان الرجاء أقوى، وكلما بعد الوقت بالإصرار وعدم المبالاة والتسويف كان الخوف

---

(١) النساء: ١٧ و١٨.
(٢) «مدارج السالكين» (١ / ٢٨٤).
(٣) ذكره الفقي ـ رحمه الله ـ في تعليقه على «المدارج» (١ / ٢٨٤).
(٤) «مختصر تفسير المنار» (٢ / ٣٤).

من عدم القبول هو الأرجح، لأن الإصرار قد ينتهي قبل حضور الموت بالرَّين والختم وإحاطة الخطيئة بصاحبها. اهـ.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال:

«إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ»[1].

أي: ما لم تبلغ الروح الحلقوم؛ كقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾[2].

قال ابن القيم[3]: أمّا إذا وقع في السياق فقال: ﴿**إني تبت الآن**﴾ لم تقبل توبته، وذلك لأنها توبة اضطرار لا اختيار.

قول «فرعون» عند الموت

قلت: وهذا ما حصل لفرعون لما أدركه الغرق، كما قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ * ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ * فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾[4].

قال ابن سعدي: ﴿**وجاوزنا ببني إسرائيل البحر**﴾؛ وذلك أن الله

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وابن حبان (٢ / ١٢ ـ إحسان)، والحاكم (٤ / ٢٥٧)، وأحمد (٢ / ١٣٢ و١٥٣)، وغيرهم. وقال الحاكم: «صحيح الإسناد». ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (رقم ١٨٩٩).

(٢) الواقعة: ٨٣.

(٣) «المدارج» (١ / ٢٨٥).

(٤) يونس: ٩٠ ـ ٩٢.

أوحى إلى موسى لما وصل البحر أن يضربه بعصاه، فضربه فانفلق اثني عشر طريقاً، وسلكه بنو إسرائيل، وساق فرعون وجنوده خلفه داخلين، فلما استكمل موسى وقومه خارجين من البحر، وفرعون وجنوده داخلين فيه؛ أمر الله البحر فالتطم على فرعون وجنوده فأغرقهم، وبنو إسرائيل ينظرون.

حتى إذا أدرك فرعون الغرق وجزم بهلاكه ﴿**قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل**﴾، وهو الله الإله الحق الذي لا إله إلا هو، ﴿**وأنا من المسلمين**﴾؛ أي: المنقادين لدين الله ولما جاء به موسى.

قال الله تعالى مبيناً أن هذا الإيمان في هذه الحالة غير نافع له: ﴿**آلآن**﴾ تؤمن وتقر برسول الله ﴿**وقد عصيت قبل**﴾؛ أي: بارزت بالمعاصي والكفر والتكذيب، ﴿**وكنت من المفسدين**﴾؛ فلا ينفعك الإيمان كما جرت عادة الله؛ أن الكفار إذا وصلوا إلى هذه الحالة الاضطرارية أنه لا ينفعهم إيمانهم، لأن إيمانهم صار إيماناً مشاهداً كإيمان مَنْ ورد القيامة، والذي ينفع إنما هو الإيمان بالغيب.

﴿**فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية**﴾؛ قال المفسرون: إن بني إسرائيل لما في قلوبهم من الرعب العظيم من فرعون، كأنهم لم يصدقوا بإغراقه وشكوا في ذلك، فأمر الله البحر أن يلقيه على نجوة مرتفعة ببدنه، ليكون لهم عبرة وآية.

﴿**وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون**﴾، فلذلك تمر عليهم وتتكرر فلا ينتفعون بها، لعدم إقبالهم عليها، وأما من له عقل وقلب حاضر فإنه يرى من آيات الله ما هو أكبر دليل على صحة ما أخبرت به الرسل.

* * *

فصل
في علامات حسن الخاتمة

قال شيخنا رحمه الله[1]: إن الشارع الحكيم قد جعل علامات بينات يُستدل بها على حسن الخاتمة، فأيما امرىءٍ مات بإحداها كانت بشارة له، ويا لها من بشارة.

ثم ذكرها رحمه الله مع بيان أدلتها، وها أنا أسوقها مختصرة، فمن شاء الاطلاع عليها مفصلة فليرجع إلى كتاب شيخنا «أحكام الجنائز».

الأولى: نطقه بالشهادة عند الموت.

الثانية: الموت برشح الجبين.

الثالثة: الموت ليلة الجمعة أو نهارها.

الرابعة: الاستشهاد في ساحة القتال.

الخامسة: الموت غازياً في سبيل الله.

السادسة: الموت بالطاعون.

السابعة: الموت بداء البطن.

الثامنة: الموت بالغرق.

التاسعة: الموت بالهدم.

العاشرة: المرأة تموت بسبب ولدها في بطنها.

الحادية عشرة: الموت بالحرق.

الثانية عشرة: الموت بذات الجنب (وهي ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن للأضلاع).

---

(١) «أحكام الجنائز» (مسألة ٢٥).

الثالثة عشرة: الموت بداء السِّلّ.

الرابعة عشرة: الموت في سبيل الدفاع عن المال المراد غصبه.

الخامسة عشرة: الموت في سبيل الدفاع عن الدِّين.

السادسة عشرة: الموت في سبيل الدفاع عن النفس.

السابعة عشرة: الموت مرابطاً في سبيل الله.

الثامنة عشرة: الموت على عمل صالح، لقوله ﷺ:

«مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الجَنَّةَ».

قال شيخنا: أخرجه أحمد[1] عن حذيفة قال:

«أسندت النبي ﷺ إلى صدري فقال...» فذكره.

ثم قال شيخنا: وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح»[2] في ذكر أسباب الشهادة وخصالها: وقد اجتمع لنا من الطرق الجيدة أكثرُ من عشرين خصلة.

* * * * *

(١) «المسند» (٥ / ٣٩١)، قال شيخنا: «وإسناده صحيح».
(٢) (٦ / ٤٣).

الباب الأول

في أقوال النبي ﷺ

رسول الله ﷺ

أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضر بن كِنانة بن خزيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان[(١)].

وهو محمد وأحمد والمُقَفِّي والحاشر ونبي التوبة ونبي الرحمة.

خلق الله الخلق فجعله في خيرهم، ثم جعلهم فرقتين فجعله في خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل فجعله في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعله في خيرهم بيتاً، فهو خير الناس بيتاً ونفساً.

سيد ولد آدم، وأتقاهم لله عز وجل، وأعلمهم به سبحانه وبحدوده، ولا يؤمن أحد حتى يكون ﷺ أحب إليه من نفسه وماله ووالده وولده والناس أجمعين.

دعوة إبراهيم وبشرى عيسى عليهما الصلاة والسلام، وصاحب الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود يوم القيامة، بيده لواء الحمد، فما من نبي يومئذ آدم وما سواه إلا تحت لوائه، وهو أكثرهم تبعاً، لم يُصَدَّق نبي ما صُدِّق ﷺ.

---

(١) قال النووي في «المجموع»: «إلى هنا مجمع عليه، وما بعده إلى آدم مختلف فيه، ولم يثبت فيه شيء».

بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، وقال:

«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ».

وهو أول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مُشَفَّع، وأول من يقرع باب الجنة.

أوتي ﷺ جوامع الكلم ومفاتيحه.

وقد قال الله تعالى له ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

في «الصحيحين»[1] عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس: يوم الخميس! وما يوم الخميس! ثم بكى حتى بلّ دمعه الحصى. فقلت: يا ابن عباس، وما يوم الخميس؟ قال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال:

«ائْتُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَاباً لَا تَضِلُّوا بَعْدِي». فتنازعوا، وما ينبغي عند نبي تنازع. الحديث، وفيه:

«دَعُونِي، فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ، أُوصِيكُمْ بِثَلَاثٍ: أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَجِيزُوا الوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ». قال: وسكت عن الثالثة، أو قالها فأُنسيتها.

قال النووي: قوله ﷺ: (وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم)؛ قال العلماء: هذا أمر منه ﷺ بإجازة الوفود وضيافتهم وإكرامهم، تطييباً لنفوسهم وترغيباً لغيرهم من المؤلفة قلوبهم ونحوهم، وإعانة على سفرهم. قال القاضي عياض: قال العلماء: سواء كان الوفد مسلمين أو كفاراً، لأن الكافر إنما يفد غالباً فيما يتعلق بمصالحنا ومصالحهم.

---

(١) «صحيح البخاري» (٨/ ١٣٢ ـ فتح) وفي مواضع أخر، و «صحيح مسلم» (١٦٣٧).

قوله: (وسكت عن الثالثة أو قالها فأنسيتها)؛ الساكت: ابن عباس، والناسي: سعيد بن جبير، قال المهلب: الثالثة هي تجهيز جيش أسامة رضي الله عنه. قال القاضي عياض: ويحتمل أنها قوله ﷺ: «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ». فقد ذكر مالك في «الموطأ»[1] معناه مع إجلاء اليهود من حديث عمر رضي الله عنه.

وفي «الصحيحين»[2] أيضاً عن عبيد الله بن عبد الله؛ أن عائشة وعبد الله بن عباس قالا: لما نُزِل[3] برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصةً له على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك:

«لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ». يُحَذِّرُ مِثْلَ ما صَنَعوا.

وعن سالم بن عُبَيد قال: أُغمي على رسول الله ﷺ في مرضه، فأفاق فقال: «حَضَرَتِ الصَّلَاةُ؟». قالوا: نعم. فقال: «مُرُوا بِلَالاً فَلْيُؤَذِّنْ، وَمُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاس (أو قال: بِالنَّاسِ)». قال: ثم أُغمي عليه، فأفاق فقال: «حَضَرَتِ الصَّلَاةُ؟». فقالوا: نعم. فقال: «مُرُوا بِلَالاً فَلْيُؤَذِّنْ، وَمُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ». فقالت عائشة: إن أبي رجل أسيف؛ إذا قام ذلك المقام بكى فلا يستطيع، فلو أمرت غيره. قال: ثم أُغمي عليه، فأفاق فقال: «مُرُوا بِلَالاً فَلْيُؤَذِّنْ، وَمُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ (أو: صَوَاحِبَاتُ) يُوسُفَ». قال: فأُمر بلال فأذن، وأُمر أبو بكر فصلى بالناس.

---

(١) انظر: «الموطأ» (كتاب الجامع - باب ما جاء في إجلاء اليهود من المدينة).

(٢) «صحيح البخاري» (١٠ / ٢٧٧ - فتح)، و «صحيح مسلم» (٥٣١).

(٣) (نُزِل) قال النووي: هكذا ضبطناه: (نُزِل) بضم النون وكسر الزاي، وفي أكثر الأصول: (نَزَلَتْ) بفتح الحروف الثلاثة وبتاء التأنيث الساكنة؛ أي: لما حضرت المنية والوفاة. وأما الأول فمعناه: نزل ملك الموت والملائكة الكرام.

ثم إن رسول الله ﷺ وجد خفة فقال: «انْظُرُوا لِي مَنْ أَتَّكِيءُ عَلَيْهِ». فجاء بريرة ورجل آخر فاتكأ عليهما، فلما رآه أبو بكر ذهب لينكص، فأومأ إليه أن يثبت مكانه، حتى قضى أبو بكر صلاته.

ثم إن رسول الله ﷺ قُبِض فقال عمر: والله لا أسمع أحداً يذكر أن رسول الله ﷺ قُبِض إلا ضربته بسيفي هذا. قال: وكان الناس أُمِّيِّين؛ لم يكن فيهم نبي قبله، فأمسك الناس فقالوا: يا سالم، انطلق إلى صاحب رسول الله ﷺ فادعه. فأتيت أبا بكر وهو في المسجد، فأتيته أبكي دَهَشاً، فلما رآني قال: أقُبِض رسول الله ﷺ؟ قلت: إن عمر يقول: لا أسمع أحداً يذكر أن رسول الله ﷺ قبض إلا ضربته بسيفي هذا. فقال لي: انطلق.

فانطلقت معه، فجاء هو والناس قد دخلوا على رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس، أفرجوا لي. فأفرجوا له، فجاء حتى أكب عليه ومسه، فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾.

ثم قالوا: يا صاحب رسول الله ﷺ، أقُبِض رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. فعلموا أن قد صدق، قالوا: يا صاحب رسول الله، أيُصلى على رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. فقالوا: وكيف؟ قال: يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون ثم يخرجون، ثم يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون ثم يخرجون، حتى يدخل الناس. قالوا: يا صاحب رسول الله، أيدفن رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قالوا: أين؟ قال: في المكان الذي قَبض الله فيه روحه، فإن الله لم يقبض روحه إلا في مكان طيب. فعلموا أن قد صدق.

ثم أمرهم أن يغسله بنو أبيه، واجتمع المهاجرون يتشاورون، فقالوا: انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار ندخلهم معنا في هذا الأمر. فقالت

الأنصار: منا أمير ومنكم أمير. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من له مثل هذه الثلاث؟! ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، من هما؟ قال: ثم بسط يده فبايعوه، وبايعه الناس بيعة حسنة جميلة(١).

قلت: ما في هذا الحديث من أشد ما يكون في التأكيد على الصلاة، بل وعلى الصلاة في جماعة.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضرته الوفاة وهو يغرغر بنفسه:

«الصَّلاَةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»(٢).

وعن علي رضي الله عنه قال: كان آخر كلام رسول الله ﷺ:

«الصَّلاَةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»(٣).

ومعنى الحديث: الزموا الصلاة وحافظوا عليها، وراعوا حقوق ما ملكت أيمانكم من العبيد والإماء، وكذلك راعوا حقوق ما في أيديكم من الأموال وغيرها.

قلت: وهذا أيضاً شافٍ في تعظيم شأن الصلاة، حتى إن النبي ﷺ ليؤكد عليها وهو في أنفاسه الطاهرة الأخيرة.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة

---

(١) أخرجه الترمذي في «الشمائل» (ص ٣٣٦ ـ ٣٣٩ / رقم ٣٩٧)، وابن ماجه (١٢٣٤)، وليس عنده: «والله لا أسمع أحداً...»، وغيرهما، وصححه البوصيري في «الزوائد»، ووافقه شيخنا في «مختصر الشمائل» برقم (٣٣٣)، وحديث أمر النبي ﷺ أبا بكر بالصلاة في مرض موته مخرج في «الصحيحين» من حديث عائشة وغيرها.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٦٩٧) وغيره، وصححه شيخنا في «الإرواء» (٢١٧٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٥١٥٦)، وابن ماجه (٢٦٩٨)، وغيرهما، وصححه شيخنا.

والناس صفوف خلف أبي بكر فقال:

«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلاَّ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا المُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ، أَلاَ وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ القُرْآنَ رَاكِعاً أَوْ سَاجِداً، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»(١).

(وفي رواية) قال: كشف رسول الله ﷺ الستر ورأسه معصوب في مرضه الذي مات فيه فقال:

«اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟» ثلاث مرات، «إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلاَّ الرُّؤْيَا، يَرَاهَا العَبْدُ الصَّالِحُ أَوْ تُرَى لَهُ».

وفي «الصحيحين»(٢) قال الزهري: أخبرني سعيد بن المسيب في رجال من أهل العلم؛ أن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح:

«إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، ثُمَّ يُخَيَّرُ». فلما نزل به ورأسه على فخذي غُشِيَ عليه، ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت ثم قال:

«اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى». فقلت إذاً لا يختارنا، وعرفت أنه الحديث الذي كان يُحَدِّثنا وهو صحيح.

قالت: فكان آخر كلمة تكلم بها: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى».

وفي «الصحيحين»(٣) عن عروة، عن عائشة قالت: كنت أسمع أنه لن

---

(١) أخرجه مسلم (٤٧٩) وغيره.

(٢) «صحيح البخاري» (٨ / ١٣٦ و١٥٠ ـ فتح) وفي مواضع أُخر، و «صحيح مسلم» (٢٤٤٤).

(٣) «صحيح البخاري» (٨ / ١٣٦ ـ فتح) وفي مواضع أُخر، و «صحيح مسلم» (٢٤٤٤).

يموت نبي حتى يُخَيَّرَ بين الدنيا والآخرة، قالت: فسمعت النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه وأخذته بُحَّةٌ يقول:

«﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[1]».

قالت: فظننته خُيِّرَ حينئذ.

وفي «الصحيحين»[2] أيضاً عن عبّاد بن عبد الله بن الزبير؛ أن عائشة أخبرته أنها سمعت النبي ﷺ وأصغت إليه قبل أن يموت، وهو مسند إليّ ظهره يقول:

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ [الأَعْلَى]».

وفي «صحيح البخاري»[3] عن ابن أبي مليكة؛ أن أبا عَمرٍو ذكوان مولى عائشة أخبره؛ أن عائشة كانت تقول: إن من نعم الله عليّ أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته: دخل علي عبد الرحمن وبيده سواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فتناولتُه فاشتدّ عليه، وقلت أُلينه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فلَيَّنْتُه، فأمرَّه، وبين يديه رَكوة أو علبة (يشك عمر) فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول:

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ». ثم نصب يده فجعل يقول: «في الرَّفِيقِ الأَعْلَى» حتى قبض ومالت يده.

---

(١) النساء: ٦٩.

(٢) «صحيح البخاري» (٨ / ١٣٨ و١٠ / ١٢٧ ـ فتح)، و«صحيح مسلم» (٢٤٤٤).

(٣) (٨ / ١٤٤ ـ فتح)، ولعله في مواضع أخرى من «صحيحه».

وفي «صحيح البخاري»[1] أيضاً عن أنس قال: لما ثَقُل النبي ﷺ جعل يتغشاه، فقالت فاطمة عليها السلام: واكرب أباه! فقال لها:

«لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْمِ، [إِنَّهُ قَدْ حَضَرَ مِنْ أَبِيكِ مَا لَيْسَ بِتَارِكٍ مِنْهُ أَحَداً، المُوَافَاةُ يَوْمَ القِيَامَةِ]».

فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب رباً دعاه، يا أبتاه مَن جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه. فلما دفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس، أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟!

قوله ﷺ: (إنه قد حضر من أبيك ما ليس بتارك منه أحداً)؛ قيل: يعني الموت. وقوله: (الموافاة يوم القيامة)؛ أي: الملاقاة كائنة وحاصلة يوم القيامة.

وقيل: المعنى (إنه قد حضر من أبيك ما)؛ أي: شيء عظيم (ليس) الله (بتارك منه)؛ أي: من الوصول إليه (أحداً)، وذلك الأمر العظيم هو (الموافاة يوم القيامة)؛ أي: الحضور ذلك اليوم المستلزم للموت. هذا قول المناوي. ثم قال: ووراء ذلك تفسيرات لا تخلو عن ركاكة(!).

قلت: ولفظ الحديث في «المسند»[2]: «إِنَّهُ قَدْ حَضَرَ بِأَبِيكِ مَا لَيْسَ بِتَارِكٍ مِنْهُ أَحَداً لِمُوَافَاةِ يَوْمِ القِيَامَةِ».

فالمعنى: أنه قد حضر الموت الذي لا بد منه لكل أحد ليصل به إلى يوم القيامة؛ يوم الحساب والعرض على الله تعالى.

---

(١) (٨ / ١٤٩ ـ فتح)، ولعله في مواضع أخرى من «صحيحه»، والزيادة في «سنن ابن ماجه» (١٦٢٩)، و «الشمائل المحمدية» (ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠ / رقم ٣٩٨) كلاهما قال: «حدثنا نصر بن علي، ثنا عبد الله بن الزبير، ثنا ثابت البناني، عن أنس». وحسن حديثهما شيخنا في «مختصر الشمائل» برقم (٣٣٤).

(٢) (٣/ ١٤١)، وحسنه شيخنا الألباني في «الصحيحة» برقم (١٧٣٨).

وعن عائشة رضي الله عنها؛ أن أبا بكر دخل على النبي ﷺ بعد وفاته، فوضع فمه بين عينيه ووضع يديه على صدغيه وقال: وانبياه! واخليلاه! واصفياه![1].

* * * * *

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٦ / ٣١)، ولعله في مواضع أخر منه، والترمذي في «الشمائل» (ص ٣٣٣ / رقم ٣٩٢)، وعنده: «ووضع يديه على ساعديه». وأخرجه غيرهما، وحسن إسناده شيخنا في «مختصر الشمائل» برقم (٣٢٨).

الباب الثاني

في أقوال الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

أبو بكر الصديق

الصديق الأكبر، خليفة رسول الله ﷺ وصاحبه، وأحب الرجال إليه، وثاني اثنين إذ هما في الغار، عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو ابن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التيمي. وهو أول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال، ومواقفه في عصر النبوة وفي مدة خلافته أعظم من أن يشار إليها في مثل هذه الترجمة. (ت ١٣).

عن أبي بكر بن حفص بن عمر قال: جاءت عائشة إلى أبي بكر وهو يعالج ما يعالج الميت، ونَفَسه في صدره، فتمثلت هذا البيت:

لعمرُك ما يُغْني الثراءُ عن الفتى　　　إذا حشْرَجَتْ يوماً وضاق بها الصدرُ

فنظر إليها كالغضبان ثم قال: ليس كذاك يا أم المؤمنين، ولكن: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾(١)، إني قد كنت نحلتك حائطاً، وإن في نفسي منه شيئاً، فرُدّيه إلى الميراث. قالت: نعم. فرددته.

فقال: أما إنا منذ ولّينا أمر المسلمين، لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً، ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا، وليس عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا العبد الحبشي وهذا البعير الناضح وجرد هذه القطيفة، فإذا متُّ فابعثي بهن إلى عمر وابْرَئي منهن. ففعلت، فلما جاء الرسول عمر بكى حتى جعلت دموعه

---

(١) ق: ١٩.

تسيل في الأرض ويقول: رحم الله أبا بكر! لقد أتعب من بعده، رحم الله أبا بكر! لقد أتعب من بعده، يا غلام ارفعهن. فقال عبد الرحمٰن بن عوف: سبحان الله! تسلب عيال أبي بكر عبداً حبشياً وبعيراً ناضحاً وجرد قطيفة ثمن خمسة الدراهم؟! قال: فما تأمر؟ قال: تردهن على عياله. فقال: لا والذي بعث محمداً بالحق (أو كما حلف) لا يكون هذا في ولايتي أبداً، ولا خرج أبو بكر منهن عند الموت وأردهن أنا على عياله، الموت أقرب من ذلك[1].

وعن عروة، عن عائشة؛ أنها قالت لما مرض أبو بكر:

مَنْ لا يزال دَمْعُهُ مُقَنَّعاً فإنه لا بُدَّ مَرَّةً مَدْفوقُ

قال أبو بكر: ليس كذاك أي بُنَيَّة، ولكن ﴿**جاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد**﴾[2].

وعن عبد الله بن عبيد؛ أن أبا بكر أتته عائشة وهو يجود بنفسه فقالت: يا أبتاه، هذا كما قال حاتم: إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر. فقال: يا بُنَيَّة، قول الله أصدق: ﴿**جاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد**﴾. إذا أنا مت فاغسلي أخلافي فاجعليها أكفاني. فقالت: يا أبتاه، قد رزق الله وأحسن؛ نكفنك في جديد. قال: إن الحي هو أحوج يصون نفسه ويُقَنِّعُها من الميت، إنما يصير إلى الصديد وإلى البلى[3].

وعن بكر بن عبد الله المزني قال: بلغني أن أبا بكر الصديق لما مرض فثَقُل قعدت عائشة عند رأسه فقالت:

كل ذي إبلٍ موروثها وكل ذي سَلَبٍ مسلوبُ

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٣/ ١٩٦ ـ ١٩٧).

(٢) «طبقات ابن سعد» (٣/ ١٩٧).

(٣) «طبقات ابن سعد» (٣/ ١٩٧).

فقال: ليس كما قلت يا بنتاه، ولكن كما قال الله: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[١].

وعن القاسم بن محمد، عن عائشة أنها تمثلت بهذا البيت وأبو بكر يقضي:

وأبيضُ يُسْتَسقى الغمامُ بوجهه ربيعُ اليتامى عصمةٌ للأراملِ

فقال أبو بكر: ذاك رسول الله ﷺ[٢].

وعن أبي السَّفْر قال: مرض أبو بكر فقالوا: ألا ندعو الطبيب؟ فقال: قد رآني فقال: إني فعّال لما أريد[٣].

وعن عروة، عن عائشة؛ أن أبا بكر لما حضرته الوفاة دعاها فقال: إنه ليس في أهلي بعدي أحد أحب إلي غنى منك، ولا أعز علي فقراً منك، وإني كنت نحلتك من أرضٍ بالعالية جداد (يعني: صرام) عشرين وسقاً، فلو كنت جَدَدْته تمراً عاماً واحداً انحاز لك، وإنما هو مال الوارث، وإنما هما أخواك وأختاك. فقلت: إنما هي أسماء! فقال: وذات بطْنِ ابنةِ خارجة، قد أُلقي في رُوعي أنها جارية، فاستوصي بها خيراً. فولدت أم كلثوم[٤].

وعن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن سابط قال: لما حضر أبا بكرالموت دعا عمر رضي الله تعالى عنهما فقال له: اتق الله يا عمر، واعلم أن لله عز وجل عملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة، وإنما ثقلت موازين مَنْ ثقلت موازينه يوم

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٣/ ١٩٨).
(٢) «طبقات ابن سعد» (٣/ ١٩٨).
(٣) «طبقات ابن سعد» (٣/ ١٩٨).
(٤) «طبقات ابن سعد» (٣/ ١٩٥).

القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم، وحق لميزان يوضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم، وحق لميزان يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً، وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم، وتجاوز عن سيئاتهم، فإذا ذكرتهم قلت: إني لأخاف أن لا ألحق بهم، وإن الله تعالى ذكر أهل النار، فذكرهم بأسوأ أعمالهم، ورد عليهم أحسنه، فإذا ذكرتهم قلت: إني لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء، ليكون العبد راغباً راهباً لا يتمنى على الله، ولا يقنط من رحمته عز وجل، فإن أنت حفظت وصيتي فلا يكن غائب أحب إليك من الموت، وهو آتيك، وإن أنت ضيعت وصيتي فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت، ولست بمعجزه(١).

وعن سلمان قال: دخلت على أبي بكر الصديق في مرضه فقلت: يا خليفة رسول الله اعهد إليّ عهداً فإني لا أراك تعهد إليّ بعد يومي هذا. فقال: أجل يا سلمان، إنها ستكون فتوح فلا أعْرِفَنّ ما كان من حظك منها ما جعلت في بطنك أو ألقيته على ظهرك، واعلم أنه من صلى الصلوات الخمس فإنه يصبح في ذمة الله ويمسي في ذمة الله، فلا تقتلنّ أحداً من أهل ذمة الله، فيطلبك الله بذمته، فيكبك الله على وجهك في النار(٢).

وقال ابن الأثير(٣): وكان آخر ما تكلم به: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾(٤).

* * * * *

(١) «حلية الأولياء» (١ / ٣٦).
(٢) «طبقات ابن سعد» (٣ / ١٩٣ ـ ١٩٤)، و «الزهد» لأحمد (ص ١٣٧).
(٣) «الكامل في التاريخ» (٢ / ٤١٩).
(٤) يوسف: ١٠١.

عمر بن الخطاب

الفاروق، خليفة خليفة رسول الله ﷺ، ومَنْ أعز الله الإسلام به، شهيد المحراب، عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن رَزَاح بن عدي بن كعب بن غالب القرشي العدوي، أبو حفص أمير المؤمنين وأول من سمي بذلك، تمت في عهده الفتوحات العظيمة، مناقبه كثيرة وفضائله جليلة، أبو بكر وهو رضي الله عنهما وزيرا رسول الله ﷺ، وسيدا كهول أهل الجنة. قال ابن مسعود: كان إسلام عمر فتحاً، وكانت هجرته نصراً، وكانت إمامته رحمة. (ت ٢٣).

عن المِسْوَر بن مَخْرَمة قال: لما طُعِنَ عمر جعل يألم، فقال له ابن عباس وكأنه يُجَزِّعُه(١): يا أمير المؤمنين، ولئن كان ذاك لقد صحبت رسول الله ﷺ فأحسنت صُحْبَتَهُ، ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صُحْبَتَهُ، ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت صَحَبَتَهُمْ فأحسنت صُحْبَتَهُمْ، ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون. قال: أما ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ ورضاه؛ فإنما ذاك مَنٌّ مِنَ الله تعالى منّ به عليّ، وأما ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه؛ فإنما ذاك مَنٌّ مِنَ الله جلّ ذِكْرُه منّ به عليّ، وأما ما ترى من جزعي؛ فهو من أجلك وأجل أصحابك، والله لو أن لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه(٢).

وعن حميد بن عبد الرحمن الحِمْيَري قال: أخبرنا ابن عباس بالبصرة قال: أنا أول من أتى عمر بن الخطاب حين طُعِن.

---

(١) أي: يزيل عنه الجزع.

(٢) أخرجه البخاري (٧ / ٤٣ ـ فتح) وغيره.

وفيه: فقلت: أبشر بالجنة، صحبت رسول الله فأطَلْتَ صحبته، ووَلَيْتَ أمر المؤمنين فقوّيْتَ وأديت الأمانة. فقال: أمّا تبشيرك إياي بالجنة؛ فوالله الذي لا إله إلا هو لو أني لي الدنيا وما فيها لافتديتُ من هول ما أمامي قبل أن أعلم الخبر، وأما قولك في إمرة المؤمنين فوالله لوددت أن ذلك كفاف لا لي ولا علي، وأما ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ فذاك[١].

وفي «تاريخ الإسلام»[٢] من حديث ثابت البناني، عن أبي رافع: فجعل الناس يثنون عليه ويقولون: كنت وكنت. فقال: أما والله وددت أني خرجت منها كفافاً لا علي ولا لي، وأن صحبة رسول الله ﷺ سلمت لي.

وعن القاسم بن محمد؛ أن عمر بن الخطاب حين طُعِنَ جاء الناس يثنون عليه ويودعونه، فقال عمر: أبالإمارة تُزكّونني؟! لقد صحبت رسول الله ﷺ فقبض الله رسوله وهو عني راض، ثم صحبت أبا بكر فسمعت وأطعت، فتوفي أبو بكر وأنا سامع مطيع، وما أصبحت أخاف على نفسي إلا إمارتكم هذه[٣].

ويروى: وجاء الناس يثنون عليه وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ، وقَدَم في الإسلام ما قد علمت، ثم وَلَيْتَ فعدلت، ثم شهادة. قال: وددت أن ذلك كفاف لا علي ولا لي.

فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: رُدُّوا عليّ الغلام. قال: يا بن أخي، ارفع إزارك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك[٤].

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٣/ ٣٥٣).
(٢) (٣/ ٢٧٨).
(٣) «طبقات ابن سعد» (٣/ ٣٥٥).
(٤) «المنتظم» (٣/ ٣٥٥).

وعن المِسْوَر بن مَخْرَمة؛ أن عمر لما طُعِن جعل يُغْمَى عليه، فقيل: إنكم لن تفزعوه بشيء مثل الصلاة إن كانت به حياة، فقال: الصلاة يا أمير المؤمنين، الصلاة قد صُلِّيَتْ. فانتبه فقال: الصلاة هاء الله إذاً، ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة. قال: فصلى وإن جرحه ليثعب دماً[١].

وعن عَمرو بن دينار قال: قال لي عمر بن الخطاب حين حضره الموت: لو أن لي الدنيا وما فيها لافتديت بها من النار وإن لم أرها[٢].

وعن ابن عمر قال: كان رأس عمر في حجري في مرضه الذي مات فيه، فقال لي: ضع خدي على الأرض. فقلت: وما كان عليك كان في حجري أو على الأرض؟ فقال: ضعه لا أم لك! فوضعته، فقال: ويلي وويل أمي إن لم يرحمني ربي[٣].

قال ابن الأثير[٤]: ولما احتُضِر ورأسه في حجر ولده عبد الله قال:

ظلوم لنفسي غير أني مسلم ... أصلي الصلاة كلها وأصوم

ولم يزل يذكر الله تعالى ويديم الشهادة إلى أن توفي.

وعن عثمان رضي الله عنه قال: آخر كلمة قالها عمر حين قضى: ويلي وويل أُمّي إن لم يغفر الله لي! ويلي وويل أُمّي إن لم يغفر الله لي! ويلي وويل أُمّي إن لم يغفر الله لي![٥].

* * * * *

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٣/ ٣٥٠).

(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ٤٤).

(٣) «كتاب المحتضرين» (رقم ٤٢).

(٤) «الكامل في التاريخ» (٣/ ٥٢).

(٥) «طبقات ابن سعد» (٣/ ٣٦٠ ـ ٣٦١).

عثمان بن عفان

ثالث الخلفاء الراشدين، أمير المؤمنين، عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي المكي ثم المدني، شهيد القرآن، ومجهز جيش العسرة، ذو النورين؛ تزوج بنتي النبي ﷺ إحداهما بعد الأخرى، قالوا: ولا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره. (ت ٣٥).

عن مسلم بن بانَك؛ أن عثمان بن عفان قال متمثلاً يوم دُخل عليه فقُتِل:

أرى الموت لا يبقي عزيزاً ولم يدعْ لعادٍ مِلاكاً في البلاد ومرتقا

وقال أيضاً:

يُبَيِّتُ أهل الحصن والحصن مغلقٌ ويأتي الجبال في شماريخها العلا[١]

وعن عبد الله بن سلام قال لما حَضَر تَشَحُّطَ عثمان في الموت حين ضربه أبو رومان الأصبحي: ماذا كان قول عثمان وهو يتشحَّط؟ قالوا: سمعناه يقول: اللهم اجمع أمة محمد، اللهم اجمع أمة محمد، اللهم اجمع أمة محمد. ثلاثاً. قال: والذي نفسي بيده، لو دعا الله على تلك الحال أن لا يجتمعوا أبداً ما اجتمعوا إلى يوم القيامة[٢].

وعن هارون بن أبي يحيى السُّلمي، عن شيخ من ضَبَّة، أن عثمان جعل يقول حين ضُرب والدماء تسايل على لحيته: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٣]، اللهم إني أستعديك عليهم،

---

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ٤٧).

(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ٤٨).

(٣) الأنبياء: ٨٧.

وأستعينك على جميع أموري، وأسألك الصبر على ما ابتليتني[1].

وعن بشار بن موسى قال: أخبرنا عبد الله بن المبارك قال: حدثني يونس بن يزيد، عن الزهري عن أبي سلمة، عن أبي قتادة قال: دخلت على عثمان وهو محصور أنا ورجل من قومي نستأذنه في الحج، فأذن لنا، فلما خرجت استقبلني الحسن بن علي بالباب، فدخل وعليه سلاحه، فرجعت معه، فدخل فوقف بين يدي عثمان وقال: يا أمير المؤمنين، ها أنذا بين يديك فمرني بأمرك. فقال له عثمان: يا بن أخي، وصلتك رحم، إن القوم ما يريدون غيري، ووالله لا أتوقى بالمؤمنين، ولكن أُوَقّي المؤمنين بنفسي.

فلما سمعتُ ذلك منه قلت له: يا أمير المؤمنين، إن كان من أمرك كون، فما تأمر؟ قال: انظروا ما أجمع عليه أمة محمد، فإن الله لا يجمعهم على ضلالة، كونوا مع الجماعة حيث كانت.

قال بشار: فحدث به حماد بن زيد، فرقّ ودمعت عينه وقال: رحم الله أمير المؤمنين، حُوصر نيفاً وأربعين ليلة لم تَبْدُ منه كلمة يكون لمبتدع فيها حجة[2].

* * * * *

---

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ٤٩).

(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ٥٠).

علي بن أبي طالب

عبدِ مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، المكي المدني الكوفي الشهيد، أبو الحسن أمير المؤمنين، ابن عم رسول الله ﷺ، وأخوه بالمؤاخاة، وزوج ابنته، وأول من أسلم من الصبيان، علم الأبطال الشجعان، شهد بدراً وما بعدها، وكان يُكْنى أبا تراب أيضاً. (ت ٤٠).

عن الأصبغ الحنظلي قال: لما كانت الليلة التي أُصيب فيها عليٌّ رحمه الله أتاه ابن النبّاح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل، فعاد الثانية وهو كذاك، ثم عاد الثالثة فقام علي يمشي وهو يقول:

شُدّ حيازيمك للمو ... ت فإن الموت آتيكَ
ولا تجزع من المو ... ت إذا حلّ بواديكَ

فلما بلغ الباب الصغير شَدَّ عليه عبد الرحمن بن ملجم فضربه، فخرجت أم كلثوم بنت علي فجعلت تقول: ما لي ولصلاة الغداة؟! قُتل زوجي أمير المؤمنين صلاة الغداة، وقُتل أبي صلاة الغداة![1].

وعن هارون بن أبي نجيح، عن شيخ من قريش؛ أن علياً قال لما ضربه ابن ملجم: فزت ورب الكعبة[2].

وعن محمد بن علي (ابن الحنفية): قالوا: يا أمير المؤمنين، إن فقدناك أنبايع الحسن؟ فقال: ما آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر. ثم دعا حسناً وحسيناً فقال: أوصيكم بتقوى الله، ولا تبغيا الدنيا، ولا تبكيا على

---

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ٥١).
(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ٥٢).

شيء زُوِي عنكما. ثم لم ينطق إلا بـ «لا إله إلا الله» حتى قبض[1].

وعن أبي الحسن المدائني: آخر ما تكلم به علي رضي الله عنه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[2].

* * * * *

(١) «المنتظم» (٣/ ٤١٤ ـ ٤١٥)، و «كتاب المحتضرين» (رقم ٥٣).
(٢) «المنتظم» (٣/ ٤١٥).

الباب الثالث

في أقوال الصحابة رضي الله عنهم

أبو عبيدة بن الجراح

عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي الفهري المكي، أحد السابقين، ومن عزم الصديق على توليته الخلافة وأشار به يوم السقيفة، لكمال أهليته عند أبي بكر، يجتمع في النسب هو والنبي ﷺ في فهر، شهد له النبي ﷺ بالجنة وسماه أمين الأمة، ومناقبه شهيرة جمة، روى أحاديث معدودة، وغزا غزوات مشهودة. «السِّيَر».

عن قيس بن مسلم، عن طارق؛ أن عمر كتب إلى أبي عبيدة في الطاعون: إنه قد عرضت لي حاجة ولا غنى بي عنك فيها، فعجل إلي. فلما قرأ الكتاب قال: عرفت حاجة أمير المؤمنين، إنه يريد أن يستبقي من ليس بباق. فكتب: إني قد عرفت حاجتك، فحللني من عزيمتك، فإني في جند من أجناد المسلمين، لا أرغب بنفسي عنهم. فلما قرأ عمر الكتاب بكى، فقيل له: مات أبو عبيدة؟ قال: لا، وكأن قد. قال: فتوفي أبو عبيدة، وانكشف الطاعون[1].

وعن سعيد بن أبي سعيد المَقْبُري قال: لما طُعِن[2] أبو عبيدة بن الجراح بالأردن ـ وبها قبره ـ دعا من حضره من المسلمين فقال: إني

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١ / ١٨ ـ ١٩)، وأخرجه الحاكم بأطول مما هنا، وقال: «رواة هذا الحديث كلهم ثقات، وهو عجيب بمرة»، وصححه الذهبي على شرط البخاري ومسلم.

(٢) يعني: أصابه الطاعون.

موصيكم بوصية إن قبلتموها لن تزالوا بخير: أقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا شهر رمضان، وتصدقوا، وحجوا واعتمروا، وتواصوا، وانصحوا لأمرائكم ولا تغشوهم، ولا تلهكم الدنيا، فإن امرءاً لو عُمِّر ألف حَوْلٍ ما كان له بد من أن يصير إلى مصرعي هذا الذي ترون، إن الله كتب الموت على بني آدم فهم ميتون، وأكيسهم أطوعهم لربه وأعملهم ليوم معاده، والسلام عليكم ورحمة الله، يا معاذ بن جبل، صَلِّ بالناس. ومات(١).

سعد بن أبي وقاص

الأمير أبو إسحاق القرشي الزهري المكي، أحد العشرة، وأحد السابقين الأولين، وأحد من شهد بدراً والحديبية، وأحد الستة أهل الشورى. «السِّيَر».

عن عامر بن سعد بن أبي وقاص؛ أن سعد بن أبي وقاص قال في مرضه الذي هلك فيه: الحدوا لي لحداً، وانصبوا عليّ اللبن نصباً كما صُنع برسول الله ﷺ(٢).

وعن ابن شهاب الزهري؛ أن سعد بن أبي وقاص لما حضره الموت دعا بخَلَق جبة له من صوف، فقال: كفنوني فيها، فإني لقيت المشركين فيها يوم بدر، وإنما كنت أَخْبَؤها لهذا اليوم(٣).

وعن مصعب بن سعد قال: كان رأس أبي في حجري وهو يقضي،

---

(١) «تاريخ دمشق» (٢٥ / ٤٨٦ ـ ٤٨٧).

(٢) أخرجه مسلم (رقم ٩٦٦) وغيره.

(٣) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص ٢٣٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣ / ٤٩٦)، والطبراني في «الكبير» (١ / ١٤٣ / رقم ٣١٦)، وغيرهم. وقال الهيثمي في «المجمع» (٣ / ٢٥): «رجاله ثقات إلا أن الزهري لم يدرك سعداً».

قال: فدمعت عيناي، فنظر إلي فقال: ما يبكيك أي بني؟ فقلت: لمكانك وما أرى بك. قال: فلا تبك علي؛ فإن الله لا يعذبني أبداً، وإني من أهل الجنة[1]، إن الله يَدينُ المؤمنين بحسناتهم ما عملوا لله، قال: وأما الكفار فيخفف عنهم بحسناتهم، فإذا نفِدَتْ قال: ليطلب كل عامل ثواب عَمَلِهِ ممنْ عَمِلَ له[2].

طلحة بن عبيد الله

الصحابي أحد العشرة رضي الله عنهم، أبو محمد طلحة بن عبيد الله ابن عثمان بن عَمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التميمي المكي المدني، من المهاجرين الأولين، وشهد أُحداً وما بعدها من المشاهد، قتل رضي الله عنه يوم الجمل سنة ستة وثلاثين، وهذا لا خلاف فيه. «تهذيب الأسماء واللغات».

قال حماد: قال الحسن البصري: فجاء سهم فوقع في لَبَّته[3]، فجعل يمسح الدم ويقول: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[4].

أرى الموت أعدادَ النفوسِ ولا أرى بعيداً غداً ما أقرب اليوم من غدِ[5]

أبو سفيان بن الحارث

ابن عم النبي ﷺ، وأخوه من الرضاعة، المغيرة بن الحارث بن عبد

---

(١) قال الذهبي في «السير» (١ / ١٢٢): «صدق والله، فهنيئاً له».

(٢) «طبقات ابن سعد» (٣ / ١٤٧).

(٣) اللَّبّة: موضع القلادة من العنق.

(٤) الأحزاب: ٣٨.

(٥) «كتاب المحتضرين» (رقم ٢٥٤).

المطلب بن هاشم الهاشمي. لزم هو والعباسُ رسولَ الله ﷺ يوم حنين إذ فر الناس، وأخذ بلجام البغلة وثبت معه. «السِّيَر».

قال أبو إسحاق السبيعي: لما حضر أبا سفيان الوفاةُ قال لأهله: لا تبكوا عليّ فإني لم أتَنَطَّفْ[1] بخطيئة منذ أسلمت[2].

عُمَيْر بن الحُمَام

ابن الجموح بن زيد بن حَرَام الأنصاري السُّلَمي، شهد بدراً، وقتل بها، وهو أول قتيل من الأنصار في الإسلام في حرب، وكان رسول الله ﷺ قد آخى بينه وبين عبيدة بن الحارث المُطلبي، فقتلا يوم بدر جميعاً. «أُسد الغابة».

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ بُسَيْسَةَ عيناً ينظر ما صنعت عير أبي سفيان. الحديث. وفيه:

فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ: «لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ». فدنا المشركون فقال رسول الله ﷺ: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَمَاوَاتُ والأَرْضُ».

قال: يقول عُمَيْر بن الحُمَام الأنصاري: يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض! قال: «نَعَمْ». قال: بَخٍ بَخٍ! فقال رسول الله ﷺ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ: بَخٍ بَخٍ؟». قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاءة أن أكون من أهلها. قال: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا». فأخرج تمرات من

---

(١) أي: لم أتَلَطّخ.
(٢) «طبقات ابن سعد» (٤ / ٥٣).

قَرَنِه[١] فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة. قال: فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل[٢].

وفي «الاستيعاب» لابن عبد البر: فقال عمير بن الحمام ـ أحد بني سلمة ـ وفي يده تمرات يأكلهن: بَخٍ بَخٍ! فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء. فقذف التمر من يده وأخذ السيف، فقاتل القوم حتى قتل، وهو يقول:

رَكْضاً إلى الله بغير زادْ ... إلاّ التُّقى وعمل المعادْ
والصبر في الله على الجهادْ ... وكل زاد عُرْضَتُه النَّفادْ
غير التُّقى والبر والرشادْ

أنس بن النضر

أنس بن النَّضْر بن ضَمْضَم بن زيد بن حرام بن جُنْدَب بن عامر بن غَنْم ابن عدي بن النجار الأنصاري، عم أنس بن مالك الأنصاري، قُتِل يوم أحد شهيداً. «الاستيعاب».

عن أنس رضي الله عنه قال: غاب عَمِّي أنس بن النَّضْر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله، غِبْتُ عن أول قتال قاتلت المشركين، لئِنِ اللَّهُ أشهدني قتال المشركين ليرينّ الله ما أصنع.

فلما كان يوم أُحد وانكشف المسلمون قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء (يعني: أصحابه)، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء (يعني: المشركين). ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة

(١) أي: جعبة النُّشاب.
(٢) أخرجه مسلم (١٩٠١) وغيره.

ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أُحد. قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع.

قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه.

قال أنس: كنا نرى (أو: نظن) أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إلى آخر الآية[1] [2].

عبد الله بن جَحْش

ابن رِئاب بن يَعْمَر بن صَبْرة بن مُرّة بن كثير بن غَنْم بن دُودَان بن أسد ابن خزيمة، أبو محمد الأسدي، وأمه أُمَيْمَة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهاجر الهجرتين، وهو أخو زينب أم المؤمنين. شهد بدراً، وقتل يوم أحد، ودفن هو وخاله حمزة في قبر واحد. «جامع المسانيد والسنن».

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه؛ أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد: ألا تأتي ندعو الله؟ فخليا في ناحية فدعا سعد فقال: اللهم إذا لقيت العدو غداً فلقِّني رجلاً شديداً بأسه، شديداً حَرَدُه، فأقتله فيك وآخذ سلبه.

فأمن عبد الله بن جحش، ثم قال عبد الله: اللهم، ارزقني غداً رجلاً

---

(١) الأحزاب: ٢٣.

(٢) أخرجه البخاري (٦ / ٢١ ـ فتح) وفي مواضع أخر، ومسلم (١٩٠٣) كتاب الإمارة ـ باب ثبوت الجنة للشهيد، وغيرهما.

شديداً بأسه، شديداً حَرَدُه، أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يقتلني، ويأخذني فيجدع أنفي وأُذُنَيّ، فإذا لقيتك قلتَ: يا عبد الله، فيم جُدع أنفك وأذناك؟ فأقول: فيك وفي رسولك. فتقول: صدقت. قال سعد: كانت دعوة عبد الله خيراً من دعوتي، فلقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنيه معلقان في خيط[1].

البَراء بن مالك

ابن النَّضر بن ضَمْضَم بن زيد بن حَرَام بن جُنْدَب بن عامر بن غَنْم بن عدي بن النجار، الأنصاري النجاري المدني، البطل الكرار، صاحب رسول الله ﷺ، وأخو خادم النبي ﷺ أنس بن مالك. شهد أحداً، وبايع تحت الشجرة، وقد اشْتُهِر أنه قتل في حروبه مئة نفس من الشجعان مبارزة. استشهد يوم فتح تُسْتَر سنة عشرين. «السِّيَر».

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«كَمْ مِنْ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ ذِي طِمْرَيْنِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّ قَسَمَهُ، مِنْهُمْ البَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ». فإن البراء لقي زحفاً من المشركين وقد أوجع المشركون في المسلمين، فقالوا: يا براء، إن رسول الله ﷺ قال: إنك لو أقسمت على الله لأبرك. فأقسم على ربك. فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم.

ثم التقوا على قنطرة السوس، فأوجعوا في المسلمين، فقالوا له: يا براء أقسم على ربك. فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم

---

(١) «أسد الغابة» (٢ / ٥٦٥). قال الهيثمي في «المجمع»: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».

وألحقتني بنبيك ﷺ. فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيداً[١].

وعنه قال: لما كان يوم العقبة بفارس وقد زوى الناس قام البراء بن مالك فركب فرسه وهي تزجى، ثم قال لأصحابه: بئس ما عودتم أقرانكم عليكم. فحمل على العدو ففتح الله على المسلمين، واستشهد البراء يومئذ[٢].

جعفر بن أبي طالب

السيد الشهيد، الكبير الشأن، علم المجاهدين، أبو عبد الله، ابن عم رسول الله ﷺ عبدِ مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي الهاشمي، أخو علي بن أبي طالب، وهو أسن من علي بعشر سنين، هاجر الهجرتين، وهاجر من الحبشة إلى المدينة، أمّره رسول الله ﷺ على جيش مؤتة فاستشهد. «السِّيَر».

قال ابن إسحاق[٣]: حدثني يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، قال: حدثني أبي الذي أرضعني، وكان أحد بني مُرّة بن عوف، وكان في تلك الغزوة؛ غزوة مؤتة، قال: والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها، ثم قاتل حتى قتل[٤]، وهو يقول:

يا حَبّذا الجنة واقترابُها ... طيبةً وبارداً شرابُها
والرومُ رومٌ قد دنا عذابها ... كافرةٌ بعيدةٌ أنسابها

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٩٢) وصححه، ووافقه الذهبي.
(٢) «مستدرك الحاكم» (٣/ ٢٩٢).
(٣) «سيرة ابن هشام» (٤/ ١٦ - ١٧).
(٤) إلى هنا أخرجه أبو داود في «سننه» (٢٥٧٣)، وحسنه شيخنا برقم (٢٢٤٣) من «صحيح أبي داود».

علـــيَّ إذ لاقَيْتُهـــا ضِـــرابُهـــا

قال ابن هشام: وحدثني من أثق به من أهل العلم؛ أن جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقُطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل رضي الله عنه، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء.

عبد الله بن رواحة

ابن ثعلبة، الأمير السعيد الشهيد، أبو عَمرو الأنصاري الخزرجي البدري النقيب الشاعر، شهد بدراً والعقبة. «السِّيَر».

قال ابن إسحاق[1]: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال: بعث رسول الله ﷺ بعثة إلى مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال: «إِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى النَّاسِ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ عَلَى النَّاسِ»[2]. فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج، وهم ثلاثة آلاف، فلما حضر خروجهم ودّع الناس أمراء رسول الله ﷺ وسلموا عليهم.

فلما ودع عبد الله بن رواحة مع من ودع من أمراء رسول الله ﷺ بكى، فقالوا: ما يبكيك يا بن رواحة؟ فقال: أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله عز وجل يذكر فيها النار؛ ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾[3]، فلست

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٤ / ١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧ / ٥١٠ ـ فتح) وغيره من حديث عبد الله بن عمر، ولفظه في «الصحيح»: «إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ».

(٣) مريم: ٧١.

أدري كيف لي بالصدر بعد الورود. فقال المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين. فقال عبد الله بن رواحة:

لكنَّني أسْأَلُ الرحمنَ مغفرةً ... وضَرْبَةً ذات فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدا[1]
أو طعنةً بِيَدَيْ حَرّانَ مُجْهِزَةً ... بحَربةٍ تَنْفُذُ الأحشاءَ والكَبِدا[2]
حتى يُقال إذا مَرُّوا على جَدَثي ... أرشده الله مِنْ غازٍ وقد رَشَدا[3]

قال الذهبي[4]: قيل: لما جهز النبي ﷺ إلى مؤتة الأمراءَ الثلاثة فقال: «الأمير زيد، فإن أُصيب فجعفر، فإن أُصيب فابن رواحة». فلما قُتلا كره ابن رواحة الإقدام فقال:

أقسمتُ يا نفس لتنزلنهْ ... طائعةً أو لا لتُكْرَهِنَّهْ
فطالما قد كنتِ مُطْمَئِنَّهْ ... مالي أراكِ تكرهين الجنَّهْ

فقاتل حتى قُتل.

وقال ابن إسحاق[5]: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد قال: حدثني أبي الذي أرضعني، وكان أحد بني مرّة بن عوف، قال:

فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية، ثم تقدم بها وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد، ثم قال:

---

(١) (ضربة ذات فرغ): أي واسعة. والزبد هنا: رغوة الدم.
(٢) (مجهزة): سريعة القتل. و(تنفذ الأحشاء): تخترقها.
(٣) في «الاستيعاب»: «يا أرشد الله من غاز».
(٤) «سير أعلام النبلاء» (١ / ٢٣٤ ـ ٢٣٥).
(٥) «سيرة ابن هشام» (٤ / ١٧ ـ ١٨)، والزيادة من «أسد الغابة»، و«جامع المسانيد والسنن».

أقسمت يا نفسُ لَتَنْزِلِنَّهْ لَتَنْزِلِنَّ أو لَتُكْرَهِنَّهْ
إن أجْلَبَ الناسُ وشَدُّوا الرَّنَّهْ ما لي أراك تكرهين الجَنَّهْ
قد طال ما قد كُنْتِ مُطْمَئِنَّهْ هل أنتِ إلا نُطْفَةٌ في شَنَّهْ

وقال أيضاً:

يا نفس إن لا تقتلي تموتي هذا حِمَام الموت قد صَلِيتِ
وما تمنَّيْتِ فقد أُعْطِيتِ إن تفعلي فِعْلَهُما هُدِيتِ[١]
[وإنْ تأَخَّرْتِ فقد شَقِيتِ]

ثم نزل، فلما نزل أتاه ابن عمه له بعرق من لحم فقال: شُدّ بهذا صلبك، فإنك لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده ثم انتهس منه نهسةً، ثم سمع الحطمة في ناحية الناس، فقال: وأنت في الدنيا! ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه فتقدم، فقاتل حتى قتل.

خُبَيْب بن عَدي

ابن عامر بن مَجْدَعَة بن جَحْجَبا الأنصاري الشهيد، شهد أُحداً.
«**السِّيَر**».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط سرية عيناً، وأمر عليهم عامر بن ثابت الأنصاري جدّ عاصم بن عمر بن الخطاب، فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهدأة ـ وهو بين عُسْفان ومكة ـ ذُكروا لحي من هُذيل يقال لهم: بني لَحْيان، فنفروا لهم قريباً من مئتي رجل كلهم رامٍ، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم تمراً تزودوه من المدينة، فقالوا:

---

(١) (إن تفعلي فعلهما): يريد صاحبيه: زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما.

هذا تمر يثرب. فاقتصوا آثارهم، فلما رآهم عاصم وأصحابه لجؤوا إلى فَدْفَد، وأحاط بهم القوم، فقالوا لهم: انزلوا وأعطونا بأيديكم، ولكم العهد والميثاق ولا نقتل منكم أحداً. فقال عاصم بن ثابت أمير السرية: أمّا أنا فوالله لا أنزل اليوم في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك. فرموهم بالنبل، فقتلوا عاصماً في سبعة، فنزل إليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق منهم خُبَيْب الأنصاري وابن دَثِنَة ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قِسِيِّهم فأوثقوهم، فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر، والله لا أصحبكم، إن لي في هؤلاء لأسوة (يريد القتلى). فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فأبى، فقتلوه، فانطلقوا بخُبَيْب وابن دَثِنَة حتى باعوهما بمكة بعد وقيعة بدر، فابتاع خُبَيْباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وكان خُبَيْب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فلبث خُبيب عندهم أسيراً.

فأخبرني عبيد الله بن عياض؛ أن بنت الحارث أخبرته: أنهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستحد بها فأعارته، فأخذ ابناً لي وأنا غافلة حتى أتاه، قال: فوجدته مُجْلِسَهُ على فخذه والموسى بيده، ففزعت فزعة عرفها خُبَيب في وجهي، فقال: تخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك. والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خُبيب، والله لقد وجدته يوماً يأكل من قِطْفِ عنب في يده وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمر. وكانت تقول: إنه لرزق من الله رزقه خُبيباً.

فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خُبَيْب: ذروني أركع ركعتين. ثم قال: لولا أن تظنوا أن ما بي جزع لطولتها، اللهم أحصهم عدداً.

ولَسْتُ أُبالي حين أُقْتَلُ مُسْلماً على أيِّ شِقٍّ كان للهِ مَصْرَعي
وذلك في ذاتِ الإلهِ وإن يشأْ يُبارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

فقتله ابن الحارث، فكان خبيب هو سن الركعتين لكل امرىء مسلم قُتل صبراً، فاستجاب الله لعاصم بن ثابت يوم أصيب، فأخبر النبيُّ ﷺ أصحابه خبرهم وما أُصيبوا، وبعث ناس من كفار قريش إلى عاصم حين حُدِّثوا أنه قُتِل ليُؤْتَوْا بشيء منه يُعرف، وكان قد قَتل رجلاً من عظمائهم يوم بدر، فبُعث على عاصم مثل الظُّلّة من الدَّبْر، فحمته من رسولهم، فلم يقدروا على أن يقطعوا من لحمه شيئاً[(١)].

حَرَام بن مِلْحان

واسم ملحان مالك بن خالد بن زيد بن حرام بن جُنْدَب بن عامر بن غَنْم بن عدي بن النجار الأنصاري النجاري، ثم من بني عدي بن النجار، خال أنس بن مالك، شهد بدراً وأحداً، وقتل يوم بئر معونة. «أسد الغابة».

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ناس إلى النبي ﷺ فقالوا: أن ابعث معنا رجالاً يعلمونا القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم: القراء، فيهم خالي حرام، يقرؤون القرآن، ويتدارسون بالليل يتعلمون، وكانوا بالنهار يجيؤون بالماء فيضعونه في المسجد، ويحتطبون فيبيعونه، ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء، فبعث النبي ﷺ إليهم، فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان، فقالوا: اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا. قال: وأتى رجل حراماً خال أنس من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه، فقال حرام: فزت ورب الكعبة! فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا، وَإِنَّهُمْ قَالُوا: اللَّهُمَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٦ / ١٦٦ ـ فتح) وفي مواضع أخرى، وأخرجه غيره. وانظر: «سيرة ابن هشام» (٣/ ١٣٩ ـ ١٤٠)، و «الحلية» (١ / ١١٣ ـ ١١٤).

بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا»[1].

(وفي رواية): قال: الله أكبر، فزت ورب الكعبة!

(وفي رواية): لما طعن حرام بن ملحان يوم بئر معونة قال بالدم هكذا (فنضحه على وجهه ورأسه) ثم قال: فزت ورب الكعبة.

عمرو بن الجموح

ابن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سَلِمة بن سعد بن علي ابن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج الأنصاري السَّلَمي الغَنْمي، والد معاذ ومُعَوِّد وخلاد، شهدوا بدراً جميعاً. «السِّيَر».

لما كان يوم أحد قال رسول الله ﷺ: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ». فقام وهو أعرج فقال: والله لأقحزن[2] عليها في الجنة. فقاتل حتى قُتل[3].

سعد بن معاذ

ابن النعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل، السيد الكبير الشهيد، أبو عَمرو الأنصاري الأوسي الأشهلي البدري، الذي اهتز العرش لموته، ومناقبه مشهورة في الصحاح وفي السيرة وفي غير ذلك. «السِّيَر».

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أصيب سعد يوم الخندق، رماه

---

(١) أخرجه البخاري (٧ / ٣٨٥ و٣٨٦ ـ فتح)، وفي مواضع أخر، ومسلم (رقم ١٤٧) من كتاب الإمارة ـ باب ثبوت الجنة للشهيد. وغيرهما.

(٢) أي: لأثِبَنّ.

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١ / ٢٥٣). وانظر ما تقدم (صفحة ٦٦).

رجل من قريش يقال له: حبان بن العرقة، رماه في الأكحَل، فضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب، فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وضع السلاح واغتسل، فأتاه جبريل عليه السلام وهو ينفض رأسه من الغبار فقال: قد وضعتَ السلاح! والله ما وضعتُه، اخرج إليهم. قال النبي ﷺ: «فأين؟». فأشار إلى بني قريظة، فأتاهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكمه، فرد الحكم إلى سعد. قال: فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة، وأن تسبى النساء والذرية، وأن تقسم أموالهم.

قال هشام: فأخبرني أبي عن عائشة أن سعداً قال: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إلي أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه. اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني له حتى أجاهدهم فيك، وإن كنت وضعت الحرب فافجرها واجعل موتتي فيها. فانفجرت من لَبَّتِه، فلم يرعهم ـ وفي المسجد خيمة من بني غفار ـ إلا الدم يسيل إليهم، فقالوا: يا أهل الخيمة، ما هذا الذي يأتينا من قبلكم؟ فإذا سعد يغذو جرحه دماً، فمات منها رضي الله عنه[١].

أبو عقيل البَلَوي

عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة، شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وقتل يوم اليمامة شهيداً. «صفة الصفوة».

عن جعفر بن عبد الله بن أسلم قال: لما كان يوم اليمامة واصطف الناس كان أول من جُرح أبو عقيل، رُمي بسهم فوقع بين منكبيه وفؤاده في

(١) أخرجه البخاري (١ / ٥٥٦ و٧ / ٤١١ ـ ٤١٢ ـ فتح)، وفي مواضع أخر، ومسلم (١٧٦٩ / ٦٧)، وغيرهما.

غير مقتل، فأخرج السهم ووهن له شقه الأيسر في أول النهار وجُرّ إلى الرحل، فلما حمي القتال وانهزم المسلمون وجاوزوا رحالهم وأبو عقيل واهن من جرحه سُمع معن بن عدي يصيح: يا لَلأنصار! الله الله والكرة على عدوكم!

قال عبد الله بن عمر: فنهض أبو عقيل يريد قومه، فقلت: ما تريد؟ ما فيك قتال. قال: قد نوّه المنادي باسمي. قال ابن عمر: فقلت له: إنما يقول: يا لَلأنصار، ولا يعني الجرحى. قال أبو عقيل: أنا من الأنصار، وأنا أجيبه ولو حَبواً.

قال ابن عمر: فتحزم أبو عقيل وأخذ السيف بيده اليمنى، ثم جعل ينادي: يا لَلأنصار! كرّةً كيوم حنين، فاجتمِعوا رحمكم الله جميعاً، تقدموا فالمسلمون دريئة دون عدوهم. حتى أقحموا عدوهم الحديقة، فاختلطوا واختلفت السيوف بيننا وبينهم.

قال ابن عمر: فنظرت إلى أبي عقيل وقد قطعت يده المجروحة من المنكب فوقعت إلى الأرض، وبه من الجراح أربعة عشر جرحاً كلها قد خلصت إلى مقتل، وقتل عدو الله مسيلمة. قال ابن عمر: فوقفت على أبي عقيل وهو صريع بآخر رمق، فقلت: يا أبا عقيل! قال: لبيك ـ بلسان ملتاث[١] ـ، لمن الدَّبَرة[٢]؟ قلت: أبشر قد قتل عدو الله. فرفع إصبعه إلى السماء يحمد الله، ومات رحمه الله[٣].

ثابت بن قيس

ابن شماس بن زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك الأغر بن

---

(١) ثقيل بطيء في الكلام.

(٢) بفتح الباء، وتُسكّن: الدولة والظفر والنصرة.

(٣) «صفة الصفوة» (١ / ٤٦٦ ـ ٤٦٧).

ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، أبو محمد، وقيل: أبو عبد الرحمن، خطيب الأنصار. كان من نجباء أصحاب محمد ﷺ، شهد أحداً وبيعة الرضوان. «السِّيَر».

عن عكرمة قال: لما نزلت: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ الآية[1]؛ قال ثابت بن قيس: أنا كنت أرفع صوتي فوق صوته، فأنا من أهل النار، فقعد في بيته، فتفقده رسول الله ﷺ، فذكر ما أقعده، فقال: «بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ».

فلما كان يوم اليمامة انهزم الناس، فقال ثابت: أف لهؤلاء ولما يعبدون! وأف لهؤلاء وما يصنعون! يا معشر الأنصار، خلوا سنني لعلي أصلى بحرِّها ساعة، ورجل قائم على ثُلمة فقتله وقتل[2].

وعن موسى بن أنس قال ـ وذكر يوم اليمامة ـ قال: أتى أنسُ بن مالك ثابتَ بن قيس وقد حسر عن فخذيه وهو يتحنط فقال: يا عم، ما يحبسك أن تجيء ؟ قال: الآن يابن أخي، وجعل يتحنط (يعني: من الحنوط) ثم جاء فجلس، فذكر في الحديث انكشافاً من الناس، فقال: هكذا عن وجوهنا حتى نضارب القوم، ما هكذا كنا نفعل مع رسول الله ﷺ، بئس ما عوَّدتم أقرانكم[3]. [فقاتل حتى قتل].

وعن ثابت، عن أنس؛ أن ثابت بن قيس جاء يوم اليمامة وقد تحنط ولبس أكفانه، وقد انهزم أصحابه، وقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء، فبئس ما عودتم أقرانكم، خلوا بيننا وبين أقراننا ساعة. ثم حمل فقاتل ساعة فقتل، وكان درعه قد سرقت، فرآه

---

(١) الحجرات: ٢.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١ / ٣١٠).

(٣) أخرجه البخاري (٦ / ٥١ ـ فتح) وغيره، والزيادة للحاكم في «المستدرك» (٣ / ٢٣٤).

رجل فيما يرى النائم فقال: إن درعي في قدر تحت إكاف بمكان كذا وكذا. وأوصى بوصايا، فطُلب الدرع فوُجد حيث قال، فأنفذوا وصيته[1].

سعد بن الربيع

ابن عَمرو الأنصاري الخزرجي الحارثي البدري النقيب الشهيد، الذي آخى النبي ﷺ بينه وبين عبد الرحمن بن عوف، فعزم على أن يعطي عبد الرحمن شطر ماله، ويطلق إحدى زوجتيه ليتزوج بها، فامتنع عبد الرحمن من ذلك ودعا له. وكان أحد النقباء ليلة العقبة. «السِّيَر».

عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه قال: بعثني النبي ﷺ يوم أحد لطلب سعد بن الربيع وقال لي: «إِنْ رَأَيْتَهُ فَاقْرِهِ مِنِّي السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟». فجعلت أطوف بين القتلى، فأصبته وهو في آخر رمقٍ وبه سبعون ضربة، فقلت: إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام ويقول لك: خبرني كيف تجدك؟ قال: على رسول الله السلام وعليك، قل له: يا رسول الله، أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خَلُصَ إلى رسول الله ﷺ شُفْر يَطْرِف[2]. قال: وفاضت نفسه[3].

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٣٥) وغيره، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٢) الشُّفْر: شُفْر العين، وهو ما نبت عليه الشعر، وأصل مَنْبِت الشعر في الجفن. «لسان».
وفي «الموطأ» (كتاب الجهاد، (١٨) باب الترغيب في الجهاد): «فاذهب إليه فأقرئه مني السلام، وأخبره أني قد طُعِنْتُ اثنتي عشرة طعنة، وأني قد أُنْفِذَتْ مَقَاتِلي، وأخبر قومك أنه لا عذر لهم عند الله إن قُتِل رسول الله ﷺ وواحد منهم حَيّ».

(٣) قال الذهبي بعد أن ساقه في «تاريخ الإسلام» (١/ ١٨٦): «أخرجه البيهقي، ثم ساقه فيما بعد من حديث محمد بن إسحاق، عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن المازني، منقطعاً، فهو شاهد لما رواه خارجة».
وقال ابن عبد البر: «هذا الحديث لا أحفظه ولا أعرفه إلا عند أهل السير، فهو عندهم مشهور معروف».

عبد الله بن عَمرو بن حرام

ابن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جُشم بن الخزرج الأنصاري السلمي، أبو جابر، أحد النقباء ليلة العقبة، شهد بدراً واستشهد يوم أحد. «السِّيَر».

عن جابر رضي الله عنه قال: لما حَضَر أُحُدٌ دعاني أبي من الليل، فقال: ما أراني إلا مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ، وإني لا أترك بعدي أعز علي منك غير نفس رسول الله ﷺ، وإن علي دَيْن فاقض، واستوص بأخواتك خيراً. فأصبحنا فكان أول قتيل، ودُفن معه آخر في قبر، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع الآخر، فاستخرجته بعد ستة أشهر، فإذا هو كيوم وضعته هُنَيَّة، غير أُذنه(١).

قلت: ومن عجائب مناقب عبد الله بن عمرو بن حرام ما رواه ابنه جابر قال: لما قُتِل عبد الله بن عمرو بن حرام يوم أحد لقيني رسول الله ﷺ فقال:

«يَا جَابِرُ، مَا لي أَرَاكَ مُنْكَسِراً؟». قال: قلت: يا رسول الله، استشهد أبي وترك عِيالاً ودَيْناً.

قال: «أَفَلا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ؟». قال: قلت: بلى يا رسول الله.

قال: «مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَداً قَطُّ إِلاَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحاً. فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ. قَالَ: يَا رَبِّ، تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً. قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لاَ يَرْجِعُونَ». قال:

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٢١٤ ـ فتح).

«وأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾» الآية[1][2].

بلال بن رباح

مؤذن النبي ﷺ، من السابقين الأولين الذين عذبوا في الله. شهد بدراً، وشهد له النبي ﷺ على التعيين بالجنة. «السِّيَر».

قال سعيد بن عبد العزيز: لما احتُضِر بلال قال: غداً نلقى الأحبة، محمداً وحزبه، قال: تقول امرأته: واوَيْلاه! فقال: وافرَحاه[3]!

خالد بن الوليد

سيف الله تعالى، وفارس الإسلام، وليث المشاهد، السيد الإمام، الأمير الكبير، قائد المجاهدين، أبو سليمان القرشي المخزومي المكي، وابن أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث. «السِّيَر».

قال الحافظ في «الإصابة»: قال ابن المبارك في «كتاب الجهاد»: عن حماد بن زيد، حدثنا عبد الله بن المختار، عن عاصم بن بهدلة، عن أبي وائل، ثم شك حماد في أبي وائل، قال: لما حضرت خالداً الوفاةُ قال: لقد طلبت القتل مظانه فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي، وما من عملي شيء أرجى عندي بعد أن لا إله إلا الله من ليلة بتها وأنا متترس والسماء تهلني تمطر إلى صبح حتى نغير على الكفار.

---

(١) آل عمران: ١٦٩.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠١٠)، وابن ماجه (١٩٠ و٢٨٠٠)، وغيرهما، وحسنه الترمذي، وأيضاً شيخنا الألباني رحمه الله.

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١ / ٣٥٩).

ثم قال: إذا أنا متّ فانظروا في سلاحي وفرسي فاجعلوه عدة في سبيل الله. فلما توفي خرج عمر إلى جنازته فقال: ما على نساء آل الوليد أن يسفحن على خالد دموعهن ما لم يكن نَقْعاً[1] أو لَقْلَقَةً[2].

وعن أبي الزِّناد؛ أن خالد بن الوليد لما احتُضِر بكى وقال: لقيت كذا وكذا زحفاً، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم، وها أنا أموت على فراشي حتْفَ أنفي كما يموت العَيْر، فلا نامت أعين الجبناء[3].

قال الذهبي[4]: ولم يبق في جسده قِيدُ شبر إلا وعليه طابع الشهداء.

قلت: ما أحسن هذه الكلمة وما ألطفها.

عمار بن ياسر

الإمام الكبير، أبو اليقظان العَنْسي المكي، مولى بني مخزوم، أحد السابقين الأولين، والأعيان البدريين. وأمه هي سمية مولاة بني مخزوم، من كبار الصحابيات. «السِّيَر».

عن سعد بن إبراهيم الزهري، عن أبيه، عَمَّن سمع عماراً بصفِّين يقول: أزِفَت الجنان، وزُوِّجْتُ الحور العين، اليوم نلقى حبيبنا محمداً ﷺ[5].

وعن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال: سمعت عمار بن ياسر

---

(١) أي: وَضْع التراب على الرؤوس.
(٢) اللقلقة: الصراخ.
(٣) «سير أعلام النبلاء» (١ / ٣٨٢).
(٤) «السير» (١ / ٣٦٦).
(٥) «سير أعلام النبلاء» (١ / ٤٢٥).

بصفين في اليوم الذي مات فيه وهو ينادي: إني لقيت الجبار، وتزوجت الحور العين، اليوم نلقى الأحبة، محمداً وحزبه، عهد إلي رسول الله ﷺ أن آخر زادك من الدنيا ضياح[١] من لبن[٢].

وعن أبي سنان الدؤلي صاحب رسول الله ﷺ قال: رأيت عمار بن ياسر دعا غلاماً له بشراب، فأتاه بقدح من لبن فشربه. ثم قال: صدق الله ورسوله، اليوم ألقى الأحبة، محمداً وحزبه، إن رسول الله ﷺ قال: إن آخر شيء أزوده من الدنيا ضيحة لبن. ثم قال: والله لو هزمونا حتى يبلغوا سَعَفَات هجر[٣] لعلمنا أنا على حق، وأنهم على باطل[٤].

وعن يحيى بن سعيد، عن عمه قال: لما كان اليوم الذي أُصيب فيه عمار إذا رجل قد برز بين الصَّفَّيْنِ جسيم على فرس جسيم، ضخم على ضخم، ينادي: يا عباد الله (بصوت موجع)، روحوا إلى الجنة (ثلاث مرار)، الجنة تحت ظلال الأسل[٥]. فثار الناس، فإذا هو عمار، فلم يلبث أن قُتِل[٦].

قلت: كان مقتله في صِفِّين، قتلته الفئة الباغية.

معاذ بن جبل

ابن عَمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عَمرو بن أُدَيّ بن

---

(١) الضياح: اللبن الخاثر يخلط بالماء.

(٢) «مجمع الزوائد» (٩ / ٢٩٥ ـ ٢٩٦)، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في «الأوسط» وأحمد باختصار، ورجاله رجال الصحيح».

(٣) السعفات: أغصان النخل، وخص هجر لبعدها.

(٤) «مجمع الزوائد» (٩ / ٢٩٧ ـ ٢٩٨)، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني وإسناده حسن».

(٥) (الأسل): الرّماح. و (الأسل): النَّبْل أيضاً.

(٦) «سير أعلام النبلاء» (١ / ٤٢٧).

سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جُشَم بن الخزرج. السيد الإمام أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي المدني البدري. شهد العقبة شاباً أمرد. «السِّيَر».

عن الحارث[1] بن عَمِيرة قال: طُعِن[2] معاذ وأبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة وأبو مالك الأشعري في يوم واحد، فقال معاذ: إنه رحمة ربكم عز وجل، ودعوة نبيكم ﷺ، وقبض الصالحين قبلكم، اللهم آت آل معاذ النصيب الأوفر من هذه الرحمة. فما أمسى حتى طعن ابنه عبد الرحمن؛ بِكْرُه الذي كان يكنى به وأحب الخلق إليه، فرجع من المسجد فوجده مكروباً، فقال: يا عبد الرحمن، كيف أنت؟ فاستجاب له فقال: يا أبت، ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾[3]. فقال معاذ: وأنا إن شاء الله ستجدني من الصابرين. فأمسكه ليلة ثم دفنه من الغد، فطعن معاذ، فقال حين اشتد به النزع؛ نزع الموت، فنزع نزعاً لم ينزعه أحد، وكان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال: رب اخنقني خنقتك، فوعزتك إنك لتعلم أن قلبي يحبك[4].

وعن يزيد بن عَمِيرة قال: لما حضر معاذَ بن جبل الموتُ قيل له: يا أبا عبد الرحمن، أوصنا. قال: أجلسوني. فقال: إن العلم والإيمان مكانهما، من ابتغاهما وجدهما (يقول ذلك ثلاث مرات)، والتمسوا العلم عند أربعة رهط: عند عويمر أبي الدرداء، وعند سلمان الفارسي، وعند عبد الله بن مسعود، وعند عبد الله بن سلام الذي كان يهودياً فأسلم، فإني

(١) صَوّب ابن عساكر في «تاريخ دمشق» أنه: يزيد بن عميرة، وهو الزَّبيدي، راوي الحديث الآتي.
(٢) يعني: أصابهم الطاعون.
(٣) آل عمران: ٦٠.
(٤) «الحلية» (١ / ٢٤٠).

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّهُ عَاشِرُ عَشَرَةٍ في الجَنَّةِ»[١].

وعن عبد الرحمن بن غَنْم قال: ورأى رجلاً يبكي عنده فقال له: ما يبكيك؟ فقال: ما أبكي على دنيا كنت أُصيبها منك، ولكن أبكي على العلم الذي كنتُ أصيبه منك. قال: فلا تبكه، فإن إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه كان في الأرض وليس بها علم، فآتاه الله علماً، فإن أنا مت فاطلب العلم عند أربعة: عند عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وعُوَيْمر أبي الدرداء[٢].

وذكر في «العقود الدرية»[٣] عن شيخ الإسلام أنه كان يقول: يا معلم إبراهيم علمني، ويذكر قصة معاذ بن جبل وقوله لمالك بن يُخامر لما بكى عند موته وقال: إني لا أبكي على دنيا كنت أصيبها منك، ولكن أبكي على العلم والإيمان اللذين كنت أتعلمهما منك. فقال: إن العلم والإيمان مكانهما من ابتغاهما وجدهما، فاطلب العلم عند أربعة، فإن أعياك العلم عند هؤلاء فليس هو في الأرض، فاطلبه من معلم إبراهيم.

قلت: كذا هو في «العقود الدرية»!

وعن سلمة بن سهيل قال: أخذ معاذاً الطاعون في حَلْقه فقال: يا رب، إنك لتخنقني، وإنك لتعلم أني أحبك[٤].

وعن عَمرو بن قيس؛ أن معاذ بن جبل لما طعن فجعلت سكرات

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٠٤) وقال: «حسن صحيح غريب»، والحاكم (٣ / ٤١٦) وصححه، ووافقه الذهبي، وجود إسناده الحافظ في «الإصابة» وشيخنا في «تخريج المشكاة» برقم (٦٢٣١).

(٢) انظر: «تاريخ ابن عساكر» (٥٨ / ٤٤٥ ـ ٤٤٦).

(٣) ص ٢٦ ـ ٢٧.

(٤) «طبقات ابن سعد» (٣ / ٥٨٩).

الموت تغشاه، ثم يفيق الإفاقة فيقول: اخنقني خَنِقاتك، فوعزتك إنك لتعلم أن قلبي يحب لقاءك، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لمكابدة الساعات، وظمأ الهواجر، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر[١].

وعنه عمن حدثه عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه؛ أنه لما حضره الموت قال: انظروا أصبحنا؟ فأتي فقيل: لم تصبح. فقال: انظروا أصبحنا؟ فأتي فقيل له: لم تصبح. حتى أتي في بعض ذلك فقيل: قد أصبحت. قال: أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار، مرحباً بالموت مرحباً، زائر مُغِبّ، حبيب جاء على فاقة، اللهم إني قد كنت أخافك فأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر[٢].

وعن موسى بن وردان؛ أن معاذ بن جبل لما حضرته الوفاة بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعاً من الموت، ولٰكن أبكي على الجهاد في سبيل الله، وعلى فراق الأحبة. قال: ويغشاه الكرب، فجعل يقول: اخنق خنقك، فوعزتك إني أحبك[٣].

وقال الإمام أحمد[٤]: ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو (يعني: ابن دينار) قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: أنا مَنْ شهد معاذاً حين حضرته الوفاة يقول: اكشفوا عني سجف القبة أحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله

---

(١) «حلية الأولياء» (٥ / ١٠٣).
(٢) «حلية الأولياء» (١ / ٢٣٩).
(٣) «تاريخ دمشق» (٥٨ / ٤٥١).
(٤) «المسند» (٥ / ٢٣٦). وهو في «الصحيحة» برقم (٢٣٥٥).

ﷺ. وقال مرة: أخبركم بشيء سمعته من رسول الله ﷺ، لم يمنعني أن أحدثكموه إلا أن تتكلوا، سمعته يقول: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصاً مِنْ قَلْبِهِ (أو: يَقِيناً مِنْ قَلْبِهِ) لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ (أو: دَخَلَ الجَنَّةَ)». وقال مرة: «دَخَلَ الجَنَّةَ وَلَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ».

وعن الحسن البصري قال: لما حضرت معاذاً الوفاة جعل يبكي، قال: فقيل له: أتبكي وأنت صاحب رسول الله ﷺ، وأنت وأنت. فقال: ما أبكي جزعاً من الموت إن حل بي، ولا دنيا تركتها بعدي، ولكن إنما هما القبضتان، قبضة في النار، وقبضة في الجنة، فلا أدري في أي القبضتين أنا[1].

عبد الله بن مسعود

الإمام الحبر، فقيه الأمة، أبو عبد الرحمن الهُذَلي المكي المهاجري البدري، حليف بني زهرة، كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين، شهد بدراً، وهاجر الهجرتين، وكان يوم اليرموك على النفل، ومناقبه غزيرة، روى علماً كثيراً، وكان معدوداً في أذكياء العلماء. (ت ٣٢). «السِّيَر».

عن شداد بن عطية قال: حدثنا أنس بن مالك قال: دخلنا على عبد الله بن مسعود نعوده في مرضه، فقلنا: كيف أصبحت أبا عبد الرحمن؟ قال: أصبحنا بنعمة الله إخواناً.

قلنا: كيف تجدك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: أجد قلبي مطمئناً بالإيمان.

---

(١) «تاريخ دمشق» (٥٨ / ٤٥١).

قلنا: ما تشتكي أبا عبد الرحمن؟ قال: أشتكي ذنوبي وخطاياي.

قلنا: ما تشتهي شيئاً؟ قال: أشتهي مغفرة الله ورضوانه.

قلنا له: ألا ندعو لك طبيباً؟ قال: الطبيب أمرضني(١).

وعن يزيد بن هارون قال: أخبرنا إسماعيل، عن قيس بن أبي حازم قال: دخل عثمان على عبد الله يعوده، فقال له عثمان: كيف تجدك؟ قال عبد الله: مردود إلى مولاي الحق. قال له عثمان: طيباً (أو: طبت). شك يزيد(٢).

سلمان الفارسي

هو سلمان ابن الإسلام، أبو عبد الله الفارسي، سابق الفرس إلى الإسلام، صحب النبي ﷺ وحدث عنه. وكان لبيباً حازماً، من عقلاء الرجال وعُبّادهم ونبلائهم. «السِّيَر».

عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه قال: اشتكى سلمان، فعاده سعد، فرآه يبكي، فقال له سعد: ما يبكيك يا أخي؟ أليس قد صحبت رسول الله ﷺ؟ أليس أليس. قال سلمان: ما أبكي واحدة من اثنتين، ما أبكي ضناً للدنيا، ولا كراهية للآخرة، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلي عهداً فما أراني إلا قد تعدّيت. قال: وما عهد إليك؟ قال: عهد إلي أنه يكفي أحدكم مثل زاد الراكب، ولا أُراني إلا قد تعديت، وأما أنت يا سعد، فاتق الله عند حكمك إذا حكمت، وعند قسمك إذا قسمت، وعند همك إذا هممت. قال ثابت: فبلغني أنه ما ترك إلا بضعة وعشرين درهماً من نفقة

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ٣٦٠).

(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ٣٢٥).

كانت عنده[1].

وفي «الحلية»[2]: فلما مات نظروا في بيته فلم يروا في بيته إلا إكافاً ووطاء ومتاعاً قوّم نحواً من عشرين درهماً.

وفي «طبقات ابن سعد»[3]: عن الحسن قال: لما حُضِر سلمان الفارسي ونزل به الموت بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أما والله ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الرجعة، ولكن إنما أبكي لأمر عهده إلينا رسول الله ﷺ أخشى أن لا نكون حفظنا وصية نبينا ﷺ، إنه قال لنا: «لِيَكُنْ بَلاَغُ أَحَدِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّاكِبِ».

وعن بُقَيْرة امرأة سلمان قالت: لما حضر سليمانَ الموتُ دعاني وهو في عليّة لها أربعة أبواب، فقال: افتحي هذه الأبواب يا بقيرة فإن لي اليوم زوّاراً لا أدري من أي هذه الأبواب يدخلون عليّ، ثم دعا بمسك له، ثم قال: أديفيه[4] في تَوْر[5]، ففعلت، ثم قال: انضحيه حول فراشي، ثم انزلي فامكثي فسوف تطلعين فترينني على فراشي. فاطلعت عليه فإذا هو قد أُخِذَ روحُه، فكأنه نائم على فراشه[6].

وعن الشعبي قال: لما حضرت سلمان الوفاة قال لصاحبة منزله: هلمي خَبِيَّك الذي استخبأْتُك. قالت: فجئته بصرة مسك. قال: فقال:

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٤) وغيره، وصحح إسناده شيخنا في «الصحيحة» آخر تخريج الحديث (رقم ١٧١٦). وانظر: «صحيح الترغيب» (رقم ٣٢٢٤).

(٢) (١ / ١٩٦ و٢ / ٢٣٧).

(٣) (٤ / ٩١).

(٤) أي: اخلطيه.

(٥) إناء من صفر أو حجارة يوضع فيه الماء.

(٦) «حلية الأولياء» (١ / ٢٠٨).

ائتيني بقدح فيه ماء. فنثر المسك فيه ثم ماثه[١] بيده، ثم قال: انضحيه حولي فإنه يحضرني خلق من خلق الله يجدون الريح ولا يأكلون الطعام، ثم اجفئي علي الباب وانزلي. قالت: ففعلت وجلست هنيهة فسمعت هسهسة. قالت: ثم صعدت فإذا هو قد مات[٢].

عبادة بن الصامت

ابن قيس بن أَصْرَم بن فِهر بن ثعلبة بن غَنْم بن عوف بن عَمرو بن عوف بن الخزرج، الإمام القدوة أبو الوليد الأنصاري، أحد النقباء ليلة العقبة، ومن أعيان البدريين، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. «السِّيَر» و «تاريخ الإسلام».

عن عبد الواحد بن سُلَيْم قال: قدمت مكة فلقيت عطاء بن أبي رباح، فقلت له: يا أبا محمد، إن أهل البصرة يقولون في القدر! قال: يا بُني، أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم. قال: فاقرأ الزخرف. قال: فقرأت ﴿حمٓ * وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾[٣]. فقال: أتدري ما أم الكتاب؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه كتاب كتبه الله قبل أن يخلق السماوات وقبل أن يخلق الأرض، فيه: إن فرعون من أهل النار، وفيه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

قال عطاء: فلقيت الوليد بن عبادة بن الصامت صاحب رسول الله ﷺ، فسألته: ما كان وصية أبيك عند الموت؟ قال: دعاني أبي فقال لي:

---

(١) أي: مَرَسَه وخلطه.
(٢) «طبقات ابن سعد» (٤ / ٩٢).
(٣) الزخرف: ١ ـ ٤.

يا بني، اتق الله، واعلم أنك لن تتقي الله حتى تؤمن بالله وتؤمن بالقدر كله، خيره وشره، فإن متَّ على غير هذا دخلت النار، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ القَلَمَ، فَقَالَ: اكْتُبْ. فَقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ القَدَرَ؛ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الأَبَدِ»(١).

وفي رواية: قال الوليد بن عبادة: دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلت: يا أبتاه، أوصني واجتهد لي. فقال: أجلسوني. قال: يا بني، إنك لن تَطْعَم طعم الإيمان ولن تبلغ حق حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى حتى تؤمن بالقدر خيره وشره. قال: قلت: يا أبتاه، فكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بني، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى القَلَمُ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ». يا بني، إن متَّ ولستَ على ذلك دخلتَ النار.

وعن الصُّنَابِحي، عن عبادة بن الصامت أنه قال: دخلت عليه وهو في الموت، فبكيت، فقال: مهلاً! لِمَ تبكي؟ فوالله لئن استشهدت لأشهدن لك، ولئن شُفِّعْتُ لأشفعن لك، ولئن استطعت لأنفعنك. ثم قال: والله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثاً واحداً، وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥ ـ كتاب القدر، باب رقم ١٧) بهذا اللفظ، و (٣٣١٩)، وأحمد (٥ / ٣١٧) بالرواية الثانية، وغيرهم، وصححه شيخنا الألباني رحمة الله عليه.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (رقم ٢٩).

أبو ذر

جُنْدُب بن جُنادة الغِفاري، وقيل غير ذلك. أحد السابقين الأولين، من نجباء أصحاب محمد ﷺ، وكان يفتي في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، وكان رأساً في الزهد والصدق والعلم والعمل، قوالاً بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم على حِدّة فيه. «السِّيَر».

عن مجاهد، عن إبراهيم (يعني ابن الأشتر)؛ أن أبا ذر حضره الموت وهو بالرَّبَذَة، فبكت امرأته فقال: ما يبكيك؟ قالت: أبكي؛ لا يَدَ لي بنفسك، وليس عندي ثوب يسعك كفناً. فقال: لا تبكي فإني سمعت رسول الله ﷺ ذات يوم وأنا عنده في نفر يقول:

«لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ يَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ».

قال: فكل من كان معي في ذلك المجلس مات في جماعة وفرقة، فلم يبق منهم غيري، وقد أصبحت بالفلاة أموت، فراقبي الطريق فإنك سوف ترين ما أقول، فإني والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِّبْتُ. قالت: وأنى ذلك وقد انقطع الحاج. قال: راقبي الطريق.

قال: فبينا هي كذلك إذا هي بالقوم تَجِدّ بهم رواحلهم كأنهم الرُّخْم(١)، فأقبل القوم حتى وقفوا عليها، فقالوا: ما لك؟ قالت: امرؤ من المسلمين تكفنونه وتؤجرون فيه. قالوا: ومن هو؟ قالت: أبو ذر. ففدوه بآبائهم وأمهاتهم، ووضعوا سياطهم في نحورها يبتدرونه، فقال:

أبشروا أنتم النفر الذين قال رسول الله ﷺ فيكم ما قال، أبشروا سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنِ امْرَأَيْنِ مُسْلِمَيْنِ هَلَكَ بَيْنَهُمَا وَلَدَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ فَاحْتَسَبَا وَصَبَرَا فَيَرَيَانِ النَّارَ أَبَداً».

---

(١) الرُّخْم والرَّخَم: جمع، مفرده: الرَّخَمَة، وهو نوع من الطير معروف.

ثم قد أصبحت اليوم حيث ترون، ولو أن ثوباً من ثيابي يسعني لم أكفن إلا فيه، فأنشدكم الله أن لا يكفنني رجل منكم كان أميراً أو عَرِيفاً أو بَريداً. فكل القوم كان قد نال من ذلك شيئاً إلا فتى من الأنصار كان مع القوم، قال: أنا صاحبك، ثوبان في عَيْبَتي[1] من غزل أمّي وأجَدّ ثوبي هذين اللذين عَلَيّ. قال: أنت صاحبي فكفِّني[2].

عائشة

بنت الإمام الصديق الأكبر خليفة رسول الله ﷺ، القرشية التيمية المكية النبوية، زوجة النبي ﷺ، أفقه نساء الأمة على الإطلاق. «السِّيَر».

عن ابن أبي مليكة قال: استأذن ابن عباس قبيل موتها على عائشة وهي مغلوبة[3]، قالت: أخشى أن يثنى عليّ. فقيل: ابن عم رسول الله ﷺ ومن وجوه المسلمين. قالت: ائذنوا له. فقال: كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتقيتُ. قال: فأنت بخير إن شاء الله تعالى، زوجة رسول الله ﷺ، ولم ينكح بكراً غيرك، ونزل عذرك من السماء. ودخل ابن الزبير خِلافه فقالت: دخل ابن عباس فأثنى عليّ، وددت أني كنت نسياً منسياً[4].

وفي «طبقات ابن سعد»[5]: فقالت: أثنى عليّ عبد الله بن عباس، ولم أكن أحب أن أسمع أحداً اليوم يثني عليّ، لوددت أني كنت نسياً منسياً.

---

(١) العَيْبَة: هي ما يجعل المسافر فيها ثيابه.
(٢) أخرجه أحمد (٥ / ١٦٦) وغيره، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب».
(٣) أي: من شدة كرب الموت. «فتح».
(٤) أخرجه البخاري (٨ / ٤٨٢ ـ ٤٨٣ ـ فتح) كتاب التفسير ـ باب ﴿إذ تلقونه بألسنتكم﴾ . . .، ولعله في مواضع أخرى من «الصحيح»، وأخرجه غيره.
(٥) (٨ / ٧٤).

وفيها[1]: فأكب عليها ابن أخيها فقال: هذا ابن عباس يستأذن عليك. وهي تموت، فقالت: دعني من ابن عباس فإنه لا حاجة لي به ولا بتزكيته. فقال: يا أمتاه، إن ابن عباس من صالحي بنيك يسلم عليك ويودعك. قالت: فأذن له إن شئت. فأدخلته، فلما أن سلم وجلس قال: أبشري. قالت: بما؟ قال: ما بينك وبين أن تلقي محمداً ﷺ والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد.

وعن أسامة بن زيد، عن بعض أصحابه، عن عائشة أنها قالت حين حضرتها الوفاة: يا ليتني لم أُخْلَق، يا ليتني كنت شجرة أسَبِّح وأقضي ما عليّ[2].

وعن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: وددت أني إذا متُّ كنت نسياً منسياً[3].

وعن حماد، عن إبراهيم قال: قالت عائشة: يا ليتني كنت ورقة من هذه الشجرة[4].

وعن محمد بن المنكدر، عن عائشة قالت: يا ليتني كنت نباتاً من نبات الأرض، ولم أكن شيئاً مذكوراً[5].

وعن عَمرو بن سلمة؛ أن عائشة قالت: والله لوددت أني كنت شجرة، والله لوددت أني كنت مَدَرَة، والله لوددت أن الله لم يكن خلقني شيئاً قط[6].

---

(١) (٨ / ٧٥).
(٢) «طبقات ابن سعد» (٨ / ٧٤).
(٣) «طبقات ابن سعد» (٨ / ٧٣ ـ ٧٤).
(٤) «طبقات ابن سعد» (٨ / ٧٤ ـ ٧٥).
(٥) «طبقات ابن سعد» (٨ / ٧٦).
(٦) «طبقات ابن سعد» (٨ / ٧٤).

وعن عيسى بن دينار قال: سألت أبا جعفر عن عائشة، فقال: استغفروا لها، أما علمت ما كانت تقول: يا ليتني كنت شجرة، يا ليتني كنت حجراً، يا ليتني كنت مَدَرَة. قلت: وما ذاك منها؟ قال: توبة(١).

وعن قيس قال: قالت عائشة عند موتها: إني قد أحدثت بعد رسول الله ﷺ، فادفنوني مع أزواج النبي ﷺ(٢).

قلت: تعني ولا تدفنوني قربه ﷺ، فإني لا أستأهل ذلك، لأني قد أحدثت بعده، رضي الله عنها.

وعن عبيد بن عمير قال: أوصت عائشة أن لا تتبعوا سريري بنار، ولا تجعلوا تحتي قطيفة حمراء(٣).

زينب أم المؤمنين

بنت جحش بن رياب، وابنة عمة رسول الله ﷺ، أمها: أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، من المهاجرين الأُوَل، كانت عند زيد مولى النبي ﷺ، وهي التي يقول الله فيها: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾(٤). فزوجها الله تعالى لنبيه بنص كتابه، فكانت تفخر بذلك على أمهات المؤمنين وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني اللهُ من فوق عرشه. «السِّيَر».

عن يحيى بن سعيد، عن القاسم بن محمد: قالت زينب بنت جحش حين حضرتها الوفاة: إني قد أعددت كفني، ولعل عمر يبعث إليّ بكفن،

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٨/ ٧٤).

(٢) «طبقات ابن سعد» (٨/ ٧٤).

(٣) «طبقات ابن سعد» (٨/ ٧٦).

(٤) الأحزاب: ٣٧.

فإن بعث بكفن فتصدقوا بأحدهما، [و]إن استطعتم إذ دلّيتموني أن تَصَدَّقوا بحَقْوي(١) فافعلوا(٢).

أم حبيبة أم المؤمنين

السيدة المحجبة، رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وهي من بنات عم الرسول ﷺ، ليس في أزواجه من هي أقرب نسباً إليه منها. «السِّيَر».

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دعتني أم حبيبة، زوج النبي ﷺ عند موتها فقالت: قد كان يكون بيننا وبين الضرائر، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك، فقلت: غفر الله لك ذلك كله وتجاوز وحللك من ذلك. فقالت: سَرَرْتِني سَرَّكِ الله. وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك(٣).

خَبَّاب بن الأرَتّ

ابن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة، من تميم، أبو يحيى التميمي، وقيل: كنيته أبو عبد الله. من نجباء السابقين، شهد بدراً والمشاهد، مات بالكوفة سنة سبع وثلاثين، وصلى عليه عليٌّ. «السِّيَر».

عن يحيى بن جعدة قال: عاد خَبّاباً ناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: أبشر أبا عبد الله؛ ترد على محمد ﷺ الحوض. قال: كيف بهذا أو

---

(١) مفردها: حَقْو، وهو الإزار.
(٢) «طبقات ابن سعد» (٨/ ١٠٩) عن الواقدي، وهو ضعيف.
(٣) «طبقات ابن سعد» (٨/ ١٠٠) عن الواقدي، وهو ضعيف.

بهذا؟ (وأشار إلى أعلى بيته وإلى أسفله). وقد قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا يَكْفِي أَحَدَكُمْ مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا مِثْلُ زَادِ الرَّاكِبِ»[١].

وعن طارق بن شهاب قال: عاد خباباً نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: أبشر يا أبا عبد الله؛ إخوانك تقدم عليهم غداً. فبكى وقال: عليها من حالي، أما إنه ليس بي جَزَع، ولكن ذكرتموني أقواماً وسميتموهم لي إخواناً، وإن أولئك مضوا بأجورهم كما هي، وإني أخاف أن يكون ثواب ما تذكرون من تلك الأعمال ما أوتينا بعدهم[٢].

وعن حارثة بن مُضَرِّب قال: دخلت على خباب بن الأرتّ أعوده وقد اكتوى سبع كيات، قال: فسمعته يقول: لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَتَمَنَّى المَوْتَ»[٣]، لألفاني قد تمنيته.

وقد أتي بكفنه قَباطيّ، فبكى ثم قال: لكن حمزة عم النبي ﷺ كُفّن في بُرْدة، فإذا مُدّت على قدميه قَلَصَتْ عن رأسه، وإذا مُدّت على رأسه قلصت عن قدميه، حتى جُعِل عليه إذْخِرٌ، ولقد رأيتني مع رسول الله ما أملك ديناراً ولا درهماً، وإنّ في ناحية بيتي في تابوتي لأربعين ألف وافٍ، ولقد خشيت أن تكون قد عُجِّلَتْ لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا[٤].

عامر بن ربيعة

ابن كعب بن مالك، أبو عبد الله العَنْزي؛ عَنْز بن وائل، من حلفاء آل

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٦ / ٣٧٣ / رقم ٧١٧٩)، والطبراني في «الكبير» (٤ / ٧٨ / رقم ٣٦٩٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١ / ٣٦٠)، وغيرهم، وهو في «السلسلة الصحيحة» (رقم ١٧١٦).

(٢) «طبقات ابن سعد» (٣ / ١٦٦ ـ ١٦٧).

(٣) انظر المقدمة (صفحة ١٥ – ١٦).

(٤) «طبقات ابن سعد» (٣ / ١٦٦).

عمر بن الخطاب، العدوي، من السابقين الأولين، أسلم قبل عمر، وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً. «السِّيَر».

عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: لما أخذ الناس في الطعن على عثمان، قام أبي من الليل ثم صلى ودعا وقال: اللهم قِنِي من الفتنة بما وَقَيْتَ به الصالحين من عبادك. فما خرج ولا أصبح إلا بجنازته[1].

النعمان بن مُقَرِّن

أبو عَمرو، وقيل: أبو حكيم، المزني الأمير، صاحب رسول الله ﷺ، أول مشاهده الأحزاب، وشهد بيعة الرضوان، كان إليه لواء قومه يوم فتح مكة، بعثه عمر على المسلمين يوم وقعة نهاوند، فكان يومئذ أول شهيد. «السِّيَر».

عن معقل بن يسار؛ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه شاور الهرمزان في أصبهان وفارس وأذربيجان، فذكر الحديث بطوله، وفيه:

فقال النعمان: يا أيها الناس، أهتز ثلاث هزات، فأما الهزة الأولى فليقض الرجل حاجته، وأما الثانية فلينظر الرجل في سلاحه وسيفه، وأما الثالثة فإني حامل فاحملوا، فإن قتل أحد فلا يلوي أحد على أحد، وإن قتلت فلا تلووا علي، وإني داع الله بدعوة فعزمت على كل امرىء منكم لما أمن عليها، فقال: اللهم ارزق اليوم النعمان شهادة تنصر المسلمين وافتح عليهم. فأمن القوم، وهز لواءه ثلاث مرات، ثم حمل فكان أول صريع رضي الله عنه، فذكرت وصيته فلم ألو عليه، وأعلمت مكانه، فكنا إذا قتلنا رجلاً منهم شغل عنا أصحابه يجرونه، ووقع ذو الحاجين من بغلته الشهباء،

---

(١) «مستدرك الحاكم» (٣/ ٣٥٨).

فانشق بطنه، وفتح الله على المسلمين.

فأتيت النعمان وبه رمق، فأتيته بماء، فجعلت أصبه على وجهه أغسل التراب عن وجهه، فقال: من هذا؟ فقلت: معقل بن يسار. فقال: ما فعل الناس؟ فقلت: فتح الله عليهم. فقال: الحمد لله، اكتبوا بذلك إلى عمر. وفاضت نفسه. الحديث[1].

أبو الدرداء

الإمام القدوة، قاضي دمشق، وصاحب رسول الله ﷺ، أبو الدرداء عويمر، الأنصاري الخزرجي، حكيم هذه الأمة، وسيد القراء بدمشق. «السِّيَر».

عن معاوية بن قرة؛ أن أبا الدرداء اشتكى، فدخل عليه أصحابه فقالوا: يا أبا الدرداء ما تشتكي؟ قال: أشتكي ذنوبي، قالوا: فما تشتهي؟ قالوا: أشتهي الجنة، قالوا: أفلا ندعو لك طبيباً؟ قال: هو الذي أضجعني[2].

وعن محمد بن كعب القرظي قال: لما حضر أبا الدرداء الموت جاءه حبيب بن مسلمة فقال: كيف تجدك يا أبا الدرداء؟ قال: أجدني ثقيلاً. قال: ما أراه إلا الموت. قال: أجل. قال: جزاك الله خيراً[3].

وعن أبي مسلم الخولاني أنه دخل على أبي الدرداء في اليوم الذي قُبض فيه، فجعل أبو مسلم يُكَبِّر، فقال أبو الدرداء: أجل، هكذا قولوا،

---

(١) «مستدرك الحاكم» (٣/ ٢٩٣ ـ ٢٩٥).

(٢) «طبقات ابن سعد» (٧/ ٣٩٣).

(٣) المصدر السابق.

فإن الله إذا قضى قضاءً أَحَبّ أن يُرضى[١].

وعن شميط بن عجلان قال: لما نزل بأبي الدرداء الموت جزع جزعاً شديداً، فقالت له أم الدرداء: يا أبا الدرداء، ألم تكن تخبرنا أنك تحب الموت؟ قال: بلى وعزة ربي، ولكنّ نفسي لما استيقنت الموت كَرِهَتْهُ. قال: ثم بكى فقال: هذه آخر ساعاتي من الدنيا، لقنوني «لا إله إلا الله». فلم يزل يرددها حتى مات[٢].

وعن أبي عمران الجوني؛ أن أبا الدرداء لما نزل به الموت دعا أم الدرداء فضمها إليه وبكى، وقال: يا أم الدرداء، قد ترين ما قد نزل من الموت، إنه والله قد نزل بي أمر لم ينزل بي قط أمر أشد منه، وإن كان لي عند الله خير فهو أهون ما بعده، وإن تكن الأخرى فوالله ما هو فيما بعده إلا كحلاب ناقة.

قال: ثم بكى ثم قال: يا أم الدرداء، اعملي لمثل مصرعي هذا، يا أم الدرداء، اعملي لمثل ساعتي هذه.

ثم دعا ابنه بلالاً فقال: ويحك يا بلال! اعمل لساعة الموت، اعمل لمثل مصرع أبيك، واذكر به صرعتك وساعتك، فكأن قد. ثم قُبض[٣].

وعن محمد بن كعب قال: دخل حبيب بن مسلمة على أبي الدرداء وهو في الموت فقال: ما أراه إلا الفراق، فجزاك الله من معلم خيراً، عظني بشيء ينفعني الله به. قال: يا حبيب بن مسلمة، عُدّ نفسك من أصحاب الأجداث، يا حبيب بن مسلمة، اتق دعوة المظلوم[٤].

---

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٢٥).
(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٧٠).
(٣) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٧١).
(٤) «كتاب المحتضرين» (٢٧٧).

وعن أم الدرداء أنها قالت لأبي الدرداء عند الموت: إنك خطبتني إلى أبَوَيّ في الدنيا فأنكحوك، وأنا أخطبك إلى نفسك في الآخرة. قال: فلا تُنكحين بعدي[١].

قلت: لأن «المَرْأة لآخِرِ أَزْوَاجِها»، كما صح عن النبي ﷺ[٢]، خلافاً لما جرى على ألسنة الكثير من أنها لأتقاهما.

وعن إسماعيل بن عبيد الله قال: حدثتني أم الدرداء أنه أُغمي على أبي الدرداء فأفاق فإذا بلال ابنه عنده، فقال: قم فاخرج عني، ثم قال: من يعمل لمثل مضطجعي هذا؟! من يعمل لمثل ساعتي هذه؟! ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٣]، أتيتم؟ ثم أُغمي عليه، فلبث لبثاً ثم يفيق فيقول مثل ذلك، فلم يزل يرددها حتى قبض[٤].

قلت: ومن غريب ما رأيته من قول أبي الدرداء عند الموت، ما ذكره شيخنا في «الصحيحة»[٥] من رواية أبي الحسن الأخميمي في «حديثه»: عن معاوية بن قرة قال: كان لأبي الدرداء جمل يقال له: دمون، فكان إذا استعاروه منه قال: لا تحملوا عليه إلا كذا وكذا، فإنه لا يطيق أكثر من ذلك، فلما حضرته الوفاة قال: يا دمون، لا تخاصمني غداً عند ربي، فإني لم أكن أحمل عليك إلا ما تطيق.

قلت: وهذا من الرفق بالحيوان الذي وضع أساسه الإسلام، وما أكثر

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤ / ٢٧٨).
(٢) «الصحيحة» (١٢٨١).
(٣) الأنعام: ١١٠.
(٤) «الزهد» لابن المبارك (١ / ١٢٣ ـ ١٢٤ / رقم ٢٦)، و «حلية الأولياء» (١ / ٢١٧).
(٥) (١ / ٣٧).

الأحاديث النبوية الداعية إليه، وما أكثر الآثار عن السلف في ذٰلك، خلافاً لما يظنه بعض الجهال من أن الرفق بالحيوان من مزايا وخصوصيات أوروبا الكافرة[1]، التي غالت في ذلك في حين يذبح الإنسان المسلم وغيره من قِبَل أهلها دون أدنى رفق!!

ومن أعجب ما قرأت في ذلك أن أحد العجائز في أحد دول أوروبا أوصت عند موتها أن تدفن في مقابر الكلاب!!

أي شيء هذا؟! وأي محبة للكلاب هذه؟!

حذيفة بن اليمان

من نجباء أصحاب محمد ﷺ، وهو صاحب السر، واسم اليمان: حِسْل، ويقال: حُسَيْل، ابن جابر العَبْسي اليماني، أبو عبد الله، حليف الأنصار، من أعيان المهاجرين. «السِّيَر».

عن بلال بن يحيى العَبْسي، عن حذيفة بن اليمان قال: إذا مت فلا تؤذنوا بي، إني أخاف أن يكون نعياً، فإني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن النعي[2].

وعن أسد بن وداعة قال: لما مرض حذيفة مرضه الذي مات فيه قيل له: ما تشتهي؟ قال: أشتهي الجنة. قالوا: فما تشتكي؟ قال: الذنوب. قالوا: أفلا ندعو لك الطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني[3].

---

(١) انظر: «الصحيحة» (١/ ٣٥ـ ٣٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٩٨٦) كتاب الجنائز ـ باب ما جاء في كراهية النعي، وقال: «حديث حسن صحيح» كذا في نسخة أحمد شاكر، وفي نسخة الألباني: «حديث حسن»، وأخرجه ابن ماجه (١٤٧٦) وغيره، وحسنه شيخنا رحمه الله.

(٣) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٢٩).

وعن ليث بن أبي سليم قال: لما نزل بحذيفة بن اليمان الموت جزع جزعاً شديداً، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي أسفاً على الدنيا، بل الموت أحب إلي، ولكني لا أدري على ما أقدم؛ على الرضا أم على سخط؟ ![1].

وعن ربعي بن حراش قال: قال حذيفة عند الموت: رُبّ يوم لو أتاني الموت لم أشْكُ، فأما اليوم فقد خالطت أشياء لا أدري على ما أنا فيها[2].

وعن زياد مولى ابن عباس، عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: دخلنا على حذيفة في مرضه الذي مات فيه، فقال: اللهم إنك تعلم؛ لولا أني أرى هذا اليوم أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا؛ لم أتكلم بما أتكلم به، اللهم إنك تعلم أني كنت أختار الفقر على الغنى، وأختار الذِّلَّة على العزّ، وأختار الموت على الحياة، فحبيب جاء على فاقة، لا أفلح مَن ندم. [ثم مات رضي الله عنه][3].

وعن هارون المدني قال: لما حُضِر حذيفة قال: غُطَّ يا موت غَطَّك، وشُدَّ يا موت شَدَّك، أبى قلبي إلا حبك، جاء رخاء العيش بعدك، حبيب جاء على فاقة، لا أفلح من ندم، أليس ورائي ما أعلم، الحمد لله الذي سبق بي الفتنة قادتها وعلوجها[4].

وعن النَّزَّال بن سَبْرة قال: قلت لأبي مسعود الأنصاري: ماذا قال حذيفة عند موته؟ قال: لما كان عند السحر قال: أعوذ بالله من صباح إلى النار ـ ثلاثاً ـ. ثم قال: اشتروا لي ثوبين أبيضين، فإنهما لن يُتركا علي إلا

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٦٧).

(٢) «حلية الأولياء» (١ / ٢٧٨).

(٣) «كتاب المحتضرين» (رقم ٣٥٥)، و «حلية الأولياء» (١ / ٢٨٢).

(٤) «وصايا العلماء» للربعي (ص ٥٤).

قليلاً حتى أُبدَل بهما خيراً منهما، أو أُسْلَبَهما سلباً قبيحاً[١].

وعن صِلَة بن زُفَر عن حذيفة قال: ابتاعوا لي كفناً، فجاؤوا بحلة ثمنها ثلاث مئة، فقال: لا، اشتروا لي ثوبين أبيضين[٢].

أبو موسى الأشعري

عبد الله بن قيس بن سُلَيْم بن حَضَّار بن حرب، الإمام الكبير، صاحب رسول الله ﷺ، أبو موسى الأشعري التميمي الفقيه المقرىء. «السِّيَر».

عن الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب قال: دعا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه فتيانه حين حضرته الوفاة، فقال: اذهبوا واحفروا وأوسعوا وأعمقوا، فجاؤوا فقالوا: قد حفرنا وأوسعنا وأعمقنا. فقال:

والله إنها لإحدى المنزلتين؛ إما لَيُوَسَّعَنَّ عليّ قبري حتى تكون كل زاوية منه أربعين ذراعاً، ثم لَيُفْتَحَنّ لي باب إلى الجنة فلأنظرن إلى أزواجي ومنازلي وما أعد الله تعالى لي من الكرامة، ثم لأكونن أهدى إلى منزلي مني اليوم إلى بيتي، ثم ليصيبني من ريحها وروحها حتى أُبعث.

ولئن كانت الأخرى ـ ونعوذ بالله منها ـ لَيُضَيَّقَنّ عليّ قبري حتى يكون في أضيق من القناة في الزج، ثم ليفتحن لي باب من أبواب جهنم، فلأنظرن إلى سلاسلي وأغلالي وقرنائي، ثم لأكونن إلى مقعدي من جهنم أهدى مني اليوم إلى بيتي، ثم ليصيبني من سمومها وحميمها حتى أُبعث[٣].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢ / ٣٦٨) و«المستدرك» (٣ / ٣٨٠ ـ ٣٨١).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢ / ٣٦٩).

(٣) «حلية الأولياء» (١ / ٢٦٢ ـ ٢٦٣).

وعن سيار بن سلامة قال: لما حضر أبا موسى الأشعري الموتُ دعا بنيه فقال: انظروا إذا أنا متّ فلا تُؤْذِنُنّ بي أحداً، ولا يتبعني صوت ولا نار، وليكن مُمْسى أحدكم بحذاء رُكْبَتَيّ من السرير[١].

وعن أبي بردة بن أبي موسى قال: وجع أبو موسى وجعاً فغُشي عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله، فصاحت امرأة من أهله، فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً، فلما أفاق قال: أنا بريء مما برىء منه رسول الله ﷺ، فإن رسول الله ﷺ برىء من الصالقة والحالقة والشاقة[٢].

وعنه قال: أوصى أبو موسى حين حضره الموت فقال: إذا انطلقتم بجنازتي فأسرعوا المشي، ولا يَتَّبِعُني مُجَمّر، ولا تجعلوا في لحدي شيئاً يحول بيني وبين التراب، ولا تجعلوا على قبري بناءً، وأشهدكم أني بريء من كل حالقة أو سالقة أو خارقة.

قالوا: أوَسمعت فيه شيئاً؟ قال: نعم، من رسول الله ﷺ[٣].

أبو عامر الأشعري

عُبَيْد بن سُلَيم بن حَضَّار، من كبار الصحابة، وهو عم أبي موسى الأشعري. «أُسد الغابة».

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٤ / ١١٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣ / ١٦٥ ـ فتح) ولعله في مواضع أخر من «صحيحه»، ومسلم (١٠٤)، وغيرهما.
و (الصالقة): هي التي ترفع صوتها عند المصيبة. و (الحالقة): هي التي تحلق شعرها عند المصيبة. و (الشاقة): هي التي تشق ثوبها. «نووي».

(٣) أخرجه أحمد (٤ / ٣٩٧) وغيره، وحسن سنده شيخنا الألباني في «الأحكام» مسألة (رقم ١٢).

عن أبي بُرْدة، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: لما فرغ النبي ﷺ من حُنَين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس، فلقي دُرَيْد بن الصِّمَّة، فقُتل دُرَيد، وهزم الله أصحابه. قال أبو موسى: وبعثني مع أبي عامر، فرُمِيَ أبو عامر في ركبته، رماه جُشّميٌّ بسهم فأثبته في ركبته، فانتهيت إليه فقلت: يا عم، من رماك؟ فأشار إلى أبي موسى فقال: ذاك قاتلي الذي رماني. فقصدت له فلحقته، فلما رآني ولّى، فاتبعته وجعلت أقول له: ألا تستحي! ألا تثبت! فكفّ، فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته، ثم قلت لأبي عامر: قتل الله صاحبك. قال: فانزع هذا السهم. فنزعته فنزا منه الماء. قال: يا ابن أخي، أقرىء النبي ﷺ السلام وقل له: استغفر لي. واستخلفني أبو عامر على الناس، فمكث يسيراً ثم مات، فرجعت فدخلت على النبي ﷺ في بيته على سريره مُرْمَلٍ، وعليه فِراش قد أثّر رمال السرير بظهره وجنبيه، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر، وقال: قل له: استغفر لي. فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه فقال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عامِرٍ». ورأيت بياض إبطيه، ثم قال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ مِنَ النَّاس». فقلت: ولي فاستغفر. فقال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْس ذَنْبَهُ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُدْخَلاً كَرِيماً». قال أبو بردة: إحداهما لأبي عامر، والأخرى لأبي موسى[(١)].

أبو مالك الأشعري

قدم في السفينة مع الأشعريين على النبي ﷺ، له صحبة، اختلف في اسمه، فقيل: كعب بن مالك، وقيل: كعب بن عاصم، وقيل: عُبَيْد، وقيل: عمرو. وقيل: الحارث. يعد في الشاميين. «أُسد الغابة».

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٤١ ـ ٤٢ ـ فتح)، ومسلم (٢٤٩٨)، وغيرهما.

عن عبيد الحضرمي؛ أن أبا مالك الأشعري لما حضرته الوفاة قال: يا سامع الأشعريين ليُبَلِّغ الشاهد منكم الغائب؛ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حُلْوَةُ الدُّنْيا مُرَّةُ الآخِرَةِ، وَمُرَّةُ الدُّنْيا حُلْوَةُ الآخِرَةِ»(١).

أبو أيوب الأنصاري

خالد بن زيد بن كليب الخزرجي النجاري البدري، السيد الكبير، الذي خصّه النبي ﷺ بالنزول عليه في بني النجار إلى أن بُنِيَتْ له حجرة أم المؤمنين سودة وبُنِي المسجد الشريف. «السِّيَر».

عن أبي ظِبْيان قال: أغزى أبو أيوب فمرض، فقال: إذا متّ فاحملوني، فإذا صافقتم العدو فارموني تحت أقدامكم، أما إني سأحدثكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ، سمعته يقول: «مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ الجَنَّةَ»(٢).

وعنه قال: أتيت مصر فرأيت الناس قد قَفلوا من غزوهم، فأخبروني أنهم لما كانوا عند انقضاء مغزاهم حيث يراهم العدو حضر أبا أيوب الموت، فدعا الصحابة والناس فقال: إذا قبضتُ فلتركب الخيل، ثم سيروا حتى تلقوا العدو فيردوكم، فاحفروا لي وادفنوني ثم سووه، فلتطأ الخيل والرجال عليه حتى لا يُعرف، فإذا رجعتم فأخبروا الناس أن رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه أحمد (٥ / ٣٤٢)، وعنه الحاكم (٤ / ٣١٠)، وغيرهما، وصحح إسناده الحاكم، ووافقه الذهبي، وأقرهما شيخنا عليه رحمة الله في «الصحيحة» (١٨١٧).

(٢) قال الذهبي في «السير» (٢ / ٤١٢): «إسناده قوي» اهـ. وأخرجه أحمد (٥ / ٤١٩) وغيره، وهو في «طبقات ابن سعد» (٣ / ٤٨٤) عن أبي ظبيان عن أشياخه عن أبي أيوب.

وقوله ﷺ: «مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ...» إلخ. متفق عليه من حديث ابن مسعود.

أخبرني: أنه لا يدخل النار أحد يقول: لا إله إلا الله(١).

وعن أبي صِرْمَة، عن أبي أيوب أنه قال حين حضرته الوفاة: كنت كتمت عنكم شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَوْلَا أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ لَخَلَقَ اللَّهُ خَلْقاً يُذْنِبُونَ، يَغْفِرُ لَهُمْ»(٢).

شداد بن أوس

ابن ثابت بن المنذر بن حرام، أبو يعلى وأبو عبد الرحمن، الأنصاري النجاري الخزرجي، ابن أخي حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ، من فضلاء الصحابة وعلمائهم. «السِّيَر».

عن سفيان بن عيينة قال: سمعت الزهري يقول للناس يوماً: اجلسوا أحدثكم (وما سمعته قط قبل يومئذ يقول لهم: اجلسوا)، أخبرني محمود ابن الربيع، عن شداد بن أوس؛ أنه قال لما حضرته الوفاة: إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية(٣).

قلت: قيل: هي حب الرياسة.

عِمران بن حُصَيْن

ابن عبيد بن خلف، القدوة الإمام، صاحب رسول الله ﷺ، أبو نجيد الخزاعي، أسلم هو وأبوه وأبو هريرة في وقت، سنة سبع. «السِّيَر».

عن مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير أنه قال: بعث إليّ عمران بن

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢ / ٤١٢).
(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٨) وغيره.
(٣) «حلية الأولياء» (١ / ٢٦٨).

حُصَيْن في مرضه الذي توفي فيه، أو في وجعه الذي توفي فيه، فقال: إني كنت أحدثك أحاديث لعل الله أن ينفعك بها بعدي، فإن عشتُ فاكتم علي، وإن متّ فحدث به إن شئت، إنه قد سُلّم علي، واعلم أن نبي الله ﷺ جمع بين حج وعمرة ثم لم ينزل فيها كتاب ولم يُنه عنها نبي الله ﷺ، قال فيها رجل برأيه ما شاء(١).

وعن الحسن؛ أن عمران بن حصين اشتكى شكاةً شديدة، حتى جعلوا يأوون له من ذلك، فقال له بعض من يأتيه: لقد كان يمنعنا ما نرى بك من إتيانك. قال: فلا تفعل، فوالله إن أحبه إليّ لأحبه إلى الله(٢).

أبو ثعلبة الخُشَنِي

صاحب النبي ﷺ، قال الدارقطني وغيره: هو من أهل بيعة الرضوان، وأسهم له النبي ﷺ يوم خيبر، وأرسله إلى قومه. «السِّيَر».

عن أبي الزاهرية قال: سمعت أبا ثعلبة الخشني يقول: إني لأرجو أن لا يخنقني الله عز وجل كما أراكم تخنقون عند الموت. قال: فبينما هو يصلي في جوف الليل قُبِض وهو ساجد، فرأت ابنته أباها قد مات فاستيقظتْ فزعة، فنادت أمها: أين أبي؟ قالت: في مصلاه. فنادته فلم يجبها، فأيقظته فوجدته ساجداً، فحركته فوقع لجنبه ميتاً(٣).

وعن الوليد بن مسلم؛ أن أبا ثعلبة كان يقول: إني لأرجو أن لا يخنقني الله عز وجل كما يخنقكم. قال: فبينما هو في صرحة داره إذ نادى: يا عبد الرحمن، وقد قتل عبد الرحمن مع رسول الله ﷺ، فلما

(١) «طبقات ابن سعد» (٤ / ٢٩٠).
(٢) «طبقات ابن سعد» (٤ / ٢٩٠).
(٣) «حلية الأولياء» (٢ / ٣١).

أَحَسَّ بالموت أتى مسجد بيته فخر ساجداً، فمات وهو ساجد[١].

مَعْقِل بن يَسَار

المزني البصري صحابي جليل، شهد بيعة الرضوان، وكان هو الذي يرفع أغصان الشجرة عن وجه رسول الله ﷺ وهو يبايع الناس تحتها، وقد ولاه عمر إمرة البصرة فحفر بها النهر المنسوب إليه، فيقال: نهر معقل، وله بها دار. مات في البصرة في آخر خلافة معاوية. «البداية والنهاية» و «السِّيَر».

عن الحسن قال: عاد عبيدُ الله بن زياد[٢] معقل بن يسار المُزَني في مرضه الذي مات فيه، فقال معقل: إني محدثك حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، لو علمت أن لي حياة ما حدثتك، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ»[٣].

أبو هريرة

الإمام الفقيه المجتهد الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ، أبو هريرة الدَّوسي اليماني، سيد الحفاظ الأثبات. اختلف في اسمه على أقوال جمة، أرجحها: عبد الرحمن بن صخر. «السِّيَر».

---

(١) «حلية الأولياء» (٢ / ٣١).

(٢) أمير البصرة لمعاوية رضي الله عنه في ذلك الحين.

(٣) أخرجه البخاري (١٣ / ١٢٧ ـ فتح) وفي مواضع أُخر، ومسلم (١٤٢) كتاب الإيمان ـ باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، وكتاب الإمارة ـ باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر. . .، ولعله في مواضع أُخر.

عن سَلْم بن بشير بن جِحْل قال: بكى أبو هريرة في مرضه، فقيل له: ما يبكيك يا أبا هريرة؟ قال: أما إني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكني أبكي لبعد سفري، وقلة زادي، أصبحت في صُعُودِ مَهْبِطَةٍ على جنة ونار، فلا أدري إلى أيهما يُسْلَكُ بي[١].

وعن ابن شوذب قال: لما حضرته الوفاة بكى، فقيل له: يا أبا هريرة، ما يبكيك؟ قال: بُعْد المفازة، وقلة الزاد، وعقبة كؤود، المهبط منها إلى الجنة أو النار[٢].

وعن عبد الرحمن بن مِهران، عن أبي هريرة قال: إذا متّ فلا تضربوا عليَّ فُسطاطاً، ولا تتبعوني بنار (وفي رواية: بمجمر)، وأسرعوا بي إلى ربي، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا وُضِعَ العَبْدُ، أو: الرَّجُلُ الصَّالِحُ عَلَى سَرِيرِهِ قَالَ: قَدِّمُوني قَدِّمُوني، وَإِذَا وُضِعَ الرَّجُلُ السُّوءُ قَالَ: وَيْلَكُمْ أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِي؟»[٣].

وعن أبي معشر، عن سعيد قال: لما نزل بأبي هريرة الموت قال: لا تضربوا على قبري فُسطاطاً، ولا تتبعوني بنار، فإذا حملتموني فأسرعوا، فإن أكن صالحاً تأتون بي إلى ربي، وإن أكن غير ذٰلك فإنما هو شيء تطرحونه عن رقابكم[٤].

وعن أبي سلمة (ابن عبد الرحمن بن عوف) قال: دخلت على أبي هريرة وهو وجع شديد الوجع، فاحتضنتُه فقلت: اللهم اشف أبا هريرة.

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٤ / ٣٣٩).

(٢) «الزهد» لأحمد (ص ٢٢٣).

(٣) أخرجه أحمد (٢ / ٢٨٢ و٤٧٤ و٥٠٠) وغيره، وإسناده صحيح على شرط مسلم. كذا قال شيخنا في «الأحكام» (مسألة ٤٩).

(٤) «طبقات ابن سعد» (٤ / ٣٣٨).

قال: اللهم لا ترجعها. قالها مرتين.

ثم قال: إن استطعت أن تموت فمُتْ، فوالذي نفس أبي هريرة بيده، ليأتين على الناس زمان يكون الموت أحب إلى أحدهم من الذهبة الحمراء، وليأتين على الناس زمان يمر الرجل على قبر أخيه المسلم فيتمنى أنه صاحبه[(١)] [(٢)].

وعن المقبري، عن أبي هريرة؛ أن مروان دخل عليه في شَكْوِه الذي مات فيه، فقال: شفاك الله يا أبا هريرة. فقال أبو هريرة: اللهم إني أحب لقاءك فأحب لقائي.

قال: فما بلغ مروان أصحاب القطا حتى مات أبو هريرة[(٣)].

أبو بكْرة الثقفي

الطائفي، مولى النبي ﷺ، اسمه نُفَيْع بن الحارث، وقيل: نُفَيْع بن مسروح، تدلى في حصار الطائف ببَكْرة وفَرَّ إلى النبي ﷺ، وأسلم على يده، وأعلمه أنه عبد فأعتقه. وكان من فقهاء الصحابة. «السِّيَر».

عن عيينة بن عبد الرحمن: حدثني أبي قال: لما اشتكى أبو بَكْرة عرض عليه بنوه أن يأتوه بطبيب فأبى، فلما نزل به الموت، فعرف الموت من نفسه وعرفوه منه؛ قال: أين طبيبكم؟ ليردها إن كان صادقاً[(٤)]! فقالوا:

---

(١) وثبت في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ».

(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ٢٨٨).

(٣) «طبقات ابن سعد» (٤ / ٣٣٩).

(٤) يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [الواقعة: ٨٦ و٨٧].

وما يغني الآن؟! قال: وقبل الآن. فجاءت ابنته أمة الله، فلما رأت ما به بكت، فقال: أي بنية، لا تبكي. قالت: يا أبت، فإذا لم أبك عليك فعلى من أبكي؟! فقال: لا تبكي، فوالذي نفسي بيده ما على الأرض نفس أحب إلي من أن تكون قد خرجت من نفسي هذه، ولا نفس هذا الذباب الطائر، فأقبل على حمران (يعني: ابن أبان) وهو عند رأسه فقال: ألا أخبرك مم ذاك؟ قال: حسبت والله أن يوشك أن يجيء أمر يحول بيني وبين الإسلام[١].

وعن عبد العزيز بن أبي بَكْرَة؛ أن أبا بَكْرة تزوج امرأة من بني غُدَانة، وأنها هلكت فحملها إلى المقابر، فحال إخوتها بينه وبين الصلاة عليها، فقال لهم: لا تفعلوا؛ فإني أحق بالصلاة منكم. قالوا: صدق صاحب رسول الله ﷺ. فصلى عليها، ثم إنه دخل القبر فدفعوه دفعاً عنيفاً، فوقع مغشياً عليه، فحملوه إلى أهله، فصرخ عليه يومئذ عشرون من ابن وبنت.

قال عبد العزيز: وأنا يومئذ من أصغرهم. فأفاق إفاقة فقال لهم: لا تصرخوا عليّ، فوالله ما من نفس تخرج أحب إلي من نفس أبي بَكْرة. ففزع القوم فقالوا له: لم يا أبانا؟ قال: إني أخشى أن أدرك زماناً لا أستطيع أن آمر بمعروف ولا أنهى عن منكر، وما خير يومئذ[٢].

وعن الحسن قال: لما حضرت أبا بَكْرَة الوفاة قال: اكتبوا وصيتي. فكتب الكاتب: هذا ما أوصى به أبو بَكْرة صاحب رسول الله ﷺ. فقال أبو بَكْرة: أَكْتَنِي عند الموت! امح هذا واكتب: هذا ما أوصى به نفيع الحبشي مولى رسول الله ﷺ، وهو يشهد أن الله عز وجل ربه، وأن محمداً ﷺ نبيه، وأن الإسلام دينه، وأن الكعبة قبلته، وأنه يرجو من الله عز وجل ما

---

(١) «تاريخ دمشق» (٦٢/ ٢١٨).
(٢) «تاريخ دمشق» (٦٢/ ٢١٥).

يرجوه المعترفون بتوحيده، المقرون بربوبيته، الموقنون بوعده ووعيده، الخائفون من عذابه، المشفقون من عقابه، المؤملون لرحمته، إنه أرحم الراحمين[1].

حكيم بن حزام

ابن خويلد، أبو خالد القرشي الأسدي، أسلم يوم الفتح، وحسن إسلامه، وغزا حنيناً والطائف. وكانت خديجة عمته، وكان الزبير ابن عمه. «السِّيَر».

ذكر الذهبي في «تاريخ الإسلام»[2]: أنه دُخِل على حكيم عند الموت وهو يقول: لا إله إلا الله، قد كنت أخشاك، وأنا اليوم أرجوك.

وفي «تاريخ ابن عساكر»[3]: عن عثمان بن سليمان بن أبي خيثمة قال: كَبُرَ حكيم بن حزام حتى ذهب بصره، ثم اشتفى فاشتد وجعه، فقلت: والله لأحضرنه اليوم فلأنظرن ما يتكلم به عند الموت، فإذا هو يُهَمْهِمُ، فأصغيت إليه فإذا هو يقول: لا إله إلا الله، لا إله إلا أنت، أُحبك وأخشاك. فلم تزل كلمته حتى مات.

عَمرو بن العاص

ابن وائل، الإمام أبو عبد الله وأبو محمد السَّهْمي، داهية قريش ورجل العالَم، ومن يُضرب به المثل في الفطنة والدهاء والحزم، كان من

---

(١) «وصايا العلماء» للربعي (ص ٥٥)، وعنه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٢/ ٢١٩).
(٢) (٤/ ١٩٩).
(٣) (١٥/ ١٢٨-١٢٩).

أشراف ملوك العرب، ومن أعيان المهاجرين. «السِّيَر» و «تاريخ الإسلام».

روى مسلم في «صحيحه»[1] عن ابن شُمَاسَة المَهْري قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت، فبكى طويلاً وحوَّل وجهه إلى الجدار، فجعل ابنه يقول: يا أبتاه، أما بشّرك رسول الله ﷺ بكذا؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ قال: فأقبل بوجهه فقال:

إن أفضل ما نُعِدّ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، إني قد كنت على أطباق ثلاث: لقد رأيتني وما أجد أشد بغضاً لرسول الله ﷺ مني، ولا أحب إلي أن أكون قد استمكنت منه فقتلته، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار، فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعْك. فبسط يمينه. قال: فقبضتُ يدي، قال: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟». قال: قلت: أردت أن أشترط، قال: «تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟». قلت: أن يُغفر لي. قال: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلاَمَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟». وما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ولا أجلّ في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت، لأني لم أكن أملأ عيني منه، ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة، ثم وَلِينَا أشياء ما أدري ما حالي فيها، فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار، فإذا دفنتموني فشُنّوا عَلَيّ التراب شنّاً، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تُنحر جزور ويقسم لحمها، حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي.

وروى ابن المبارك في «الزهد»[2]: أخبرنا ابن لهيعة قال: حدثني

---

(١) (رقم ١٢١).

(٢) (١ / ٣٨١ / رقم ٤١٦).

يزيد بن أبي حبيب، عن عبد الرحمن بن شماسة حدثه قال: لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكى، فقال له عبد الله: لم تبكي؟ أجزع من الموت؟ قال: لا والله، ولكن ما بعد. فقال له: فكنت على خير، فجعل يذكره صحبة النبي ﷺ وفتوحه الشام، فقال عمرو بن العاص: تركت أفضل من ذلك كله؛ شهادة أن لا إله إلا الله. وذكره بنحوه.

ولفظه في «البداية والنهاية»[1]: لا والله، ولكن لما بعد الموت.

وعن حميد بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن عمرو؛ أن أباه قال حين احتُضِر: اللهم إنك أمرت بأمور ونهيت عن أمور، تركنا كثيراً مما أمرت، ورتعنا في كثير مما نهيت، اللهم لا إله إلا أنت. ثم أخذ بإبهامه، فلم يزل يهلل حتى فاض، رضي الله عنه[2].

وعن أبي نوفل بن أبي عقرب قال: جزع عَمرو بن العاص عند الموت جزعاً شديداً، فلما رأى ذلك ابنه عبد الله بن عمرو قال: يا أبا عبد الله، ما هذا الجزع وقد كان رسول الله ﷺ يدنيك ويستعملك؟! قال: أي بني، قد كان ذلك، وسأخبرك عن ذلك، إني والله ما أدري أحباً ذلك كان أم تألفاً يتألفني، ولكن أشهد على رجلين أنه قد فارق الدنيا وهو يحبهما: ابن سمية[3] وابن أم عبد[4]. فلما حدثه وضع يده موضع الغلال من ذقنه وقال: اللهم أمرتنا فتركنا، ونهيتنا فركبنا، ولا يسعنا إلا مغفرتك. وكانت تلك هِجِّيراه[5] حتى مات[6].

---

(١) (٨ / ٢٦).

(٢) «السير» (٣ / ٧٥).

(٣) هو عمار بن ياسر رضي الله عنه.

(٤) هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٥) أي: دأبه وشأنه.

(٦) «المسند» (٤ / ١٩٩ ـ ٢٠٠)، وهو في «الزهد» لابن المبارك (١ / ٣٨٠ / رقم ٤١٥).

وعن قتادة قال: لما احتُضِر عمرو بن العاص قال: كيلوا مالي. فكالوه فوجدوه اثنين وخمسين مُدّاً، فقال: من يأخذه بما فيه؟ يا ليته كان بعراً. قال: والمدّ ست عشرة أوقية، الأوقية مكوكان.

وعن الحسن قال: لما احتُضِر عَمرو بن العاص نظر إلى صناديق، فقال لبنيه: مَنْ يأخذها بما فيها؟ يا ليته كان بعراً. قال: ثم أمر الحرس فأحاطوا بقصره، فقال بنوه: ما هذا؟ فقال: ما ترون هذا يغني عني شيئاً؟!(١).

وعن عوانة بن الحكم قال: عَمرو بن العاص يقول: عجباً لمن نزل به الموت وعقله معه كيف لا يصفه! فلما نزل به قال له ابنه عبد الله بن عَمرو: يا أبت، إنك كنت تقول: عجباً لمن نزل به الموت وعقله معه كيف لا يصفه، فصف لنا الموت وعقلك معك. فقال: يا بني، الموت أجلّ من أن يوصف، ولكني سأصف لك منه شيئاً، أجدني كأن على عنقي جبال رضوى، وأجدني كأن في جوفي شوك السُّلاّء، وأجدني كأن نَفَسي يخرج من ثقب إبرة(٢).

وعن محمد بن عبد الله بن بحير بن ريسان قال: لما حضرت عمرو ابن العاص الوفاةُ قال له ابنه: يا أبتاه، إنك قد كنت تقول لنا: ليتني كنت ألقى رجلاً عاقلاً عند نزول الموت حتى يصف لي ما يجد، وأنت ذلك الرجل، فصف لي الموت. قال: والله يا بني، لكأن جنبيّ في تخت، وكأني أتنفس من سَمِّ إبرة، وكأن غصن الشوك يجر به من قدمي إلى هامتي. ثم قال:

ليتني كنت قبل ما قد بدا لي   في قِلال الجبال أرعى الوعولا

---

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٠٦).

(٢) «طبقات ابن سعد» (٤ / ٢٦٠).

والله ليتني كنت حيضاً عركتني الإماء بدريب الإذخر(١).

وعن ثابت البناني قال: كان عَمرو بن العاص على مصر فثَقُل، فقال لصاحب شرطته: أدخل وجوه أصحابك. فلما دخلوا نظر إليهم وقال: ها قد بلغتُ هذه الحال، ردوها عني. فقالوا: مثلك أيها الأمير يقول هذا؟! هذا أمر الله الذي لا مرد له. قال: قد عرفت، ولكن أحببت أن تتعظوا، لا إله إلا الله. فلم يزل يقولها حتى مات(٢).

وعن الحسن قال: بلغني أن عَمرو بن العاص لما كان عند الموت دعا حرسه فقال: أيّ صاحب كنت لكم؟ قالوا: كنت لنا صاحب صدق؛ تكرمنا وتعطينا وتفعل وتفعل. قال: فإني إنما كنت أفعل ذلك لتمنعوني من الموت، وإن الموت ها هو ذا قد نزل بي، فأغنوه عني. فنظر القوم بعضهم إلى بعض، فقالوا: والله ما كنا نحسبك تكلم بالعوراء يا أبا عبد الله، قد علمت أنا لا نغني عنك من الموت شيئاً. فقال: أما والله لقد قلتها وإني لأعلم أنكم لا تغنون عني من الموت شيئاً، ولكن والله لأن أكون لم أتخذ منكم رجلاً قد يمنعني من الموت أحب إلي من كذا وكذا، فيا ويح ابن أبي طالب إذ يقول: حرسٌ أُمراءُ أجلِه، ثم قال عَمرو: اللهم لا بريءٌ فأعتذر، ولا عزيزٌ فأنتصر، وإلا تدركني برحمة أكن من الهالكين(٣).

وعن أبي حرب بن أبي الأسود، عن عبد الله بن عمرو أنه حدثه؛ أن أباه أوصاه قال: يا بني، إذا مت فاغسلني غسلة بالماء، ثم جففني في ثوب، ثم اغسلني الثانية بماء قراح، ثم جففني في ثوب، ثم اغسلني الثالثة بماء فيه شيء من كافور، ثم جففني في ثوب، ثم إذا ألبستني الثياب فأزر

---

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٠٣)، و «كتاب المتمنين» (رقم ٩٣).

(٢) «السير» (٣/ ٧٦)، وانظر: «تاريخ ابن عساكر» (٤٦/ ١٩٨).

(٣) «طبقات ابن سعد» (٤/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠)، وانظر: «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٧٦).

علي؛ فإني مخاصم، ثم إذا أنت حملتني على السرير فامش مشياً بين المشيتين، وكن خلف الجنازة؛ فإن مقدمها للملائكة وخلفها لبني آدم، فإذا أنت وضعتني في القبر فسن علي التراب سناً. ثم قال: اللهم إنك أمرتنا فركبنا، ونهيتنا فأضعنا، فلا بريء فأعتذر، ولا عزيز فأنتصر، ولكن؛ لا إله إلا الله. ما زال يقولها حتى مات[1].

وعن محمد بن قيس الأسدي؛ أن عمرو بن العاص قال وهو في الموت: اللهم لا ذو قوة فأنتصر، ولا ذو براءة فأعتذر، اللهم إني مُقِرّ مذنب مستغفر[2].

وعن يعقوب بن عبد الرحمن، عن أبيه، أن عمرو بن العاص حين حضرته الوفاة ذرفت عيناه فبكى، فقال له ابنه عبد الله: والله يا أبه، ما كنت أخشى أن ينزل بك أمر من أمر الله عز وجل إلا صبرتَ عليه. فقال: يا بني، إنه نزل بأبيك خصال ثلاث: أما أولهن: فانقطاع عمله، وأما الثانية: فهول المُطَّلَع، وأما الثالثة: ففراق الأحبة[3]. ثم قال: اللهم إنك أمرتَ فتوانيتُ، ونهيتَ فعصيتُ، اللهم ومن يشمل العفو والتجاوز؟!‏[4].

وعن محمد بن زياد؛ أن عَمرو بن العاص حين حضره الموت قال: اللهم إنك أمرتنا بأشياء فتركناها، ونهيتنا عن أشياء فأتيناها. ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله (ثم قبض عليها بيده اليمنى)، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله (ثم قبض عليها بيده اليسرى). قال: فقُبِض وإن يديه لمقبوضتان[5].

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٤ / ٢٦٠).

(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٠٥).

(٣) زاد في «كتاب المحتضرين»: «وهي أيسرهن».

(٤) «تاريخ دمشق» (٤٦ / ١٩٥).

(٥) «تاريخ دمشق» (٤٦ / ١٩٦).

قال الذهبي[1]: (فائدة) قال الطحاوي: ثنا المزني، سمعت الشافعي يقول: دخل ابن عباس على عمرو بن العاص وهو مريض فقال: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت وقد أصلحت من دنياي قليلاً، وأفسدت من ديني كثيراً، فلو كان ما أصلحت هو ما أفسدت لفزت، ولو كان ينفعني أن أطلب طلبت، ولو كان ينجيني أن أهرب هربت، فعظني بموعظة أنتفع بها يابن أخي. فقال: هيهات يا أبا عبد الله! فقال: اللهم إن ابن عباس يقنطني من رحمتك، فخذ مِنِّي حتى ترضى.

عبد الله بن عَمرو بن العاص

ابن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عَمرو بن هُصَيص بن كعب ابن لؤي بن غالب، الإمام الحبر العابد، صاحب رسول الله ﷺ، وابن صاحبه، أبو محمد، وقيل: أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو نصير، القرشي الهاشمي، وله مناقب وفضائل ومقام راسخ في العلم والعمل، حمل عن النبي ﷺ علماً جمّاً. «السِّيَر».

عن هارون بن رئاب؛ أن عبد الله بن عَمرو لما حضرته الوفاة قال: انظروا فلاناً (لرجل من قريش)، فإني كنت قلت له في ابنتي قولاً كشبه العِدَة، ما أحب أن ألقى الله بثلث النفاق، وأشهدكم أني قد زوجته[2].

معاوية بن أبي سفيان

صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، أمير المؤمنين، مَلِك الإسلام، أبو عبد الرحمن القرشي الأموي

---

(١) «تاريخ الإسلام» (٤ / ٩٧ - ٩٨).
(٢) «تاريخ دمشق» (٣١ / ٢٨٦).

المكي، حدث عن النبي ﷺ، وكتب له مرات يسيرة، وحدث أيضاً عن أخته أم المؤمنين أم حبيبة، وعن أبي بكر وعمر. «السِّيَر».

عن عبد الأعلى بن ميمون بن مِهران، عن أبيه؛ أن معاوية قال في مرضه: كنت أوضىء رسول الله ﷺ يوماً، فنزع قميصه وكسانيه، فرفعته وخبأت قلامة أظفاره في قارورة، فإذا متّ فاجعلوا القميص على جلدي، واسحقوا تلك القلامة واجعلوها في عيني، فعسى الله أن يرحمني ببركتها.

[ثم قال متمثلاً بشعر الأشهب بن رُمَيْلة النَّهْشلي يمدح به القُباع[1]:

إذا مُتُّ ماتَ الجودُ وانقطع النّدى ... من الناس إلا من قليلٍ مُصَرَّدِ

ورُدَّتْ أَكُفُّ السائلين وأمسكوا ... من الدين والدنيا بخِلْفٍ مُجَدَّدِ][2]

وعن ثمامة بن كلثوم؛ أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال: أيها الناس، إني من زرع قد استحصد، وإني قد وليتكم، ولن يليكم بعدي إلا من هو شر مني، كما كان [من] قبلي خير مني، ويا يزيد، إذا وفى أجلي فولّ غسلي رجلاً لبيباً، فإن اللبيب من الله بمكان، فلينعم الغسل، وليجهر بالتكبير، ثم اعمد إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب النبي ﷺ وقراضة من شعره وأظفاره، فاستودع القراضة أنفي وفمي وأذني وعيني، واجعل الثوب يلي جلدي دون أكفاني، ويا يزيد احفظ وصية الله في الوالدين، فإذا أدرجتموني في جريدتي ووضعتموني في حفرتي فخلوا معاوية وأرحم الراحمين[3].

---

(١) هو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي. «الأعلام».

(٢) «تاريخ الإسلام» (٤ / ٣١٦)، و «تاريخ الطبري» (٥ / ٣٢٦ ـ ٣٢٧)، و «الكامل» لابن الأثير (٤ / ٧).

(٣) «كتاب المحتضرين» (رقم ٦٥)، و «مختصر تاريخ دمشق» (٢٥ / ٧٩).

وعن ابن سيرين قال: أخذت معاوية قرحة، فاتخذ لُحُفاً تُلقى عليه، فلا يلبث أن يتأذى بها، فإذا أُخذت عنه سأل أن ترد عليه، فقال: قبحك الله من دار! مكثت فيك عشرين سنة أميراً، وعشرين سنة خليفة، ثم صرت إلى ما أرى(١).

وعن أبي عمرو بن العلاء قال: لما حضرت معاوية الوفاة قيل له: ألا توصي؟ فقال:

هو الموت لا منجى من الموت والذي نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

اللهم أقِلِ العثرة، واعف عن الزَّلَّة، وتجاوز بحلمك عن جهل مَن لم يَرْجُ غيرك، فما وراءك مذهب(٢).

وعن عبد الملك بن عمير قال: لما ثقل معاوية قال: احشوا عيني بالإثمد، وأوسعوا رأسي دهناً. ففعلوا وبرقوا وجهه بالدهن، ثم مُهِّد له وأُجلس وسُنِد، ، ثم قال: ليدن الناس فليسلموا قياماً. فيدخل الرجل ويقول: يقولون: هو لما به وهو أصح الناس، فلما خرجوا قال معاوية:

وتجَلُّدي للشَّامتين أريهم أني لرَيْبِ الدهر لا أتَضَعْضَعُ

وإذا المَنِيَّةُ أنْشَبَتْ أظْفَارَها ألْفَيْتَ كلَّ تَميمةٍ لا تَنْفَعُ(٣)

وقيل إنه قال:

وإذا المَنِيَّةُ أنْشَبَتْ أظْفَارَها ألْفَيْتَ كلَّ تَميمةٍ لا تَنْفَعُ

ثم أُغمي عليه، ثم أفاق فقال لمن حضره من أهله: اتقوا الله، فإن

---

(١) «تاريخ الإسلام» (٤ / ٣١٧).

(٢) «تاريخ الإسلام» (٤ / ٣١٧).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣ / ١٦٠ ـ ١٦١)، والبيتان لشاعر هذيل أبي ذؤيب الهذلي خويلد ابن خالد.

الله يقي من اتقاه، ولا تُقى لمن لا يتقي الله. ثم قضى[1].

وعنه قال: دخل عمرو بن سعيد على معاوية في مرضه فقال: والله يا أمير المؤمنين، لقد انخرط أنفك، وذبُلت شفتاك، وتغير لونك، وما رأيت أحداً من أهل بيتك في مثل حالك إلا ما ترى. فقال معاوية:

فإن الموت لم يَخْلُقْ جديداً ... ولا هَضْباً تُوَقِّلُه الوِبارُ
ولكن كالشِّهاب يضي ويَخْبو ... وحادي الموت عنه ما يُحارُ
فهل من خالدٍ إمّا هَلَكْنا ... وهل بالموت يا لَلنَّاس عارُ[2]

وعن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس [بن أبي حازم] قال: أخرج معاوية يديه كأنهما عسيبا نخلٍ فقال: هل الدنيا إلا ما ذقنا وجربنا؟! والله لوددت أني لم أغْبُرْ فيكم إلا ثلاثاً ثم ألحق بالله. قالوا: إلى مغفرة الله ورضوانه. قال: إلى ما شاء الله، قد علم الله أني لم آلُ، ولو أراد الله أن يغيّر غيّر[3].

وعن عوانة [بن الحكم] قال: لما حضرت معاوية الوفاةُ احتوشه أهله، فقال لهم وهم يقلِّبونه: إنكم لتُقَلِّبون حُوَّلاً قُلَّباً[4] إن نجا من النار غداً. ثم قال:

لقد جمعتُ لكم من جَمْعِ ذي حسبٍ ... وقد كَفَيْتُكم التِّرْحال والنَّصَبا[5]

---

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ٦٧).
(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ٦٠).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣ / ١٦١).
(٤) الحُوّل: ذو التصرف والاحتيال في الأمور. والقُلَّب: أي الرجل العارف بالأمور، قد ركب الصعب والذلول، وقلبها ظهراً لبطن، وكان محتالاً في أموره حسن التقلب. «نهاية».
(٥) «كتاب المحتضرين» (رقم ٦٩).

وعن الحسن بن جهور، عن شيخ من قريش قال: دخلت جماعة على معاوية، فرأوا في جلده غضوناً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فهل الدنيا أجمع إلا ما قد جربنا ورأينا؟! أما والله لقد استقبلنا زهرتها بجدّتنا، وباستلذاذ منا لعيشنا، فما لبّثنا الدنيا أن نقضت ذلك منا حالاً بعد حال، وعُروة بعد عروة، فأصبحت الدنيا وقد وترتنا وأحلقتنا واستلامت إلينا، فأف للدنيا من دار، ثم أف للدنيا من دار[١].

وعن الوليد بن هشام القحذمي قال: لما حضرت معاوية الوفاة جعلوا يديرونه في القصر، فقال: هل بلغنا الخضراء؟ فصرخت ابنته رملة، فقال: ما أصرخك؟ قالت: نحن نُدَوِّر بك في الخضراء تقول: هل بلغت الخضراء بعد! فقال: إن عزب عقل أبيك فطالما وقر[٢].

ويروى أنه لما احتضر جعل يقول:

لعمري لقد عُمِّرتُ في الدهر برهةً ... ودانت ليَ الدنيا بوَقْعِ البَواترِ
وأُعطيتُ جَمَّ المال والحِلْم والنُّهى ... وَسِلْم قماقيم الملوك الجبابرِ
فأضحى الذي قد كان مما يسرني ... كلمحٍ مضى في المزمنات الغوابرِ
فيا ليتني لم أغن في الملك ساعةً ... ولم أغن في لذات عيشٍ نواضرِ
وكنتُ كذي طِمْرَيْن عاش ببُلْغَةٍ ... من الدهر حتى زار ضَنْكَ المقابرِ[٣]

وعن محمد بن عقبة قال: لما نزل بمعاوية الموت قال: ليتني كنت رجلاً من قريش بذي طوى وأني لم ألِ من هذا الأمر شيئاً[٤].

---

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ٦٢).
(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ٦٤).
(٣) «كتاب المحتضرين» (رقم ٧٢).
(٤) «كتاب المحتضرين» (رقم ٧٤).

وعن محمد بن أبي السائب المخزومي قال: جعل معاوية يقول وهو يجود بنفسه:

إن تُناقِشْ يكن نِقاشُكَ يا ربّ — عـذابـاً لا طَـوْقَ لـي بـالعقـابِ
أو تَجَـاوَزْ فـأنـت ربـي رحيـمٌ — عـن مسـيءٍ ذُنُـوبُـه كـالتـرابِ(١)

أبو سعيد الخدري

الإمام المجاهد مفتي المدينة، سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبْجَر بن عوف بن الحارث بن الخزرج. استشهد أبوه مالك يوم أحد، وشهد أبو سعيد الخندق وبيعة الرضوان، وحدث عن النبي ﷺ فأكثر وأطاب، وعن أبي بكر وعمر وطائفة. وكان أحد الفقهاء المجتهدين. «السِّيَر».

عن أبي سلمة، عن أبي سعيد الخدري؛ أنه لما حضره الموت دعا بثياب جُدُدٍ فلبسها، ثم قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ المَيِّتَ يُبْعَثُ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي يَمُوتُ فِيهَا»(٢).

النابغة الجعدي

أبو ليلى، شاعر زمانه، له صحبة ووفادة ورواية، وهو من بني عامر ابن صعصعة. يقال: عاش مئة وعشرين سنة، وشعره سائر كثير، وكان فيه

---

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ٧٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٣١١٤)، والحاكم (١ / ٣٤٠)، وغيرهما، وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي، وأقرهما الألباني في «الصحيحة» (١٦٧١).

دين وخير. «السِّيَر».

قال الذهبي[1]: رُوِي أن النابغة قال هذه الأبيات:

المــــــرءُ يَهـــــوى أن يَعِيـ ـــشَ وطـول عُمـرٍ قـد يَضُـرُّهْ
وتَتَــــابُـــعُ الأيـــام حتّـ ـــى مـا يـرى شيئـاً يَسُـرُّهْ
تَفْنـــى بَشَـــاشَتُـــهُ وَيَبْـ ـقـى بَعْـدَ حُلْـوِ العَيْـشِ مُـرُّهْ
[كـم شـامِـتٍ بـي إنْ هَلَكْـ ـــتُ وقـــائـــلٍ للّــهِ دَرُّهْ]

ثم دخل بيته فلم يخرج حتى مات.

عبد الله بن عمر

ابن الخطاب، الإمام القدوة شيخ الإسلام، أبو عبد الرحمن القرشي العدوي المكي ثم المدني، أسلم وهو صغير، ثم هاجر مع أبيه ولم يحتلم، واستصغر يوم أحد، فأول غزواته الخندق، وهو ممن بايع تحت الشجرة. «السِّيَر».

عن سعيد بن جبير قال: لما حضر ابنَ عمر الموتُ قال: ما آسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث: ظمأ الهواجر، ومكابدة الليل، وأني لم أقاتل هذه الفئة الباغية التي نزلت بنا. يعني: الحجاج[2].

وعن حبيب بن أبي ثابت قال[3]: بلغني عن ابن عمر في مرضه الذي مات فيه قال: ما أجِدُني آسى على شيء من أمر الدنيا إلا أني لم أقاتل الفئة الباغية[4].

---

(١) «تاريخ الإسلام» (٥/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩)، والزيادة من «الأمالي» للقالي (٢/ ٨).
(٢) «طبقات ابن سعد» (٤/ ١٨٥)، و «وصايا العلماء» (ص ٦٣).
(٣) «طبقات ابن سعد» (٤/ ١٨٧).
(٤) يعني: مع علي رضي الله عنه. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٣٢).

الحسن بن علي

ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، الإمام السيد، ريحانة رسول الله ﷺ وسبطه، وسيد شباب أهل الجنة، أبو محمد القرشي الهاشمي المدني الشهيد، كان يشبه جَدّه رسول الله ﷺ، قاله أبو جحيفة[1]. «السِّيَر».

عن عمير بن إسحاق قال: دخلت أنا ورجل على الحسن بن علي نعوده، فقال: يا فلان سلني. قال: لا والله لا أسألك حتى يعافيك الله ثم نسألك. قال: ثم دخل، ثم خرج إلينا فقال: سلني قبل أن لا تسألني، فقال: بل يعافيك الله ثم أسألك، قال: لقد ألقيت طائفة من كبدي، وإني سقيت السُّمّ مراراً فلم أُسْقَ مثل هذه المرة، ثم دخلت عليه من الغد وهو يجود بنفسه والحسين عند رأسه، وقال: يا أخي مَن تتهم؟ قال: لِمَ؟ لتقتله! قال: نعم، قال: إن يكن الذي أظن فالله أشد بأساً وأشد تنكيلاً، وإلا يكن فما أحب أن يقتل بي بريء. ثم قضى إلى رضوان الله تعالى عليه[2].

وعن رقبة بن مصقلة قال: لما حُضِر الحسن بن علي قال: أخرجوني إلى الصحراء لعلي أنظر في ملكوت السماء، فلما أخرج به قال: اللهم إني احتسبت نفسي عندك، فإنها أعز الأنفس عليّ[3].

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٥٦٣ و٥٦٤ ـ فتح)، ومسلم (٢٣٤٣)، عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ، وكان الحسن بن علي عليهما السلام يشبهه. هذا لفظ البخاري.

(٢) «حلية الأولياء» (٢/ ٣٨ ـ ٣٩).

(٣) «حلية الأولياء» (٢/ ٣٨ ـ ٣٩).

الحسين بن علي

الشهيد الإمام الشريف الكامل، سِبْط رسول الله ﷺ، وريحانته من الدنيا، ومحبوبه، أبو عبد الله بن أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي. (ت ٦١). «السِّيَر».

عن محمد بن الحسن قال[١]: لما نزل عمر بن سعد بحسين وأيقن أنهم قاتلوه قام في أصحابه خطيباً، فحمد الله عز وجل وأثنى عليه، ثم قال: قد نزل ما ترون من الأمر، وإن الدنيا تغيرت وتنكرت، وأدبر معروفها، واستمرت حتى لم يبق منها إلا كصبابة الإناء، إلا خسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون الحق لا يعمل به، والباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، وإني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا بَرَماً[٢].

عبد الله بن الزبير

ابن العوّام، أمير المؤمنين، أحد الأعلام، وَلَدُ الحواري الإمام أبي عبد الله ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريِّه. وهو أول مولود للمهاجرين بالمدينة، وله صحبة ورواية أحاديث، عداده في صغار الصحابة، وإن كان كبيراً في العلم والشرف والجهاد والعبادة. «السِّيَر».

عن إسحاق بن أبي إسحاق قال: حضرتُ قَتْلَ ابن الزبير؛ جَعَلَتِ

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣ / ١١٤ ـ ١١٥ / رقم ٢٨٤٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢ / ٣٩)، وغيرهما، وقال الهيثمي في «المجمع» (٩ / ١٩٣): «محمد بن الحسن هذا هو ابن زبالة متروك، ولم يدرك القصة».

(٢) أي: مللاً وسآمة.

الجيوش تدخل عليه من أبواب المسجد، فكلما دخل قوم من باب حَمَلَ عليهم وحده حتى يُخرجهم، فبينا هو على تلك الحال إذ وقعت شُرْفَةٌ من شُرُفات المسجد على رأسه فصرعته، وهو يتمثل:

أسماءُ يا أسماءُ لا تبكيني لم يَبْقَ إلا حَسَبي وديني

وصارمٌ لاثَتْ به يَميني[1]

ويروى أنه قيل لابن الزبير: ألا تكلمهم في الصلح؟ فقال: أوحين صلح هذا، والله لو وجدوكم في جوف الكعبة لذبحوكم جميعاً. ثم قال:

ولست بمبتاع الحياة بسُبَّةٍ ولا مُرْتَقٍ من خَشْية الموت سُلّما

أنافس سهماً إنه غير بارحٍ مُلاقي المنايا أَيَّ صَرْفٍ تيمّما

قال: وكان على ظهر المسجد طائفة من أعوان ابن الزبير يرمون عدوه بالآجُرّ، وحمل ابن الزبير فأصابته آجُرّة في مفرقه فَلَقَتْ رأسه[2].

ويروى أنه حَمَل حتى بلغ الحَجُون، فأصيب بآجرة في وجهه شجته، فقال:

ولَسْنا على الأعقاب تَدْمى كُلُومُنا ولكنْ على أقْدامنا تَقْطُرُ الدِّمَا[3]

وعن عباس بن سهل بن سعد قال: سمعت ابن الزبير يقول: ما أُراني اليوم إلا مقتولاً، ولقد رأيت في الليلة هذه كأن السماء فرجت لي فدخلتها، فقد والله مَلَلْتُ الحياة وما فيها. ولقد قرأ في الصبح يومئذ متمكناً: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾، حرفاً حرفاً، وإن سيفه لمسلول إلى جنبه، وإنه ليتم الركوع والسجود كهيئته قبل ذلك[4].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣ / ٣٧٧).

(٢) «تاريخ الإسلام» (٥ / ٣١١).

(٣) «تاريخ الإسلام» (٥ / ٣١٥).

(٤) «تاريخ دمشق» (٢٨ / ٢٢٦).

وعن عبد الملك بن وهب، عن شيخ من أسلم قال: سمعت ابن الزبير يقول يوم قُتل: والله لقد مَلَلْتُ الحياة، ولقد جاوزت سن أبي، هذه لي ثنتان وسبعون سنة، اللهم إني قد أحببت لقاءك فأحبب لقائي، وجاهدتُ فيك عدوك فأثبني ثواب المجاهدين. قال: فقتل ذلك اليوم[١].

وفي «تاريخ الإسلام»[٢]: ثم قام فحمد الله وأثنى عليه، وأوصى بالثبات.

أنس بن مالك

ابن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جُنْدب بن عامر بن غَنْم بن عدي بن النجار، الإمام المفتي المقرىء المحدث راوية الإسلام، أبو حمزة الأنصاري الخزرجي النجاري المدني، خادم رسول الله ﷺ وتَبَعُه، وآخر أصحابه موتاً. (ت ٩٣). «السِّيَر».

قال ابن كثير[٣]: وقيل له في مرضه: ألا ندعو لك طبيباً؟ فقال: الطبيب أمرضني، وجعل يقول: لَقِّنُوني «لا إله إلا الله». وهو مُحْتَضَر، فلم يزل يقولها حتى قُبض.

حُجْر بن عَدِي

أبو عبد الرحمن الشهيد، له صحبة ووفادة. وكان شريفاً أميراً مطاعاً، أمّاراً بالمعروف مُقْدِماً على الإنكار. وكان ذا صلاح وتعبد. «السِّيَر».

لما أُرِيدَ قتله قال: يا قوم، دعوني أصلي ركعتين. فتركوه، فتوضأ

---

(١) «تاريخ دمشق» (٢٨ / ٢٢٦).

(٢) «المسند» (٥ / ٣١٤).

(٣) «البداية والنهاية» (٩ / ٩٢).

وصلى ركعتين، فطَوَّل، فقيل له: طَوَّلْتَ، أجَزِعْتَ؟ فقال: ما صليت صلاة أخَفَّ منها، ولئن جزعتُ لقد رأيتُ سيفاً مشهوراً، وكفناً منشوراً، وقبراً محفوراً.

وقال: اللهم إنا نستعديك على أمتنا، فإن أهل العراق شهدوا علينا، وإن أهل الشام قتلونا. فقيل له: مُدَّ عنقك، فقال: إن ذاك لدم ما كنت لأُعين عليه.

وعن ابن عون، عن محمد (هو ابن سيرين) قال: لما أُتِيَ بحُجْرٍ قال: ادفنوني في ثيابي، فإني أُبعث مخاصماً.

وعن هشام بن حسان، عن محمد قال: لما أُتِيَ معاوية بحُجْرٍ قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. قال: أوَأمير المؤمنين أنا؟! اضربوا عنقه. فصلى ركعتين وقال لأهله: لا تطلقوا عني حديداً، ولا تغسلوا عني دماً، فإني مُلاقٍ معاويةَ على الجادّة[1].

غُضَيْف بن الحارث

ابن زُنَيْم، أبو أسماء السَّكُوني الكِندي الشامي، عداده في صغار الصحابة، وله رواية. (توفي في حدود سنة ثمانين). «السِّيَر».

عن صفوان بن عَمرو قال: حضر غُضَيْفاً أشياخ من الجند حين اشتد مرضه، فقال: ما منكم أحد يقرأ ﴿يسٓ﴾؟ فقرأها صالح بن شريح السكوني، فما عدا أن قرأ أربعين آية منها، فمات.

فقال الأشياخ: إذا قرئت عند الميت خفف الله بها عنه[2].

---

(١) هذا والذي قبله في «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦).

(٢) «طبقات ابن سعد» (٧/ ٤٤٣).

قلت: يرجى ذلك بها وبغيرها من سور القرآن الكريم، ولم يثبت شيء فيها فيما أعلم، وإن كان ولا بد من تعيين قراءة أو دعاء، فليكن بالوارد عن النبي ﷺ من الرقى والأدعية المختصة بذلك، وعلى كلٍّ فإن ابن سعد لم يسند القصة، ولو فعل فإنها كما ترى عن أشياخ من الجند لا يعرف من هم.

ثم وجدت الإمام أحمد قد أسندها عن الأشياخ أيضاً، فقال(١): حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان، حدثني المشيخة. فذكرها.

وفي «وصايا العلماء» للربعي: حدثنا أبي، نا محمد بن علي بن زيد، نا سعيد بن منصور، نا فرج بن فضالة، عن أسد بن وداعة؛ قال: لما حضر غُضَيْفَ بن الحارث الموتُ حضره إخوته فقال: هل فيكم من يقرأ سورة ﴿يسٓ﴾؟ القصة.

قلت: فرج بن فضالة ضعيف، كما في «التقريب».

وأقول: ثم وجدت شيخنا في «إرواء الغليل» يقول عن المشيخة المذكورين: لكن جهالتهم تنجبر بكثرتهم لاسيما وهم من التابعين. اهـ.

وأما في «أحكام الجنائز» فعَدّ قراءة ﴿يسٓ﴾ على المُحْتَضَر من البدع!

هذا، وقد أفتى شيخ الإسلام باستحباب قراءتها على المُحْتَضَر، كما في «الاختيارات».

الوليد بن عقبة

ابن أبي مُعَيْط بن أبي عَمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، الأمير أبو وهب الأموي، له صحبة قليلة ورواية يسيرة، وهو أخو أمير المؤمنين عثمان لأمه، من مسلمة الفتح، وولي الكوفة لعثمان، وجاهد بالشام، ثم اعتزل بالجزيرة بعد قتل أخيه عثمان، ولم يحارب مع أحد من

---

(١) «المسند» (٤/ ١٠٥).

الفريقين، وكان سخياً ممدحاً شاعراً، وكان يشرب الخمر[1]، وقد بعثه عمر على صدقات بني تغلب، وقبره بقرب الرقة. وكان مع فسقه[2] ـ والله يسامحه ـ شجاعاً قائماً بأمر الجهاد. «السِّيَر».

عن عبد الله بن المبارك قال: قال الوليد بن عقبة حين حضره الموت: اللهم إن كان أهل الكوفة صدقوا علي فلا تبارك لي فيما أُقدم عليه واجعل مردّي شر مرد، وإن كانوا كذبوا علي فاجعله كفارة لما لا يعلمون من ذنوبي[3].

ابن أبي سَرْح

عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح بن الحارث، الأمير، قائد الجيوش، أبو يحيى القرشي العامري، من عامر بن لؤي بن غالب. هو أخو عثمان من الرضاعة، له صحبة ورواية حديث. «السِّيَر».

عن يزيد بن أبي حبيب قال: لما حضرت عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح الوفاة وهو بالرملة، وكان خرج إليها فاراً من الفتنة، فجعل يقول لهم من الليل: أصبحتم؟ فيقولون: لا. فلما كان عند الصبح قال: يا هشام بن كنانة، إني لأجد برد الصبح فانظر. ثم قال: اللهم اجعل خاتمة عملي الصبح. فتوضأ ثم صلى، فقرأ في أول ركعة بأم القرآن والعاديات، وفي الأخرى بأم القرآن وسورة، فسلم عن يمينه، وذهب يسلم عن يساره فقبض الله روحه[4].

---

(١) انظر «صحيح مسلم» (رقم ١٧٠٧) كتاب الحدود ـ باب حد الخمر.

(٢) قال ابن عبد البر في «الاستيعاب»: «ولا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمتُ؛ أن قوله عز وجل: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ...﴾ نزلت في الوليد بن عقبة».

(٣) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٠٩).

(٤) «تاريخ دمشق» (٢٩ / ٤٣).

سعد بن تميم

السَّكُوني، ويقال: الأشعري، أبو بلال الواعظ الشامي الدمشقي، له صحبة ورواية. «الاستيعاب».

عن بلال بن سعد قال: لما حضرت أبي الوفاة قال لي: يا بني، ادع بنيك. فأمرت أهلي فألبسوهم قمصاً بيضاً، فقال: اللهم إني أعيذهم من الكفر وضلالة العمل، ومن السباء والفقر إلى بني آدم(١).

أبو هاشم بن عتبة

ابن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي العبشمي، أخو الصحابي أبي حذيفة، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه وجاهد، وسكن الشام، وكان صالحاً ديِّناً، له رواية عن النبي ﷺ. مات في خلافة عثمان، وهو أخو الشهيد مصعب بن عمير لأمه، وخال الخليفة معاوية. «السِّيَر».

عن سمرة بن سهم قال: نزلت على أبي هاشم بن عتبة وهو طعين، فأتاه معاوية يعوده، فبكى أبو هاشم، فقال معاوية: ما يبكيك؟ أوجع يُشْئِزُك أم على الدنيا، فقد ذهب صفوها؟ قال: كل لا، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلي عهداً ودِدْتُ أني كنتُ تَبِعْتُه؛ قال: «إِنَّهُ لَعَلَّكَ تُدْرِكُ أَمْوَالاً تُقْسَمُ بَيْنَ أَقْوَام، وَإِنَّمَا يَكْفِيكَ مِنْ ذَلِكَ خَادِمٌ وَمَرْكَبٌ في سَبِيلِ اللَّهِ». فأدركتُ فجمعتُ(٢).

قال الذهبي(٣): وفي رواية مرسلة: فيا ليتها بعراً محيلاً.

---

(١) «حلية الأولياء» (٥ / ٢٣٢).

(٢) أخرجه النسائي (٨/ ٢١٨)، وابن ماجه (٤١٠٣)، وغيرهما، وحسنه شيخنا رحمه الله.

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١ / ١٦٧).

أُهبان بن صيفي

الغفاري من بني حرام بن غفار، سكن البصرة، يكنى أبا مسلم، وقيل: وهبان، سمع النبي ﷺ. «أُسد الغابة».

عن عُدَيسة بنت أهبان بن صيفي قالت: جئت حين حضر أبي الوفاة فقال: لا تكفنوني في قميص مخيط. فحيث قبض وغسل دعوا بالكفن، فقالوا: قميص. قلت: إن أبي قد نهاني أن أكفنه في قميص مخيط، قالوا: لا بد. فأرسلت إلى القصار ولأبي قميص في القصارة، فأُتي به، فأُلبس وذُهب به، وأغلقت بابي واتبعته، ورجعت إلى منزلي والقميص في البيت، فأرسلت إلى الذين غسلوا أبي، فقلت: كفنتموه في قميصه؟ قالوا: نعم. قلت: هو هذا؟ قالوا: نعم[١].

قال الذهبي في «تاريخ الإسلام»[٢]: له قصة مشهورة صحيحة عن بنته؛ قال لما احتُضِر: كفنوني في ثوبين. فزدناه ثوباً [ثالثاً؛ قميصاً][٣]، فدفناه فيه، فأصبح ذلك القميص موضوعاً على المشجب[٤].

قيس بن عاصم

ابن سنان بن خالد بن مِنْقَر بن عبيد بن مقاعس، واسم مقاعس: الحارث بن عَمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم المِنْقَري، وفد على النبي ﷺ في وفد بني تميم، وأسلم سنة تسع، وكان عاقلاً حليماً مشهوراً بالحلم، وكان قد حَرّم على نفسه الخمر في الجاهلية. «أُسد الغابة».

---

(١) «المطالب العالية» (١ / ٢٠١ ـ ٢٠٢).

(٢) (٤ / ٢٥).

(٣) زيادة من «أسد الغابة».

(٤) (المشجب): عيدان تُضَمّ رؤوسها ويفرج بين قوائمها، وتوضع عليها الثياب. «لسان».

عن الحسن البصري قال: لما حضرت قيس بن عاصم الوفاة دعا بنيه فقال: يا بني، احفظوا عني فلا أحد أنصح لكم مني، إذا أنا متّ فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم؛ فتسفه الناس كباركم وتهونوا عليهم، وعليكم بإصلاح المال؛ فإنه منبهة للكريم، ويستغنى به عن اللئيم، وإياكم ومسألة الناس؛ فإنها أَخِرُ كسب المرء، ولا تقيموا عليّ نائحة، فإني سمعت رسول الله ﷺ نهى عن النائحة(١).

(وفي رواية): وإذا أنا مت فكفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها وأصوم(٢).

سعيد بن العاص الأموي

ابن أبي أُحَيْحة سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي، القرشي الأموي المدني الأمير، قتل أبوه يوم بدر مشركاً، وخلف سعيداً طفلاً. قال أبو حاتم: له صحبة. وكان أميراً شريفاً جواداً مُمَدَّحاً حليماً وقوراً ذا حزم وعقل، يصلح للخلافة. «السِّيَر».

ذكر الذهبي في «تاريخ الإسلام»(٣) عن عبد الملك بن عمير، عن أبيه قال: لما احتُضِر سعيد بن العاص رضي الله عنه جمع بنيه فقال: أيكم يَكْفَل دَيْني؟ فسكتوا، فقال: ما لكم لا تَكَلَّمون؟ فقال عمرو الأشدق ـ وكان عظيم الشدقين ـ: وكم دَيْنك يا أبت؟ قال: ثلاثون ألف دينار، قال: فيم

---

(١) «أُسد الغابة» (٣ / ٥٠٣ / رقم ٤٣٧١). ثم وجدته في «الأدب المفرد» (٧٣٠ - صحيحه). وانظر: «أمالي الزجاجي» (ص ٢٩). وفي «سنن النسائي» (٤ / ١٦): عن قيس بن عاصم قال: لا تنوحوا عليَّ، فإن رسول الله ﷺ لم ينح عليه. وصحح شيخنا إسناده.

(٢) «وصايا العلماء» (ص ٦٠).

(٣) (٥ / ٢٠٣).

استدنتها؟ قال: في كريم سددت فاقته، ولئيم فديت عِرضي منه. فقال: هي عَلَيَّ.

وفي «المنتظم»[(١)]: ولما احتُضِر سعيد قال لبنيه: لا يفقدن مني إخواني غير وجهي؛ فاصنعوا لهم ما كنت أصنع، وأجروا عليهم ما كنت أُجري، فاكفوهم مؤونة الطلب، فإن الرجل إذا طلب الحاجة اضطربت أركانه وارتعدت فرائصه مخافة أن يرد، فوالله لرجل يتململ على فراشه يراكم موضعاً لحاجة أعظم عليكم منّة منكم عليه بما تعطونه.

أبو عطية المذبوح

عبد الرحمن بن قيس الحمصي، أبو عطية، شهد اليرموك فأصابه سهم فنحره، ولم يقطع الأوداج، فعاش دهراً. «نزهة الألباب».

قلت: وذكره بعضهم في الصحابة[(٢)].

عن حماد بن سعيد بن أبي عطية المذبوح قال: لما حضر أبا عطية الموتُ جزع منه، فقيل له: أتجزع من الموت؟ فقال: وما لي لا أجزع من الموت، فإنما هي ساعة ثم لا أدري أين يُسلك بي[(٣)].

انتهت أقوال الصحابة

* * * * *

---

(١) (٤/ ١١٥).

(٢) راجع «الإصابة» و «تاريخ ابن عساكر» (٣٥/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠).

(٣) «الزهد» لابن المبارك (١/ ٣٨٠/ رقم ٤١٤).

الحارث بن كَلَدَة

الحارث بن كَلَدَة بن عمرو بن أبي علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى ابن غِيَرَةَ بن عوف بن ثقيف الثقفي طبيب العرب، وأحد الحكماء المشهورين، من أهل الطائف، مولده قبل الإسلام، وبقي أيام النبي ﷺ وأيام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية، واختلفوا في إسلامه (ت نحو ٥٠). «الإصابة» و «الأعلام».

قال ابن القيم في آخر كتاب «الطب النبوي»: لما احتُضِر الحارث اجتمع إليه الناس، فقالوا: مرنا بأمر ننتهي إليه من بعدك. فقال: لا تتزوجوا من النساء إلا شابة، ولا تأكلوا من الفاكهة إلا في أوان نُضجها، ولا يتعالجن أحدكم ما احتمل بدنه الداء، وعليكم بتنظيف المعدة في كل شهر، فإنها مذيبة للبلغم[١]، مهلكة للمرة، منبتة للحم، وإذا تغدى أحدكم، فلينم على إثر غدائه ساعة، وإذا تعشى فليمش أربعين خطوة.

أُمية بن أبي الصلت

واسم أبي الصلت ربيعة بن عوف، كان أمية قد قرأ الكتب المتقدمة، ورغب عن عبادة الأوثان، وأخبر أن نبياً قد أظل زمانه، وكان يؤمن أن يكون هو ذلك النبي، فلما بلغه خروج رسول الله ﷺ كفر به حسداً له. «المنتظم».

وقال رسول الله ﷺ: «كَادَ أُمَيَّةُ بنُ أَبِي الصَّلْتِ أنْ يُسْلِمَ»[٢].

عن محمد بن إسماعيل بن الطريح بن إسماعيل الثقفي، عن أبيه، عن

---

(١) في «الإصابة»: «وعليكم بالنُّورَة في كل شهر، فإنها مذهبة للبلغم».

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ١٤٩ ـ فتح) وفي مواضع أخر، ومسلم (٢٢٥٦)، وغيرهما.

جد أبيه قال: شهدت أمية بن أبي الصلت حين حضرته الوفاة، فأغمي عليه طويلاً، فرفع رأسه ونظر إلى باب البيت فقال:

لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما
لا قوي فأنتصر ولا بريء فأعتذر

ثم أغمي عليه طويلاً، ثم أفاق فرفع رأسه ونظر إلى باب البيت فقال:

لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما
لا عشيرتي تحميني ولا ذو مال يفديني

ثم أغمي عليه طويلاً، ثم أفاق فرفع رأسه فقال:

كُلّ حَيٍّ وإنْ تَطَاول دَهْراً صائرٌ مرةً إلى أنْ يَزُولا
ليتني كنتُ قبلَ ما قَدْ بدا لِي في قِلالِ الجبالِ أرْعى الوُعُولا

ثم فاضت نفسه[1].

الحطيئة

جرول بن أوس بن مالك، الحطيئة الشاعر، لقب بالحطيئة لقربه من الأرض؛ فإنه كان قصيراً، وهو من فحول الشعراء وفصحائهم، وكان ذا شر، ونسبه متدافع بين القبائل، كان ينتمي إلى كل واحدة منها إذا غضب على الأخرى، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم ثم ارتد، وقال:

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا فيا لعباد الله ما لأبي بكر
أيورَثُها بكرٌ إذا مات بعده وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

(١) «المنتظم» (٢ / ٢٥٠).

(ت في حدود ٣٠). «فوات الوفيات».

وقيل: عاش إلى خلافة معاوية. «الإصابة».

قال الكتبي[1]: لما حضرت الحطيئة الوفاة واجتمع إليه قومه، فقالوا: يا أبا مليكة، أوص. فقال: ويل للشعراء من رواة السوء. فقالوا له: أوص يرحمك الله! فقال: من هو الذي يقول:

إذا أنبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلى أوجعتها الجنائز

فقالوا: أوص ويحك بما ينفعك! فقال: أبلغوا امرأ القيس أنه أشعر العرب حيث يقول:

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مُغار الفتل شدت بيذبل

فقالوا: اتق الله ودع عنك هذا. فقال: أبلغوا الأنصار أن شاعرهم أشعر العرب حيث يقول:

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

فقالوا: إن هذا لا يغني عنك شيئاً، فقل غير ما أنت فيه. فقال:

الشعر صعبٌ وطويلٌ سُلَّمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زلت به إلى الحضيض قدمه يريد أن يُعْربه فيعجمه

فقالوا: هذا مثل ما كنت فيه، فقال:

قد كنتُ أحياناً شديد المعتمدْ وكنتُ ذا غربٍ على الخصم الألدْ

فورَدَتْ نفسي وما كادت تردْ

فقالوا: يا أبا مليكة، ألك حاجة؟ قال: لا، ولكنني أجزع على المديح الجيد يمدح به من ليس له أهلاً. فقالوا: من أشعر الناس؟ فأومأ

---

(١) «فوات الوفيات» (١ / ٢٧٨ ـ ٢٧٩).

بيده إلى فيه وقال: هذا إذا طمع في خير. واستعبر باكياً.

فقالوا له: قل: لا إله إلا الله. فقال:

قـالـت وفيهـا حَيْـدَةٌ وذُعـرُ عَـوْذٌ بـربـي منكـم وحُجْـرُ

قالوا: ما تقول في عبيدك وإمائك؟ قال: هم عبيدُ قِنٌّ ما عاقب الليل والنهار. قالوا: فأوص للفقراء بشيء. قال: أوصيهم بالإلحاح في المسألة، وإست المسؤول أضيق. قالوا: فما تقول في مالك؟ قال: للأنثى مثل حظ الذكر. قالوا: ليس هكذا قضى الله عز وجل. قال: لكني هكذا قضيت. قالوا: فما توصي لليتامى؟ قال: كلوا أموالهم وافعلوا بأمهاتهم. قالوا: فهل تعهد غير هذا؟ قال: نعم، احملوني على أتان وتتركوني راكباً حتى أموت، فإن الكريم لا يموت على فراشه، والأتان مركب لم يمت عليه كريم قط، فحملوه على أتان، وجعلوا يذهبون به ويجيؤون حتى مات، وهو يقول:

لا أحـدٌ ألأمُ مـن حُطَيّـهْ هجـا بنيـه وهجـا المَـرِيّـهْ

مِـنْ لـؤمـه مـات علـى فُـرَيّـهْ[1]

وعن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: لما حضرت الحطيئة الوفاة قيل له: أوص. قال: أوصي المساكين بالمسألة. قيل له: أوص في مالك؟ قال: مالي للذكور دون الإناث. قيل: ليس هذا قضاء الله. قال: لكني أقوله. ثم قال: احملوني على حمار؛ فإنه من يمت عليه كريم[2].

* * * * *

---

(١) الفُرِيّة: الأتان (الحمارة).

(٢) «حلية الأولياء» (٩ / ١٣٦).

الباب الرابع

في أقوال التابعين
ومن بعدهم من جميع أصناف الناس

عمرو بن عتبة

ابن فرقد السلمي، من كبار تابعي أهل الكوفة، مشهور بالتعبد والزهد، شغلته العبادة عن الرواية، استشهد في غزوة أَذْرَبِيْجان، وذلك في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه. «الحلية» و «صفة الصفوة».

قال عبد الله بن المبارك: أنبأنا عيسى بن عمر، عن السدي قال: حدثني ابن عم لعَمرو بن عتبة، قال: نزلنا في مرج حسن فقال عَمرو بن عتبة: ما أحسن هذا المرج! ما أحسن الآن لو أن منادياً نادى: يا خيل الله اركبي! فخرج رجل فكان في أول من لقي، فأصيب ثم جيء به فدفن في هذا المرج.

قال: فما كان بأسرع من أن نادى مناد: يا خيل الله اركبي. فخرج عمرو في سرعان الناس في أول من خرج، فأُتِي عتبةُ فأُخْبِرَ بذلك، فقال: علَيّ عمراً، علَيّ عمراً. فأرسل في طلبه، فما أُدْرك حتى أُصيب. قال: فما رآه دُفِن إلا في مركز رمحه، وعتبة يومئذ على الناس.

قال: وقال غير السدي: أصابه جرح فقال: والله إنك لصغير! وإن الله تعالى ليبارك في الصغير، دعوني في مكاني هذا حتى أمسي، فإن أنا عشت فارفعوني. قال: فمات في مكانه ذلك[1].

وعن عبد الرحمن بن زيد قال: خرجنا في جيش فيهم علقمة ويزيد

---

(١) «حلية الأولياء» (٤/ ١٥٦).

ابن معاوية النَّخَعي وعمرو بن عتبة ومعضد العجلي، قال: فخرج عمرو بن عتبة وعليه جبة جديدة بيضاء، فقال: ما أحسنَ الدمَ يتحدر على هذه! قال: فأصابه حجر فشَجّه. قال: فتحدر الدم عليها، فمات منها، فدفناه[١].

زيد بن صُوحان

كان من العلماء العباد، أسلم في حياة النبي ﷺ، ولا صحبة له، وسمع من عُمر وعلي وسلمان، قتل يوم الجمل. (ت ٣٦). «السِّيَر».

عن غيلان بن جرير قال: ارْتُثَّ[٢] زيدُ بن صُوحان يوم الجَمَل، قال: فدخلوا عليه ناس من أصحابه فقالوا: أبشر أبا سلمان بالجنة. فقال: تقولون قادرين، أو النار فلا تدرون، إنا غزونا القوم في بلادهم وقتلنا أميرهم، فليتنا إذ ظُلِمْنا صبرنا[٣].

وعن يزيد بن هارون، عن العوام بن حَوْشب، عن الحي ابن مات فيهم زيد بن صوحان، نحوه.

ثم قال: شُدّوا عَلَيَّ إزاري، فإني مُخاصِم، وأفضُوا لحدي إلى الأرض، وأسرعوا الانكفاف عني[٤].

وعن العَيْزار بن حُرَيْث، عن زيد قال: لا تغسلوا عني دماً، ولا تنزعوا عني ثوباً إلا الخفين، وارْمِسُوني في الأرض رمساً، فإني رجل مخاصم أُحَاجُّ يوم القيامة[٥].

---

(١) [١٥]. وانظر: «صفة الصفوة» (٣/ ٧٠ - ٧١).

(٢) في «اللسان»: «يقال للرجل إذا ضُرِب في الحرب فأُثخن، وحمل وبه رَمَق ثم مات: قد ارْتُثَّ فلان».

(٣) «طبقات ابن سعد» (٦/ ١٢٥).

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

وعن عمار الدهني قال: قال زيد: ادفنوني وابْنَ أُمّي في قبر، ولا تغسلوا عنا دماً، فإنا قوم مخاصمون[1].

حُكَيم بن جَبَلَة العَبْدي

الأمير، أحد الأشراف الأبطال، كان ذا دين وتألّه، من كبار التابعين، قتل في فتنة الجمل. (ت ٣٦). «السِّيَر» و «تاريخ الإسلام».

قال الذهبي[2]: قيل: إنه لم يزل يقاتل حتى قطعت رجله، فأخذها وضرب بها الذي قطعها فقتله بها، ثم أخذ يقاتل ويقول:

يا ساق لن تراعي   إن معي ذراعي
أحْمِي بها كُرَاعي

حتى نزفه الدم، فاتكأ على المقتول الذي قطع رجله، فمر به رجل فقال له: من قطع رجلك؟ قال: وسادتي. فما رُئي أشجع منه، ثم قتله سُحَيْم الحُدّاني.

عبد الرحمن بن مُلْجَم

المرادي الخارجي عدو الله، قاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولا رضي عن قاتله. قيل: قرأ القرآن على معاذ بن جبل، وكان من العباد. (ت ٤٠). «تاريخ الإسلام».

عن عمرو بن الأصم قال: دخلت على الحسن بن علي وهو في دار عمر بن حُريث فقلت له: إن ناساً يزعمون أن علياً يرجع قبل يوم القيامة!

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٦ / ١٢٥).
(٢) «تاريخ الإسلام» (٣ / ٤٩٥).

فضحك وقال: سبحان الله! لو علمنا ذلك ما زوجنا نساءه، ولا ساهمنا ميراثه. قالوا: وكان عبد الرحمن بن مُلْجَم في السجن، فلما مات علي ـ رضوان الله عليه ورحمته وبركاته ـ ودفن بعث الحسن بن علي إلى عبد الرحمن بن مُلْجَم فأخرجه من السجن ليقتله، فاجتمع الناس وجاؤوا بالنفط والبواري والنار فقالوا: نحرقه. فقال عبد الله بن جعفر وحسين بن علي ومحمد بن الحنفية: دعونا حتى نشفي أنفسنا منه. فقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه، فلم يجزع ولم يتكلم، فكحل عينيه بمسمار مُحَمىً، فلم يجزع وجعل يقول: إنك لتكحل عيني عمك بمُلْمُولٍ مَضٍّ، وجعل يقول: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾، حتى أتى على آخر السورة كلها، وإن عينيه لتسيلان، ثم أمر به فعولج عن لسانه ليقطع فجزع، فقيل له: قطعنا يديك ورجليك وسملنا عينيك يا عدو الله فلم تجزع، فلما صرنا إلى لسانك جزعت؟! فقال: ما ذاك مني من جزع إلا أني أكره أن أكون في الدنيا فُواقاً لا أذكر الله. فقطعوا لسانه ثم جعلوه في قَوصرة وأحرقوه بالنار(١).

قلت: إلى جهنم وبئس المصير أشقى الآخرين.

الصُّنَابِحِي

الفقيه، أبو عبد الله عبد الرحمن بن عُسَيْلة المرادي ثم الصُّنَابحي، نزيل دمشق، قدم المدينة بعد وفاة النبي ﷺ بليال، وصلى خلف الصِّدِّيق، وحدث عنه، وعن معاذ وبلال وعبادة وشداد بن أوس وطائفة. «السِّيَر». (ت ٤٣). «المنتظم».

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٣/ ٣٩ ـ ٤٠).

قلت : وذكره ابن سعد في الصحابة الذين نزلوا الشام .

عن أبي عبد رب قال : قال لنا الصنابحي بدمشق وقد حضره الموت ، فقال ليزيد بن نمران الذِّماري : يا يزيد ، إن مت في هذا البيت فانظروا لي قبراً سليماً ، ولو مكثت في هذا البيت ثلاثة أيام[1] .

هَرِمُ بن حَيّان

البصري ، كان من سادة العُبّاد ، وَلِي بعض الحروب في أيام عمر وعثمان بأرض فارس . «تاريخ الإسلام» .

قال علقمة بن مرثد : انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين . وذكر منهم هرم بن حيان . «الحلية» . (ت ٤٦) . «المنتظم» .

عن عون بن شداد ، عن هرم بن حيان ؛ أنه حين نزل به الموت قالوا له : يا هرم ، أوص . قال : أوصيكم أن تقضوا عني ديني . قالوا : وما توصي يا هرم ؟

قال : أوصيكم بآخر سورة النحل ، ثم قرأ عليهم : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[2] .

وفي « تاريخ الإسلام »[3] : قيل لهرم : ألا تُوصي ؟ قال : قد صدقتني نفسي في الحياة وما لي شيء أوصي ، ولكن أوصيكم بخواتيم سورة النحل .

* * *

---

(١) «وصايا العلماء» (ص ١٠٠) .

(٢) «حلية الأولياء» (٢ / ١٢١) .

(٣) (٥ / ٥٣٥) .

زياد بن أبيه

وهو زياد بن عبيد الثقفي، وهو زياد ابن سمية وهي أُمّه، وهو زياد بن أبي سفيان الذي استلحقه معاوية بأنه أخوه. كانت سمية مولاة للحارث بن كَلَدَة الثقفي طبيب العرب، له إدراك، وُلِد عام الهجرة، وأسلم زمن الصّدّيق وهو مراهق، وهو أخو أبي بكرة الثقفي الصحابي لأمّه، سمع من عمر وغيره، وكان من نبلاء الرجال رأياً وعقلاً وحزماً ودهاءً وفطنة. كان يضرب به المثل في النُّبل والسؤدد. قال أبو الشعثاء: كان زياد أفتك من الحجاج لمن يخالف رأيه. (ت ٥٣). «السِّيَر».

عن ابن أبي الزناد قال: لما حضرت زياداً الوفاة قال له ابنه: يا أبَه، قد هيأتُ لك ستين ثوباً أُكفنك فيها.

قال: يا بني، قد دنا من أبيك لباس خير من هذا، [أو سَلْبٌ هو شر منه][(١)].

وعن جعفر بن سليمان، عن عبد ربّه أبي كعب الجرموزي؛ أن زياداً لما قدم الكوفة أميراً قال: أيّ أهل الكوفة أعبد؟ قيل: فلان الحميري. فأرسل إليه، فأتاه فإذا سمتٌ ونحوٌ. فقال زياد: لو مال هذا مال أهل الكوفة معه. قال: إني بعثتُ إليك لخير. فقال: إني إلى الخير لفقير.

قال: بعثت إليك لأموّلك وأعطيك على أن تلزم بيتك فلا تخرج. قال: سبحان الله! لصلاة واحدة في جماعة أحب إلي من الدنيا كلها، ولزيارة أخ وعيادته أحب إلي من الدنيا كلها، فليس إلى ذا سبيل.

قال: فاخرج فصلِّ في جماعة، وزر إخوانك، وعد المريض، والزمْ لسانك. قال: سبحان الله! أرى معروفاً لا أقول فيه؟! أرى منكراً لا أنهى

---

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٢٣)، والزيادة من «محاضرات الأدباء» (٢ / ٥٠٢).

عنه؟! فوالله لمقام من ذلك واحد أحب إلي من الدنيا كلها.

قال: يا أبا فلان (قال جعفر: أظن الرجل أبا المغيرة)، فهو السيف. قال: السيف؟! قال: السيف. قال: فأمر به فضُرِبَتْ عنقُه.

فقيل لزياد وهو في الموت: أبشر. قال: وكيف وأبو المغيرة بالطريق؟!(١).

عامر بن عبد قيس

عامر بن عبد الله بن عبد قيس التميمي البصري، القدوة الولي الزاهد، عابد زمانه، من كبار التابعين. (ت زمن معاوية). «السِّيَر» و «تاريخ الإسلام».

عن قتادة؛ أن عامر بن عبد قيس لما حُضِر جعل يبكي، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جَزَعاً من الموت، ولا حِرصاً على الدنيا، ولكن أبكي على ظمأ الهواجر(٢)، وعلى قيام ليالي الشتاء(٣).

وعن علقمة بن مرثد قال: ومرض فبكى، فقيل له: ما يبكيك وقد كنت وقد كنت؟! فيقول: ما لي لا أبكي، ومن أحق بالبكاء مني؟! والله ما أبكي حرصاً على الدنيا، ولا جزعاً من الموت، ولكن لبعد سفري وقلة زادي، وإني أمسيت في صعود وهبوط، جنة أو نار، فلا أدري إلى أيهما أصير؟!(٤).

---

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٢٤).

(٢) الهجير والهاجرة: اشتداد الحر منتصف النهار، وإنما يعني بظمأ الهواجر: صيام أيام الحر.

(٣) «الزهد» لابن المبارك (١ / ٢٨٣ ـ ٢٨٤ / رقم ٢٦٦).

(٤) «حلية الأولياء» (٢ / ٨٨).

وعن همام بن يحيى قال: بكى عامر بن عبد الله في مرضه الذي مات فيه بكاءً شديداً، فقيل له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: آية في كتاب الله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(١)(٢).

قلت: هكذا هو حال أهل السبق الفائزين بالقرب، كما قال الله تعالى: ﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾(٣).

وعن زياد النميري قال: بلغني أن عامر بن عبد الله لما نزل به الموت بكى ثم قال: لمثل هذا المصرع فليعمل العاملون، اللهم إني أستغفرك من تقصيري وتفريطي، وأتوب إليك من ذنوبي، لا إله إلا أنت. ثم لم يزل يرددها حتى مات(٤).

وعن يزيد الرقاشي قال: بلغنا أن عامر بن عبد الله لما احتُضِر بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: هذا الموت غاية الساعين، وإنا لله وإنا إليه راجعون، والله ما أبكي جزعاً من الموت، ولكن أبكي على حرّ النهار وبرد الليل، وإني أستعين بالله على مصرعي هذا بين يديه(٥).

وعن سليمان التيمي قال: بكى عامر عند الموت، فقيل: ما يبكيك؟ قال: ثلاثة؛ ثنتان أخلفهما، فواحدة أمامي، فمفازة تقطع عنق من قطعها بغير زاد(٦).

***

---

(١) المائدة: ٢٧.
(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٧٩).
(٣) المؤمنون: ٦٠.
(٤) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٧٦).
(٥) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٧٧).
(٦) «كتاب المحتضرين» (رقم ٢٩٦).

مالك بن الرَّيْب

ابن حوط بن قرط المازني التميمي، شاعر من الظرفاء الأدباء الفتاك، اشتهر في أوائل العصر الأموي، ورويت عنه أخبار في أنه قطع الطريق مدة، فأنّبه سعيد بن عثمان بن عفان، واستصلحه واصطحبه معه إلى خراسان، فشهد فتح سمرقند، وتَنَسّك. (ت نحو ٦٠). «الأعلام».

قال الزركلي في «الأعلام»: مرض في مرو وأحس بالموت، فقال قصيدته المشهورة، وهي من غرر الشعر، وعدتها ٥٨ بيتاً، مطلعها:

ألا ليت شعري هل أبيتَنّ ليلةً ... بجَنْبِ الغَضَا أُزْجِي القِلَاصَ النَّوَاجِيَا

ومنها يشير إلى غربته:

تَذَكَّرْتُ مَنْ يبكي عليّ فلم أجِدْ ... سوى السَّيْفِ والرُّمْحِ الرُّدَيْنِيِّ باكيا

وقال ابن قتيبة[1]: ولما حضرته الوفاة قال:

ألا ليتَ شعري هل أبيتنَّ ليلةً ... بجَنْبِ الغَضَا أُزْجِي القِلَاصَ النَّوَاجيا
فليت الغَضَا لم يَقْطَعِ الركبُ عُرْضَهُ ... وليت الغَضَا مَاشَى الرِّكابَ لياليا
ألم تَرَني بعتُ الضلالةَ بالهدى ... وأصبحتُ في جيشِ ابن عفانَ غازيا
لَعَمْري لئن غالتْ خراسانُ هامتي ... لقد كنتُ عن بَابَيْ خراسانَ نائيا
فيا صاحِبَيْ رَحْلِي دنا الموت فاحْفِرَا ... برابيةٍ إني مُقيمٌ لياليا
وخُطَّا بأطرافِ الأَسِنَّةِ مَضْجَعِي ... ورُدَّا عَلَى عَيْنَيَّ فَضْلَ رِدَائِيا
ولا تَحسدَاني باركَ اللهُ فيكما ... مِنَ الأرضِ ذاتِ العَرْض أَنْ تُوسِّعا لِيَا
تَذَكَّرْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ فلم أَجِدْ ... سوى السيفِ والرُّمْحِ الرُّدَيْنِيِّ بَاكِيا

---

(١) «الشعر والشعراء» (ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ / ترجمة رقم ٤٦).

وقال المَرْزُبَاني[1]: وهو القائل في علته:

لعَمْري لئن غالتْ خراسانُ هامتي ... لقد كنتُ عن بَابَيْ خراسان نائيا
يقولون لا تُبْعِدْ وهم يدفنونني ... وأيـن مكـانُ البُعْـدِ إلا مَكَـانيـا
وبالرمل مني نسوة لو شَهِدْنَني ... بَكَيْنَ وفَدَيْن الطبيبَ المُدَاويا

وقال[2]: ولما أحَسّ بالموت قال يذكر ابنته شهلة:

تُسَـائـلُ شَهْلَـةُ قِفَـا لَهـا ... وَتَسْـأَلُ عَـنْ مـالـكٍ مَـا فَعَـلْ
ثـوى مـالـكٌ ببـلادِ العَـدُوّ ... تَسفِـي عليـه ريـاحُ الشَّمَـلْ
لـذلـك شهلـة هَجَـرْتِنـي ... وقـد حـال دونَ الإيـاب الأَجَـلْ

أبو مسلم الخولاني

عبد الله بن ثُوَب الداراني، سيد التابعين، وزاهد العصر، أسلم في أيام النبي ﷺ، ودخل المدينة في حياة الصديق. (ت ٦٢). «السِّيَر» و «تاريخ الإسلام».

عن سعيد بن عبد العزيز قال: توفي أبو مسلم بأرض الروم، وكان قد شتّى مع بُسْر بن أبي أرطاة، فأدركه أجله، فأتاه بُسْر في مرضه، فقال له أبو مسلم:

اعْقُد لي على من مات في هذه الغزاة من المسلمين، فإني أرجو أن آتي بهم يوم القيامة على لوائهم[3].

---

(١) «معجم الشعراء» (ص ٢٣٦).
(٢) «معجم الشعراء» (ص ٢٣٧).
(٣) «تاريخ دمشق» (٢٧/ ٢٣٠ ـ ٢٣١)، و «تاريخ الإسلام» (٥/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨).

علقمة

فقيه الكوفة وعالمها ومقرئها، الإمام الحافظ المجود المجتهد الكبير، أبو شبل علقمة بن قيس النَّخَعي الكوفي، الفقيه، عم الأسود بن يزيد وأخيه عبد الرحمن، وخال فقيه العراق إبراهيم النَّخَعي. ولد في أيام الرسالة المحمدية، وعداده في المُخَضْرَمين، وهاجر في طلب العلم والجهاد، ونزل الكوفة، ولازم ابن مسعود حتى رَأَسَ في العلم والعمل، وتفقه به العلماء، وبَعُد صيتُه. (ت ٦٢). «السِّيَر» و «تاريخ الإسلام».

عن إبراهيم، عن علقمة قال: لقنوني لا إله إلا الله، وأسرعوا بي إلى حفرتي، ولا تنعوني، فإني أخاف أن يكون كنَعْي الجاهلية[١].

وعنه، عن علقمة أنه أوصى: إن استطعت أن تلقِّنّي آخر ما أقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ فافعل، ولا تُؤْذِنوا بي أحداً، فإني أخاف أن يكون كنَعْي الجاهلية، فإذا أخرجتموني فعليّ الباب (يعني: أغلقوا الباب)، ولا تتبعني امرأة[٢].

وعن أبي إسحاق قال: قال علقمة للأسود وعَمرو بن ميمون: ذكّراني لا إله إلا الله عند الموت، ولا تُؤْذنا بي أحداً، فإنها نَعْي الجاهلية، أو دعوى الجاهلية[٣].

مسروق

ابن الأجْدَع، الإمام القدوة العَلَم، أبو عائشة الوادعي الهَمْداني

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٦/ ٩٢).

(٢) «طبقات ابن سعد» (٦/ ٩٢).

(٣) «طبقات ابن سعد» (٦/ ٩٢).

الكوفي، وعداده في كبار التابعين، وفي المُخَضْرَمِين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ. (ت ٦٢ أو ٦٣). «السِّيَر».

عن أبي وائل أن مسروقاً حين حضره الموت قال: اللهم لا أموت على أمر لم يُسِنَّه رسول الله ﷺ، ولا أبو بكر ولا عمر، والله ما تركت صفراء ولا بيضاء عند أحد من الناس غير ما في سيفي هذا، فكفنوني به[١].

وعن الشَّعبي قال: حضرتْ مسروقاً الوفاةُ، فلم يترك ثمن كفن، فقال: استقرضوا ثمن كفني، ولا تستقرضوه من زرّاع ولا متقبّل، ولكن انظروا صاحب ماشية أو رجلاً يبيع ماشية، فاستقرضوه[٢].

وقيل: إنه لما نزل به الموت جزع، فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: ما لي لا أجزع، وإنما هي ساعة واحدة ولا أدري أين يسلك بي[٣]؟!

أبو مَيْسرة

عمرو بن شُرَحْبيل الهَمْداني الكوفي، حدث عن عمر وعلي وابن مسعود وغيرهم، وكان من العباد الأولياء. (ت ٦٣). «السِّيَر» و«تقريب التهذيب».

عن أبي وائل قال: قال عمرو بن شُرَحْبيل حين حضرته الوفاة: إني ليسير للموت الآن، أظنه قال: وما بي إلا هول المُطَّلَع، ما أَدَعُ مالاً وما أدع عليَّ من دَيْن وما أدع من عيال يُهِمّوني من بعدي، فإذا أنا مِتّ فلا تنعوني إلى أحد، وأسرعوا المشي، وألقوا على لحدي من القَصَب فإنّي رأيتُ

(١) «طبقات ابن سعد» (٦ / ٨٣).
(٢) المصدر نفسه.
(٣) «العاقبة» (ص ٢٢٢).

المهاجرين يستحبون ذلك، ولا ترفعوا جدثي فإنّي رأيتُ المهاجرين يكرهون ذلك[1].

وعن أبي إسحاق (قلت: هو السَّبِيعي) قال: أوصى أبو ميسرة أخاه الأرقم: لا تؤذن بي أحداً من الناس وليصلِّ عليّ شُريح قاضي المسلمين وإمامهم، وأسْرِعْ بجنازتي المشي ولا تجعل على لحدي إلا طنّ قصب[2].

وعنه قال: أوصى أبو ميسرة أخاه الأرقم قال: ما أراني إلا مقبوضاً من ليلتي هذه، فإذا أصبحت فأخرجوني ولا تؤذنوا بي أحداً فإنها الجاهلية، أو دعوى الجاهلية[3].

وعنه قال: أوصى أبو ميسرة أرقم بن شرحبيل أن يلقنه «لا إله إلا الله»، وأن يسرع له، وأن يصلي عليه شريح قاضي المسلمين[4].

عبد الله بن الفضل

ابن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي المدني، روى عن أنس بن مالك. «تهذيب الكمال». قتل يوم الحَرَّة (سنة ٦٣). «تاريخ الإسلام».

عن مُحَرَّر بن جعفر، عن أبيه قال: دخلت على عبد الله بن الفضل وهو يموت، فبكى ثم قال: أما والله ما يبكيني إلا نُسَيّات خلف هذا الستر، لولاهن لهان علي الموت، إني مؤمن بالله، وإني لتائب إلى الله، وإن الله لغفور. قال: قلت: أي أخي، الذي رجوته لمغفرة ذنبك فارجه لخير

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٦/ ١٠٨).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) «وصايا العلماء» (ص ٨٧).

بناتك، فمغفرة الذنب أعظم من الرزق، فقال عبد الله: جزاك الله خيراً، صدقت[١].

يزيد بن الأسود الجُرَشي

قال الذهبي: من سادة التابعين بالشام، أسلم في حياة النبي ﷺ. «السِّيَر».

وقال ابن حجر: أخرج أبو زرعة الدمشقي ويعقوب بن سفيان في «تاريخيهما» بسند صحيح عن سليم بن عامر؛ أن الناس قحطوا بدمشق، فخرج معاوية يستسقي بيزيد بن الأسود، فسُقُوا. «الإصابة».

(ت ٦٤). «المنتظم».

عن حيان أبي النضر قال: دعاني واثلة بن الأسقع وقد ذهب بصره، فقال: يا حيان، قُدْني إلى يزيد بن الأسود الجُرَشي فإنه بلغني أنه عليل. فقُدْتُه حتى أتينا منزل يزيد بن الأسود، فإذا البيت مشحون عواداً، وإذا الرجل يجود بنفسه، فلما رأى أهل البيت واثلة تحركوا حتى جعلوا له طريقاً، فأثبت له وسادة عند رأس يزيد بن الأسود، فقلت له: إن يزيداً لا يعقل في الغمرات، فقال: نادوه. فنادينا أصواتنا: يا يزيد بن الأسود. فإذا هو لا يجيب ولا يسمع، فقلت: هذا أخوك واثلة، فبقي من عقله ما عرف اسم واثلة، فقال بيده كأنه يلتمس شيئاً، فعرفنا ما يريد، فأخذت يد واثلة فوضعتها في يد يزيد، فلما وجد مسها وضعها على عينيه ومرة على فؤاده، واشتد بكاء أهل البيت لما صنع، وذلك لموقع يد واثلة من يد رسول الله ﷺ، فقال واثلة: ألا تحدثني كيف ظنك بالله في هذا المصرع؟ فناديت: أيا

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ٢٧١).

يزيد، ألا إنه يقول لكم كذا وكذا، فضمهما فقال: أغرقتني ذنوبي، وأشفأتُ[١] على هول المُطَّلع، ولكني أرجو رحمة الله. فكبر واثلة، وكبر أهل البيت تكبيرة، فقال: أبشر إني سمعت رسول الله ﷺ يقول عن الله عز وجل قال: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ»[٢].

معاوية بن يزيد

ابن معاوية بن أبي سفيان، أبو ليلى الخليفة، بويع بعهد من أبيه، وكان شاباً ديّناً خَيْراً من أبيه، ولي أربعين يوماً، وقيل: ثلاثة أشهر، وقيل: بل ولي عشرين يوماً، ومات وله ثلاث وعشرون سنة، وقيل: إحدى وعشرون سنة، وقيل: بل سبع عشرة سنة. (ت ٦٤). «السِّيَر».

قال الذهبي[٣]: لما هلك يزيد بويع بعده ابنه معاوية بن يزيد، فبقي في الخلافة أربعين يوماً، وقيل: شهرين أو أكثر، مُتَمَرِّضاً، والضحاك بن قيس يصلي بالناس، فلما احْتُضِر قيل له: ألا تستخلف؟ فأبى وقال: ما أصبتُ من حلاوتها، فلِمَ أتحمل مرارتها؟!

قال الذهبي: وكان لم يغيّر أحداً من عمال أبيه.

وقال ابن الجوزي[٤]: سألته أمّه أمّ هانىء بنت أبي هشام بن عتبة بن

---

(١) أي: أشرفت. وفي «مسند الشاميين» (مؤسسة الرسالة): «عرفتني ذنوبي وإشفاق من هول المطلع»!!

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (رقم ٢)، والطبراني في «مسند الشاميين» (رقم ١٥٤٦) وفي مواضع أخر، وأخرجه في «الكبير» وغيره، وهو حديث صحيح له طرق كثيرة. وانظر: «المقدمة» (فصل في الأمر بحسن الظن بالله...).

(٣) «تاريخ الإسلام» (٥ / ٣٦).

(٤) «المنتظم» (٤ / ١٩٠).

ربيعة في مرضه أن يستخلف أخاه خالد بن يزيد، فأبى وقال: والله لا أحملها حياً وميتاً. فقالت له: وددت أنك كنت نسياً منسياً ولم تضعف هذا الضعف. قال: وددت أني كنت نسياً منسياً ولم أسمع بذكر جهنم. ثم قال: يا حسان بن مالك، اضبط ما قبلك وصل بالناس إلى أن يرضى المسلمون بإمام يحققون عليه.

الرَّبيع بن خُثَيْم

ابن عائذ، الإمام القدوة العابد، أبو يزيد الثوري الكوفي، أحد الأعلام. أدرك زمان النبي ﷺ، وروى عن ابن مسعود وأبي أيوب الأنصاري وعَمرو بن ميمون، وهو قليل الرواية إلا أنه كبير الشأن. (ت قبل ٦٥). «السِّيَر».

عن منذر الثوري، عن الربيع بن خثيم؛ أنه أوصى عند موته فقال: هذا ما أَقَرَّ به الربيع بن خثيم على نفسه، وأشهد الله عليه، وكفى بالله شهيداً، وجازياً لعباده الصالحين ومثيباً: بأني رضيت بالله رباً، وبمحمد نبياً، وبالإسلام ديناً، وأني رضيت لنفسي ومن أطاعني بأن أعبده في العابدين، وأحمده في الحامدين، وأن أنصح لجماعة المسلمين[١].

وعن سفيان، عن سَرِيَّة الربيع قالت: لما احتُضِر الربيع بكت ابنته فقال: يا بنية، لا تبكي، ولكن قولي: يا بشراي، اليوم لقي أبي الخير[٢].

وعن سفيان، عن أبي حيّان، عن أبيه، عن ربيع بن خثيم أنه قال: لا تُشْعِرُوا بي أحداً، وسُلُّوني إلى ربي سَلاًّ[٣].

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٦ / ١٩٢).

(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٤٥).

(٣) «طبقات ابن سعد» (٦ / ١٩٢).

وعن عبد الملك بن عمير قال: قيل للربيع بن خثيم في مرضه: ألا ندعو لك طبيباً؟ قال: أنظروني. ثم فكر فقال: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾[1]، قد كانت فيهم أطباء، فما أرى المداوي بقي ولا المداوَى، هلك الناعت والمنعوت له، لا تدعوا لي طبيباً[2].

قلت: إذا جاء مرض الموت لم تغن الأطباء شيئاً، وأما قبل ذلك فنحن مأمورون بالتداوي، وذلك واجب أو مستحب بحسب الحال، وتفصيله ليس هذا موضعه.

عبيد الله بن أبي المهاجر

وهو عبيد الله بن أقرم، أبو الوليد المخزومي مولاهم، والد إسماعيل ابن عبيد الله[3]، حكى عنه ابنه إسماعيل وداود بن نافع، وكانت داره بدمشق ناحية باب الفراديس. «تاريخ دمشق».

قلت: لم أعرف تاريخ وفاته.

عن إسماعيل بن عبيد الله قال: لما حضرت أبي الوفاة جمع بنيه فقال: يا بنيّ عليكم بتقوى الله، وعليكم بالقرآن فتعاهدوه، وعليكم بالصدق ولو قتل أحدكم قتيلاً ثم سئل عنه أقر به، والله ما كذبت كذبة منذ قرأت القرآن، وعليكم بسلامة الصدور لعامة المسلمين، فوالله لقد رأيتني وإني لأبرح من بابي فما ألقى مسلماً إلا والذي في نفسي له كالذي في نفسي لنفسي، أفترون أحب لنفسي إلا خيراً؟!![4].

---

(١) الفرقان: ٣٨.

(٢) «عيون الأخبار» (٢/ ٣٠٩).

(٣) ترجمة إسماعيل في «السِّيَر» (٥/ ٢١٣).

(٤) «حلية الأولياء» (٦/ ٨٥ ـ ٨٦) و «تاريخ دمشق» (٣٧/ ٤٠٧).

مروان بن الحَكَم

ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، الملكُ أبو عبد الملك، القرشي الأموي، مولده بمكة، وقيل: له رؤية. وذلك محتمل[1]، روى عن عمر وعثمان وعلي وزيد، وكان ذا شهامة وشجاعة ومكر ودهاء. (ت ٦٥). «السِّيَر».

عن عبد الله بن أبي مذعور قال: حدثني بعض أهل العلم قال: كان آخر ما تكلم به مروان: وجبت الجنة لمن خاف النار[2].

وعن عبد العزيز بن مروان قال: أوصاني مروان: لا تجعل لداعي الله عز وجل عليك حجة، وإذا وعدت ميعاداً فانزل عنده وإن ضُربتَ به على حد السيف، وإذا رأيت أمراً فاستشر فيه أهل العلم بالله عز وجل وأهل مودتك، فأما أهل العلم فيهديهم الله عز وجل إن شاء، وأما أهل مودتك فلا يألونك نصيحة[3].

عبد العزيز بن مروان

أبو الأَصْبَغ الأموي، أمير مصر، وولي عهد المؤمنين بعد أخيه عبد الملك بعهد من مروان، إن صححنا خلافة مروان؛ فإنه خارج على ابن الزبير باغٍ؛ فلا يصح عهده إلى ولديه، إنما تصح إمامة عبد الملك من يوم قتل ابن الزبير. (ت ٨٥). «تاريخ الإسلام».

عن عبد الله بن أبي مليكة: شهدت عبد العزيز بن مروان عند موته

(١) ولذلك عَدَّه بعضهم في الصحابة، قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨ / ٢٥٧): «وهو صحابي عند طائفة كثيرة...».

(٢) «البداية والنهاية» (٨ / ٢٦٠).

(٣) «وصايا العلماء» (ص ١٠٥).

يقول: يا ليتني لم أكن شيئاً، ألا ليتني كنت كهذا الماء الجاري، أو كنباتة الأرض، أو كراعية ثَلّة[1] في طرف الحجاز من بني نصر بن معاوية أو بني سعد بن بكر[2].

وعن داود بن المغيرة، عن أبي حازم قال: لما حضر عبدَ العزيز بن مروان الوفاةُ قال: ائتوني بكفني الذي تكفنوني فيه، فلما وُضِعَ بين يديه ولّاهم ظهره، فسمعوه وهو يقول: أفٍّ لَكِ، ما أقصر طَويلَكِ! وأقل كثيرك![3].

وعن حماد بن موسى الحَسَني قال: لما حضرت عبد العزيز بن مروان الوفاةُ أتى بشير يبشره بماله الذي كان بمصر حين كان عاملاً عليها عامه، فقال: هذا مالك، هذه ثلاث مئة مُدْي[4] من ذهب. قال: ما لي وله! والله لوددت أنه كان بَعْراً حائلاً بنجد[5].

قال الذهبي[6]: هذا قول كل ملك كثير الأموال، فهلاَّ يبادر ببذله؟!

عبد الملك بن مروان

ابن الحكم بن أبي العاص بن أُميَّة، الخليفة الفقيه، أبو الوليد الأموي، سمع عثمان وأبا هريرة وأبا سعيد وأم سلمة ومعاوية وابن عمر وبَريرة وغيرهم، تملك بعد أبيه الشام ومصر، ثم حارب ابنَ الزبير

---

(١) الثَّلَّة: جماعة الغنم.

(٢) «تاريخ دمشق» (٣٦/ ٣٥٨).

(٣) «تاريخ دمشق» (٣٦/ ٣٥٨).

(٤) مكيال يسع تسعة عشر صاعاً.

(٥) «تاريخ دمشق» (٣٦/ ٣٥٩).

(٦) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٢٥٠).

الخليفة[١]، وقتل أخاه مُصْعباً في وقعة مَسْكِن، واستولى على العراق، وجَهّز الحَجّاج لحرب ابن الزبير، فقتل ابن الزبير، واستوسقت الممالك لعبد الملك، كان من رجال الدهر ودهاة الرجال، وكان الحَجَّاج من ذنوبه. (ت ٨٦). «السِّيَر».

عن عبد العزيز بن عمران بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، عن جده قال: لما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة نظر إلى غسال بجانب دمشق يلوي ثوباً بيده ثم يضرب به المغسلة، فقال عبد الملك: والله ليتني كنت غسالاً، أكلي كسب يدي يوماً بيوم، وأني لم ألِ من أمر الناس شيئاً.

قال عبد العزيز، عن أبيه: فأُخبر بذلك أبو حازم فقال: الحمد لله الذي جعلهم إذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه، وإذا حضرنا الموت لم نتمنّ ما هم فيه[٢].

ويروى أنه بعد أن قال ذلك تمثل فقال:

لَعَمْري لقد عُمِّرْتُ في المُلْك برهةً ... ودانت ليَ الدنيا بوَقْعِ البواترِ
وأُعْطِيتُ حُمْر المال والحُكْم والنُّهى ... ولي سلَّمَتْ كلُّ الملوكِ الجبابرِ
فأضحى الذي قد كان مما يَسُرُّني ... كحلمٍ مضى في المُزْمِناتِ الغوابرِ
فيا ليتني لم أُعْنَ بالمُلْكِ ليلةً ... ولم أَسْعَ في لذَّاتِ عَيْشٍ نواضرِ
[وكنتُ كذي طِمْرَيْنِ عاش ببُلْغَةٍ ... من الدّهر حتى زار ضَنْك المقابرِ][٣]

---

(١) قال الذهبي: «إنما تصح إمامة عبد الملك من يوم قتل ابن الزبير». انظر: (صفحة ١٦٢).

(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ٧٥)، وانظر: (رقم ٨٠)، و «البداية والنهاية» (٩ / ٦٨).

(٣) «البداية والنهاية» (٩ / ٦٧ ـ ٦٨)، وانظر: «تاريخ الإسلام» (٦ / ١٤٢).

وعن مسعود بن خلف قال: قال عبد الملك بن مروان في مرضه: والله لوددت أني عبدٌ لرجلٍ من تِهامة أرعى غُنَيْمات في جبالها، وأني لم ألِ[1].

وعن سعيد بن عبد العزيز قال: لما حضره الموت جعل يندم ويندب ويضرب بيده على رأسه ويقول: وددت أني اكتسبت قوتي يوماً بيوم، واشتغلت بعبادة ربي عز وجل وطاعته[2].

ويروى أنه قال: ارفعوني. فرفعوه حتى شمّ الهواء، وقال: يا دنيا ما أطيبك! إن طويلك لقصير، وإن كثيرك لحقير، وإنا كنا بك لفي غرور. ثم تمثل بهذين البيتين:

إنْ تُناقش يكن نقاشك يا ربّ   عـذابـاً لا طَـوْق لـي بـالعـذابِ
أو تَجـاوز فـأنـت ربٌّ صفـوحٌ   عـن مسـيءٍ ذنـوبُـه كـالتـرابِ[3]

ويروى أنه لما حضرته الوفاة أمر فصُعد به إلى أرفع سطح في داره، فقال: يا دنيا، ما أطيب ريحك! يا أهل العافية، لا تَسْتَقِلّوا منها شيئاً[4].

وعن قَبِيصة بن ذُؤَيْب: كنا نسمع نداء عبد الملك من وراء الحجرة في مرضه: يا أهل النعيم، لا تَسْتَقِلّوا شيئاً مع العافية[5].

وقيل: إنه لما احتضر دخل عليه الوليد ابنُه، فتمثّل:

كـم عـائـدٍ رجـلاً وليـس يَعُـودُه   إلاَّ ليعلـــم هـــل تُـــراه يمـــوتُ

فجلس الوليد يبكي، فقال: ما هذا؟ تَحِنّ حنين الأمة! إذا متّ فشمر

---

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٠٢).
(٢) «البداية والنهاية» (٩ / ٦٨).
(٣) «البداية والنهاية» (٩ / ٦٨).
(٤) «ربيع الأبرار» (٢ / ٦١٥).
(٥) المصدر السابق.

وائتزر، والبس جلد النمر، وضع سيفك على عاتقك، فمن أبدى ذات نفسه فاضرب عنقه، ومن سكت مات بدائه[١].

وقيل: دخل الوليد عليه وابنته فاطمة عند رأسه تبكي، فقال: كيف أمير المؤمنين؟ قالت: هو أصلح. فلما خرج قال عبد الملك:

ومُسْتَخْبِرٌ عنا يريد لنا الرّدى ومُسْتَخْبِراتٌ والدموعُ سَوَاجِمُ

وأوصى بنيه فقال: أوصيكم بتقوى الله، فإنها أزين حلية وأحصن كهف، ليعطِف الكبيرُ منكم على الصغير، وليعرفِ الصغير حق الكبير[٢].

وعن المفضل بن فضالة، عن أبيه قال: استأذن قوم على عبد الملك ابن مروان وهو شديد المرض، فقالوا: إنه لِما به. فقالوا: إنما ندخل فنسلم قياماً ثم نخرج. فدخلوا عليه وقد أسنده خَصِيّ إلى صدره، وقد اربد لونه، وجرى منخراه، وشخصت عيناه، فقال: دخلتم علي في حال إقبال آخرتي، وإدبار دنياي، وإني تذكرت أرجى عملي فوجدته غزوة غزوتها في سبيل الله وأنا خلو من هذه الأشياء، فإياكم وإيا أبوابنا هذه الخبيثة أن تطيفوا بها[٣].

وعن أبي مسهر: قيل لعبد الملك بن مروان في مرضه: كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟ قال: أجدني كما قال الله: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[٤][٥].

---

(١) «تاريخ الإسلام» (٦ / ١٤٣).

(٢) «الكامل» لابن الأثير (٤ / ٥١٧).

(٣) «كتاب المحتضرين» (رقم ٧٧).

(٤) الأنعام: ٩٤.

(٥) «كتاب المحتضرين» (رقم ٧٨).

وقال علي بن محمد المدائني: لما أيقن عبد الملك بالموت دعا مولاه أبا علاقة فقال: والله لوددت أني كنت منذ ولدت إلى يومي هذا حمّالاً.

ولم يكن له من البنات إلا واحدة؛ وهي فاطمة، وكان قد أعطاها قِرْطَي مارية والدُّرَّة اليتيمة، وقال: اللهم إني لم أخلّف شيئاً أهم منها إلي فاحفظها. فتزوجها عمر بن عبد العزيز.

وأوصى بنيه بتقوى الله، ونهاهم عن الفرقة والاختلاف، وقال: انظروا مسلمة واصدروا عن رأيه (يعني أخاهم)، فإنه مجنّكم الذي تجتنون، ونابكم الذي عنه تَفْتَرُّون، وكونوا بني أم بررة، وكونوا في الحرب أحراراً، وللمعروف مناراً، فإن الحرب لم تدن منية قبل وقتها، وإن المعروف يبقى أجره وذكره، واحلولوا في مرارة، ولينوا في شدة، وكونوا كما قال ابن عبد الأعلى الشيباني:

إن القِداح إذا اجْتَمَعْنَ فَرامَها ... بالكَسْر ذو حَنَقٍ وَبَطْشٍ أيِّدِ
عزّتْ فلم تُكسر وإنْ هي بُدِّدَتْ ... فالكسر والتوهين للمُتَبَدِّدِ

يا وليد، اتق الله فيما أخلفك فيه، واحفظ وصيتي، وخذ بأمري، وانظر إلى أخي معاوية؛ فإنه ابن أمي، وقد ابتلي في عقله بما علمتَ، ولولا ذلك لآثرته بالخلافة، فصِلْ رحمه، واحفظني فيه، وانظر أخي محمد بن مروان؛ فأمّره على الجزيرة ولا تعزله، وانظر أخاك عبد الله؛ فلا تؤاخذه، وأقرره على عمله بمصر، وانظر ابن عمنا هذا علي بن عبد الله بن عباس؛ فإنه قد انقطع إلينا بمودته وهواه ونصيحته، وله نسب وحق، فصِلْ رحمه، واعرف حقه، وانظر الحجّاج؛ فأكرمه، فإنه هو الذي وطأ لكم المنابر، وهو سيفك ـ يا وليد ـ ويدك على من ناوأك، فلا تسمعن فيه قول أحد، وأنت إليه أحوج منه إليك، وادع الناس إذا مت إلى البيعة، فمن قال برأسه

هكذا فقل بسيفك هكذا. ثم تمثل بقول عدي بن زيد:

فهَلْ من خالدٍ إما هَلَكْنا ... وهَلْ بالموت يا لَلنَّاسِ عارُ[1]

وعن شعيب بن صفوان قال: لما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة دعا بنيه، فأوصاهم، ثم لم يزل بين مقالتين حتى فاضت نفسه:

الحمد لله الذي لا يبالي صغيراً أخذ من ملكه أو كبيراً.

والأخرى:

فهَلْ من خالدٍ لما هَلَكْنا ... وهَلْ بالموت يا لَلنَّاس عارُ[2]

وقال ابن الجوزي[3]: وقد رُوِّينا أن عبد الملك كان يقول: أخاف الموت في شهر رمضان؛ لأنني ولدت فيه، وفطمت فيه، وأعذرت فيه، واحتلمت فيه، وختمت القرآن فيه، وأتتني الخلافة فيه، فكان موته في نصف شوال من هذه السنة (يعني سنة ٨٦) حين ظن أنه آمن من الموت.

الوليد بن عبد الملك

ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أُمية، أبو العباس الأموي، استُخلف بعهد من أبيه بعده، كان يلقب النبطي لِلَحْنِه. (ت ٩٥ أو ٩٦). «تاريخ الإسلام» و«وفيات الأعيان».

عن ابن عامر الهذلي قال[4]: دخل سليمان بن عبد الملك على الوليد ابن عبد الملك وهو يجود بنفسه، فلما نظر إليه قال: أجلسوني. فأُجلس،

(١) «تاريخ الإسلام» (٦ / ١٤٣ ـ ١٤٤).
(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ٧٩).
(٣) «المنتظم» (٤ / ٤١٠ ـ ٤١١).
(٤) «كتاب المحتضرين» (ص ٧٨ ـ ٧٩).

فقال متمثلاً:

وتجَلُّـدي للشّـامتيـن أُريهـمُ   أنّي لِرَيْبِ الدَّهْر لا أتضَعْضَعُ

فقال سليمان:

وإذا المنِيَّـةُ أنشبـت أظفـارهـا   أَلْفَيْـتَ كـلّ تميمـةٍ لا تَنْفَـعُ

وفي «فوات الوفيات»[1]: ولما حضرته الوفاة قال: ما أبالي بفراق الحياة بعدما فتحت السند والأندلس، وبنيت جامع دمشق.

وفي «البداية والنهاية»[2]: ويقال: إن آخر ما تكلم به: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله.

سليمان بن عبد الملك

ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، الخليفة أبو أيوب القرشي الأموي. كان دَيِّناً فصيحاً مُفَوَّهاً عادلاً محباً للغزو. (ت ٩٩). «السِّيَر».

قال الذهبي[3]: لما مرض بدَابِق[4] قال لرجاء بن حَيْوَة الكندي: من لهذا الأمر؟ قال: ابنك غائب، قال: فالآخر؟ قال: صغير، قال: فمن ترى؟ قال: عمر بن عبد العزيز، قال: أتخوف إخوتي، قال: وَلِّ عمر، ثم من بعده يزيد بن عبد الملك، وتكتب كتاباً وتختمه، وتدعوهم إلى بيعة مَنْ فيه، قال: لقد رأيت.

---

(١) (٤ / ٢٥٥).

(٢) (٩ / ١٦٢).

(٣) «السير» (٥ / ١١٣).

(٤) دابق: قرية قرب حلب.

وكتب العهد، وجمع الشُّرَط، فقال: من أبى البيعة فاقتلوه، وفعل ذلك وتمَّ.

وعن رجاء قال: دخلت على سليمان بن عبد الملك فإذا هو يموت، قال: فجعلتُ إذا أَخَذَتْهُ سكرة من سكرات الموت حَرَّفته إلى القبلة، فجعل يقول وهو يفأق(١): لم يأنِ لذلك بعدُ يا رجاء. حتى فعلتُ ذلك مرتين، فلما كانت الثالثة قال:

من الآن يا رجاء إن كنت تريد شيئاً، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال: فَحَرَّفْتُهُ، ومات(٢).

وعن المثنى بن معاذ بن معاذ قال: سمعت أبي يقول: لما احتُضِر سليمان بن عبد الملك جعل يقول:

إنَّ بَنِيَّ صِبيةٌ صِغارُ ... أَفْلَحَ مَنْ كان له كِبارُ

قال: فيقول عمر بن عبد العزيز: أفلح المؤمنون يا أمير المؤمنين.

ويقول سليمان:

إنَّ بَنِيَّ صِبيةٌ صيفيونْ ... أفلح من كان له شتويونْ(٣)

---

(١) أي: يشتكي وجع فائقه. والفائق: مَوْصل الفِقرة الأولى للعمود الفَقَاري بالعظم المؤخري (القَذاليّ) للرأس. «وسيط».

(٢) «طبقات ابن سعد» (٥ / ٣٣٧).

(٣) وفي «لسان العرب»:

إن بَنِيَّ صِبيةٌ صَيْفِيُّونْ ... أفلح مَنْ كان له رِبْعِيُّونْ

قلت: والصّيْفي والرِّبْعي والشَّتْوي: من الصيف والربيع والشتاء.

والمعنى هنا ـ كما في «اللسان» ـ: أي وُلدوا على الكِبَر. يقال: أصاف الرجل يُصيف إصافة؛ إذا لم يولد له حتى يُسِنّ ويكبَر، وأولاده صَيْفِيّون. والرِّبْعِيُّون: الذين ولدوا في حداثته وأول شبابه، وإنما قال ذلك لأنه لم يكن في أبنائه من يُقَلِّده العهد بعده.

قال: فيقول عمر: أفلح المؤمنون يا أمير المؤمنين[١].

وفي «التعازي والمراثي»[٢]: فقال له عمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين، أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى. فقالها، ثم قال: أسألك منقلباً كريماً. ثم قضى.

وقال ابن أبي الدنيا[٣]: حدثني بعض أهل العلم؛ أن آخر ما تكلم به سليمان أن قال: أسألك مُنْقَلباً كريماً. ثم قضى.

عبد الله بن عبد الملك

ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، الأمير أخو الخليفة سليمان بن عبد الملك، ولي الديار المصرية بعد عبد العزيز بن مروان إلى أن صرف بِقُرَّة بن شريك سنة تسعين، وولي غزو الروم، فأنشأ مدينة المَصِّيصة، وله دار بدمشق. قيل: مات بُسْر بن سعيد الفقيه فما ترك كفناً، ومات سنة مئة عبد الله هذا فخلف ثمانين مُدَّ ذهب. «السِّيَر».

عن حماد بن موسى الخشني قال: لما حضر عبد الله بن عبد الملك الوفاةُ أتاه بشير يبشره بماله الذي كان بمصر حين كان عليها عاملاً، فقال: هذا مالك ثلاثمئة مُدْي ذهب.

فقال: ما لي وله، لوددت أنه كان بعراً حائلاً بنجد![٤].

* * *

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ٨٤).

(٢) ص ٢٢٧.

(٣) «كتاب المحتضرين» (رقم ٨٥).

(٤) «كتاب المحتضرين» (رقم ١١٤)، و«التعازي والمراثي» (ص ٢٣٠)، وقد تقدم هذا الكلام منسوباً إلى عبد العزيز بن مروان، انظر: (صفحة ١٦٣).

عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز

الشاب الناسك العابد، له حكايات في زهده وخوفه. (ت ١٠٠ أو نحوها). «تاريخ الإسلام».

قيل: لما مرض عبد الملك مرض موته ـ وكان من أشد أعوان أبيه عمر بن عبد العزيز على العدل ـ دخل عليه عمر فقال له: يا بني، كيف تجدك؟ قال: أجدني في الحق. قال: يا بني، أن تكون في ميزاني أحب إلي من أن أكون في ميزانك. فقال ابنه: يا أبتاه، لأن يكون ما تحب أحب إلي من أن يكون ما أحب. فمات في مرضه، وله سبع عشرة سنة[١].

عمر بن عبد العزيز

ابن مروان بن الحكم، الإمام الحافظ العلامة المجتهد الزاهد العابد السيد، أمير المؤمنين حقاً، أبو حفص، القرشي الأموي المدني ثم المصري، الخليفة الزاهد الراشد، أَشَجُّ بني أُمَيَّة. (ت ١٠١). «السِّيَر».

عن سفيان بن عيينة قال: قلت لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز: ما آخر ما تكلم به أبوك عند موته؟ فقال: كان له من الولد أنا، وعبد الله، وعاصم، وإبراهيم، وكنا أُغَيْلِمة، فجئنا كالمُسَلِّمين عليه والمُوَدِّعين له، فقيل له: تركت ولدك ليس لهم مال، ولم تؤوهم إلى أحد! فقال:

ما كنت لأعطيهم ما ليس لهم، وما كنت لآخذ منهم حقاً هو لهم، وإن وليِّيَ الله الذي يتولى الصالحين، وإنما هم أحد رجلين؛ رجل صالح أو فاسق[٢].

---

(١) انظر: «الكامل» لابن الأثير (٥/ ٦٥).

(٢) «تاريخ الإسلام» (٧/ ٢٠٣).

وعن عمارة بن أبي حفصة قال: دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر في مرضه الذي مات فيه، فقال: من توصي بأهلك؟ فقال: إذا نسيت فذكروني[1]. فعاد له فقال: من توصي بأهلك؟ قال: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[2][3].

وعن محمد بن الحسن قال: ثنا هاشم قال: لما كانت الصرعة التي هلك فيها عمر، دخل عليه مسلمة بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، إنك أقفرت أفواه ولدك من هذا المال، فتركتهم عالة لا شيء لهم، فلو أوصيت إلي أو إلى نظرائي من أهل بيتك؟ قال: فقال: أسندوني، ثم قال: أما قولك: إني أقفرت أفواه ولدي من هذا المال، فإني والله ما منعتهم حقاً هو لهم، ولم أعطهم ما ليس لهم، وأما قولك: لو أوصيت بهم إلي أو إلى نظرائي من أهل بيتك، فوصيي ووليي فيهم الله، ﴿ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، بَنِيّ أحد رجلين: إما رجل يتقي فسيجعل الله له مخرجاً، وإما رجل مكب على المعاصي، فإني لم أكن لأقويه على معصية الله.

ثم بعث إليهم، وهم بضعة عشر ذكراً، قال: فنظر إليهم فذرفت عيناه فبكى، ثم قال: بنفسي الفتية الذين تركتهم عيلى لا شيء لهم، بل بحمد الله قد تركتهم بخير، أي بني إنكم لن تلقوا أحداً من العرب ولا من المعاهدين إلا كان لكم عليهم حقاً، أي بَنِيّ، إن أمامكم ميل بين أمرين: بين أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار، وأن تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة، فكان أن تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة أحب إليه من أن تستغنوا ويدخل النار،

---

(١) في «طبقات ابن سعد»: «إذا أنا نسيت الله فذكروني». والظاهر أن ما في «الحلية» هو الصواب.

(٢) الأعراف: ١٩٦.

(٣) «حلية الأولياء» (٥ / ٣٣٣).

قوموا عصمكم الله[1].

وعن المغيرة بن حكيم قال: حدثتني فاطمة امرأة عمر قالت: كنت أسمع عمر كثيراً يقول: اللهم أَخْفِ عليهم موتي ولو ساعة. فقلت له يوماً: لو خرجتُ عنك فقد سهرت يا أمير المؤمنين لعلك تغفى؟ فخرجت إلى جانب البيت الذي كان فيه، فسمعته يقول:

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2]، فجعل يرددها.

قالت: ثم أطرق فلبث ساعة، ثم قلت لوصيف له كان يخدمه: ادخل فانظر، قالت: فدخل فصاح، فدخلت فإذا هو قد أقبل بوجهه إلى القبلة، وغمض عينيه بإحدى يديه، وضم فاه بالأخرى[3].

وعن عبد الرحمن بن عوف الرَّقِّي، عن عبيد بن حسان قال: لما احتُضِر عمر بن عبد العزيز قال: اخرجوا عني، فقعد مَسْلَمَة وفاطمة على الباب، فسمعوه يقول: مرحباً بهذه الوجوه، ليست بوجوه إنس ولا جان، ثم قال: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ الآية، ثم هدأ الصوت، فقال مسلمة لفاطمة: قد قُبِض صاحبك، فدخلوا فوجدوه قد قُبِض[4].

وعن ليث بن أبي مرقية، عن عمر بن عبد العزيز؛ أنه لما كان في مرضه الذي مات فيه قال: أجلسوني. فأجلسوه، ثم قال:

أنا الذي أمرتني فقصرت، ونهيتني فعصيت، ولكن لا إله إلا الله.

ثم رفع رأسه وأحد النظر، فقالوا له: إنك لتنظر نظراً شديداً! قال:

---

(١) «حلية الأولياء» (٥/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤).

(٢) القصص: ٨٣.

(٣) «حلية الأولياء» (٥/ ٣٣٥).

(٤) «تاريخ الإسلام» (٧/ ٢٠٤).

إني لأرى حضرة، ما هم بإنس ولا جن. ثم قُبِض[1].

وعن عبد الرحمن بن محمد قال: أوصى عمر بن عبد العزيز عند الموت، فدعا بشعر من شعر النبي ﷺ، وأظفار من أظفاره، فقال: اجعلوه في كفني[2].

وعن سالم بن بشير؛ أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى يزيد بن عبد الملك حين حضره الموت:

سلام عليك، أما بعد؛ فإني لا أُراني إلا لما بي، ولا أُرى الأمر إلا سيُفْضي إليك، واللهَ اللهَ في أمة محمد النبي ﷺ، فتدع الدنيا لمن لا يحمدك، وتُفْضي إلى من لا يعذرك، والسلام عليك[3].

وفي «التعازي والمراثي» للمبرد[4]: دخل مسلمة (يعني ابن عبد الملك بن مروان) على عمر في مرضه فقال: يا أمير المؤمنين، ألا توصي؟ قال: وهل لي مال أوصي فيه؟! فقال مسلمة: هذه مئة ألف أبعث بها إليك فهي لك، أوص فيها. قال: فهلا غير ذلك يا مسلمة؟ فقال: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: تردها من حيث أخذتها. فبكى مسلمة وقال: يرحمك الله، فقد ألنت منا قلوباً كانت قاسية، وزرعت لنا في قلوب المؤمنين مودة، وأبقيت لنا في الصالحين ذكراً.

ويروى أنه قيل له وقد اشتد مرضه: أوصنا يا أمير المؤمنين، فقال: أحذركم مثل مصرعي هذا[5].

---

(١) «حلية الأولياء» (٥/ ٣٣٥).

(٢) «طبقات ابن سعد» (٥/ ٤٠٦)، رواه عن شيخه الواقدي، قال ابن حجر في «التقريب»: «وهو متروك».

(٣) «طبقات ابن سعد» (٥/ ٤٠٥).

(٤) (ص ٦٢ ـ دار صادر).

(٥) «كتاب العاقبة» للإشبيلي (ص ٦٦).

وعن أبي زيد الدمشقي قال: لما ثَقُلَ عمر بن عبد العزيز دُعي له طبيب، فلما نظر إليه قال: أرى الرجل قد سُقي السُّمّ ولا آمن عليه الموت. فرفع عمر بصره إليه فقال: ولا تأمن الموت أيضاً على من لم يُسْقَ السُّمّ. قال الطبيب: هل حسست بذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، قد عرفت حين وقع في بطني. قال: فتعالج يا أمير المؤمنين، فإني أخاف أن تذهب نفسك. قال: ربي خير مذهوب إليه، والله لو علمت أن شفائي عند شحمة أذني ما رفعت يدي إلى أذني فتناولته، اللهم خِرْ لعمر في لقائك. فلم يلبث إلا أياماً حتى مات رحمه الله[1].

وعن يحيى بن أبي كثير قال: لما حضر عمر بن عبد العزيز الموتُ بكى، فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ أبشر، فإن الله قد أحيا بك سنناً، وأظهر بك عدلاً. فبكى ثم قال: أليس أُوقف فأُسأل عن أمر هذا الخلق؟! فوالله لو رأيت أني عدلت فيهم لخفت على نفسي أن لا تقوم بحجّتها بين يدي الله إلا أن يُلقنها حجّتها، فكيف بكثير مما صنعنا؟! قال: ثم فاضت عيناه، فلم يلبث إلا يسيراً بعدها حتى مات رحمه الله[2].

هشام بن عبد الملك

ابن مروان الخليفة، أبو الوليد القرشي الأموي الدمشقي، استُخلف بعهد معقود له من أخيه يزيد، ثم من بعده لولد يزيد، وكان هشام حريصاً جماعاً للمال، عاقلاً حازماً سائساً، فيه ظلم مع عدل. (ت ١٢٥). «السِّيَر» و «تاريخ الإسلام».

عن إسحاق أبي عَمرو الشيباني قال: لما احتُضِر هشام بن عبد الملك

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ٨٨).

(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ٨٩).

أبصر أهله يبكون حوله، فقال: جاد عليكم هشام بالدنيا، وجُدْتُم عليه بالبكاء، وترك لكم ما جمع، وتركتم عليه ما حَمَل، ما أعظم منقلب هشام إن لم يُغْفَر له!(١).

يزيد بن الوليد

ابن عبد الملك بن مروان، الخليفة أبو خالد القرشي الأموي الدمشقي الملقب بالناقص؛ لكونه نقص عطاء الأجناد، توثَّب عليه ابن عمه الوليد بن يزيد، وتم له الأمر، واستولى على دار الخلافة في سنة ست وعشرين ومئة، ولكنه ما مُتِّعَ ولا بلع ريقه، كانت دولته ستة أشهر! «السِّيَر».

قال بُرد بن سنان: حضرتُ يزيد بن الوليد لما احتُضِر، فأتاه قَطَن فقال: أنا رسولُ مَنْ وراءَك، يسألونك بحق الله لما وليت الأمر أخاك إبراهيم. فغضب وقال بيده على جبهته: أنا أولي إبراهيم! ثم قال لي: يا أبا العلاء، إلى مَنْ ترى أن أعهد؟ قلت: أمْرٌ نهيتُك عن الدخول فيه، فلا أشير عليك في آخره.

قال: وأُغمي عليه حتى حَسِبْتُه قد قضى، فقعد قَطَن، فافتعل كتاباً على لسان يزيد بالعهد، ودعا ناساً فاستشهدهم عليه، ولا والله ما عهد يزيد شيئاً(٢).

شقيق بن ثور

الأمير أبو الفضل السَّدوسي البصري، رئيس بكر بن وائل في

---

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ٩٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٥ / ٣٧٧).

الإسلام، وكان حامل رايتهم يوم الجمل، وأسهم يوم صفين مع علي. (ت ٦٥). «السِّيَر» و «تاريخ الإسلام».

عن سعيد بن يزيد قال: قال شقيق بن ثور حين حضرته الوفاة:

ليته لم يكن سيد قومه، كم من باطل قد حققناه، وحق قد أبطلناه[١].

وعن هارون بن أبي يحيى، عن شيخ من قريش؛ أن شقيق بن ثور قال حين حضره الموت: هذا دَيْن الله في أعناقنا لا بد من أدائه على عسر أو يسر. ثم قال لبنته: إذا أنا متّ فلا تَبْكِيَنّ عليّ باكية، ولا تنوحَنّ عليّ نائحة، وأكثروا لي من الاستغفار[٢].

أبو الأسود الدُّؤَلي

ويقال: الدِّيلي، العلامة الفاضل، قاضي البصرة، واسمه ظالم بن عمرو على الأشهر. ولد في أيام النبوة، وحدث عن عمر وعلي وأُبَي بن كعب وطائفة. (ت ٦٩). «السِّيَر».

كان من سادات التابعين وأعيانهم، صحب علي بن أبي طالب وشهد معه وقعة صِفِّين، وهو بصري، وكان من أكمل الرجال رأياً وأسدّهم عقلاً، وهو أول من وضع النحو. «وفيات الأعيان».

قال ابن خَلِّكان[٣]: قيل لأبي الأسود عند الموت: أبشر بالمغفرة، فقال: وأين الحياء مما كانت له المغفرة؟!

* * *

(١) «كتاب المتمنين» (رقم ١٢٨).
(٢) «تاريخ دمشق» (٢٣ / ١٥٢).
(٣) «وفيات الأعيان» (٢ / ٥٣٩).

عَبِيدة بن عَمرو

السَّلْماني الفقيه المرادي الكوفي، أحد الأعلام، أسلم في عام فتح مكة بأرض اليمن، ولا صحبة له، وأخذ عن علي وابن مسعود وغيرهما، وبرع في الفقه، وكان ثبتاً في الحديث. (ت ٧٢). «السِّيَر».

عن النعمان بن قيس قال: دعا عَبِيدة بكتبه عند موته فمحاها وقال: أخشى أن يَلِيَها أحد بعدي فيضعوها في غير موضعها(١).

عُبَيْد بن عُمَيْر

ابن قتادة الليثي الجُنْدعي المكي الواعظ المفسر، ولد في حياة رسول الله ﷺ، وحدث عن أبيه، وعن عمر بن الخطاب وعلي وأبي ذر وعائشة وطائفة، وكان من ثقات التابعين وأئمتهم بمكة، وكان يذكّر الناس فيحضر ابن عمر رضي الله عنهما مجلسه. (ت ٧٣ أو ٧٤). «السِّيَر».

عن أيوب، عن رجل كان يعجب عبيد بن عمير قال: لما حضرت عبيد بن عمير الوفاة قيل له: ما تشتهي؟ قال: أشتهي رجلاً موقناً بالقرآن يقرأ عليّ(٢).

صفوان بن مُحْرِز

المازني، البصري، العابد، أحد الأعلام، حدث عن أبي موسى الأشعري وعمران بن حُصَيْن وحكيم بن حزام وابن عمر. «السِّيَر». (ت ٧٤). «التقريب».

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٦/ ٩٤).

(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٦٠).

عن خالد الأحدب قال: قال صفوان بن محرز عند الموت لأهله: تعلمون أنّا نبرأ مما برىء منه رسول الله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ سَلَقَ وَحَلَقَ وَخَرَقَ»(١).

أبو عبد الرحمن السُّلَمي

مقرىء الكوفة، الإمام العلم عبد الله بن حبيب بن رُبَيِّعة الكوفي، من أولاد الصحابة، مولده في حياة النبي ﷺ، قرأ القرآن على عثمان وعلي وابن مسعود، وسمع منهم ومن عمر، وكان من المُعَمَّرين. (ت ٧٤، وقيل غير ذلك). «السِّيَر» و «تاريخ الإسلام».

عن عطاء بن السائب قال: دخلت على عبد الله بن حبيب وهو يقضي(٢) في مسجده، فقلت: يرحمك الله، لو تحولت إلى فراشك، فقال: حدثني من سمع النبي ﷺ يقول:

«لاَ يَزَالُ العَبْدُ فِي صَلاَةٍ مَا كَانَ فِي مُصَلاَّهُ يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ، وَالمَلاَئِكَةُ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ»(٣).

قال: فأريد أن أموت وأنا في مسجدي(٤).

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٧/ ١٤٨). وفيها: «تعلمون أن نرى مما يرى منه رسول الله ﷺ»! وقول النبي ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا...» إلخ. أخرجه بهذا اللفظ مسلم في «صحيحه» (برقم ١٠٤)، وهو في «الصحيحين» بلفظ: إن رسول الله ﷺ بريء من الصالقة والحالقة والشاقة.
وله ألفاظ أخرى منها عند مسلم: «أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ حَلَقَ وَسَلَقَ وَخَرَقَ». كلها عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. وانظر: (صفحة ١٠٦).

(٢) أي: يموت.

(٣) متفق عليه.

(٤) «طبقات ابن سعد» (٦/ ١٧٤).

وعن عطاء ـ أيضاً ـ قال: ذهبنا نُرَجِّي أبا عبد الرحمن عند موته فقال: أنا لا أرجو وقد صمت ثمانين رمضان؟![1].

الأسود بن يزيد النخعي

ابن قيس، الإمام القدوة، أبو عَمرو النَّخَعي الكوفي، وقيل: يُكْنَى أبا عبد الرحمن، وهو أخو عبد الرحمن بن يزيد، ووالد عبد الرحمن بن الأسود، وابن أخي علقمة بن قيس، وخال إبراهيم النَّخَعي. فهؤلاء أهل بيت من رؤوس العلم والعمل. حدث عن معاذ بن جبل وبلال وابن مسعود وعائشة وغيرهم. (ت ٧٥). «السِّيَر».

عن علقمة بن مرثد قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم الأسود بن يزيد، كان مجتهداً في العبادة، يصوم حتى يخضر جسده ويصفر، وكان علقمة بن قيس يقول له: لِمَ تعذب هذا الجسد؟ قال: راحة هذا الجسد أريد.

قال: فلما احتضر بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ قال: ما لي لا أجزع؟! ومن أحق بذلك مني؟! والله لو أُتيت بالمغفرة من الله عز وجل لهمني الحياء منه مما قد صنعته، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه، فلا يزال مُسْتَحِياً منه[2].

وعن ابن عون، عن إبراهيم، عن الأسود بن يزيد أنه قال لرجل عند الموت: إن استطعت أن تُلَقِّنِّي حتى يكون آخر ما أقول: لا إله إلا الله؛ فافعل، ولا تجعلوا في قبري آجُرّاً، ولا تَتْبَعوني بصوت، أو قال: بنوح[3].

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٦ / ١٧٥).

(٢) «الحلية» (٢ / ١٠٣).

(٣) «طبقات ابن سعد» (٦ / ٧٥).

وعن سلمة بن كهيل، عن إبراهيم قال: كنت أمسك الأسود في مرضه الذي مات فيه، فلما فرغ من القراءة دعا[1].

بشر بن مروان

ابن الحكم الأُموي، أمير العراقَين لأخيه عبد الملك بعد مقتل مصعب ابن الزبير. (ت ٧٥).

عن الأعمش، عن أبي وائل [شقيق بن سلمة] قال: لما حُضِر بشرُ بن مروان قال: والله لوددت أني كنت عبداً حبشياً لشر أهل المدينة مَلَكَة، أرعى عليهم غنمهم، وأني لم أكن فيما كنت فيه.

فقال سفيان: الحمد لله الذي جعلهم يفرون إلينا ولا نفر إليهم، إنهم ليرون فينا عِبَراً، وإنا لنرى فيهم غِيَراً[2][3].

شَبَث بن رِبْعِي

التميمي اليربوعي، أبو عبد القدوس الكوفي، مخضرم، كان مؤذن سجَاح ثم أسلم، ثم كان ممن أعان على عثمان، ثم صحب علياً، ثم صار من الخوارج عليه، ثم تاب، فحضر قتل الحسين، ثم كان ممن طلب بدم الحسين مع المختار، ثم ولي شرطة الكوفة، ثم حضر قتل المختار، ومات بالكوفة في حدود الثمانين. «تقريب التهذيب».

عن العريان بن الهيثم قال: كان أبي عثمانياً وشَبَث بن ربعي علوياً،

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٦ / ٧٥).

(٢) الغِيَر: تغير الحال وانتقالها من الصلاح إلى الفساد. «لسان».

(٣) «كتاب المتمنين» لابن أبي الدنيا (رقم ٢٩).

وكانا متصافَّيْن، فلما مرض شبث مرضه الذي توفي فيه بعثني أبي إليه، فدخلت عليه وعنده ابنتاه تسندانه، فقلت: أبي يقرئك السلام ويقول: كيف تجدك؟

قال: أجدني في آخر يوم [من] الدنيا، وأول يوم من الآخرة، فأقرىء أباك السلام. ثم التفت إلى ابنتيه فقال متمثلاً بقول لبيد:

تمَنَّى ابْنَتَايَ أن يعيش أبوهما | وهل أنا إلا مِنْ ربيعة أو مُضَرْ
ونادِبَتَيْنِ تَنْدُبان[1] بعاقلٍ | أخا ثقةٍ لا عَيْنَ منه ولا أثَرْ
فقوما فقولا بالذي قد علمتما | ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شَعَرْ
وقولا هو المرءُ الذي لا حميمه | أضاع ولا خان الصديق ولا غَدَرْ
إلى الحَوْلِ ثم اسم السلام عليكما | ومن يَبْكِ حولاً كاملاً فقد اعْتَذَرْ

قال: ثم نهضت، فما خرجتُ من أبيات بني يربوع حتى سمعت الواعية عليه[2].

خَيْثَمَة بن عبد الرحمن

الجُعْفي الكوفي، الفقيه، ولأبيه وجدّه صحبة، حدث عن أبيه، وعن عائشة وابن عباس وابن عمر وغيرهم، وكان من العلماء العباد، سخياً جواداً يركب الخيل ويغزو. «السِّيَر». (ت بعد ٨٠). «التقريب».

عن محمد بن خالد الضبي: أن خيثمة جاءته امرأته في مرضه فجلست بين يديه فبكت، فقال لها: ما يبكيك؟ الموت لا بد منه. فقالت له المرأة: الرجال بعدك علي حرام. فقال لها خيثمة: ما كل هذا أردت منك، إنما

---

(١) في «ديوان لبيد»: «ونائحتان تندبان».

(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ٢٧٤)، و «التعازي والمراثي» (ص ٢٧٠).

كنت أخاف رجلاً واحداً، وهو أخي محمد بن عبد الرحمن، وهو رجل فاسق يتناول الشراب، فكرهت أن يشرب في بيتي الشراب بعد إذ القرآن يتلى فيه في كل ثلاث[1].

المُهَلَّب بن أبي صُفْرة

الأمير البطل، قائد الكتائب، أبو سعيد المهلبُ بن أبي صُفْرة، ظالم ابن سَرَّاق بن صُبْح بن كِنْدِيّ بن عَمرو الأزدي العَتَكي البصري. حدث عن عبد الله بن عَمرو بن العاص، وسَمُرَة بن جُنْدب، وابن عمر، والبراء بن عازب. (ت ٨٢ أو ٨٣). «السِّيَر».

قال ابن خَلِّكان[2]: لما حضرته الوفاة جمع من حضره من بنيه ودعا بسهام فحزمت، ثم قال: أترونكم كاسريها مُجَمَّعة؟ قالوا: لا، قال: أفترونكم كاسريها مفرقة؟ قالوا: نعم، قال: هكذا الجماعة. ثم مات.

وقال ابن منقذ[3]: لما حضرت المُهَلَّب بن أبي صُفْرة رحمه الله الوفاة قال لولده وأهله: أوصيكم بتقوى الله، وصلة الرحم، فإن تقوى الله تُعْقِب الجنة، وإن صلة الرحم تُنْسِىء الأجل، وتثري المال، وتجمع الشَّمْل، وتُكَثِّر العَدد، وتُعَمِّر الديار، وتُعِزّ الجانب، وأنهاكم عن معصية الله تعالى، فإن معصية الله تُعْقِب النار، وإن قطيعة الرحم تورث الذِّلة والقِلّة، وتُقِلّ العَدد، وتفرق الجمع، وتَذَر الديار بلاقع، وتذهب المال، وتُطْمِع العدو، وتُبْدي العَوْرة.

* * *

(١) «حلية الأولياء» (٤ / ١١٥).
(٢) «وفيات الأعيان» (٥ / ٣٥٤).
(٣) «لباب الآداب» (ص ٢٩)، وللوصية بقية، انظر: (ص ٢٩ ـ ٣١).

عبد الله بن شَدّاد

ابن الهاد الليثي، الفقيه، أبو الوليد المدني ثم الكوفي، حدّث عن معاذ بن جبل، وابن مسعود، وطلحة بن عبيد الله، وعائشة، وأم سلمة، وجماعة. عَدَّهُ خليفة في تابعي أهل الكوفة. قتل ليلة دُجَيْل سنة اثنتين وثمانين[١]. «السِّيَر».

عن ابن الكَلْبي، عن أبيه قال: لما حضرت عبدَ الله بن شداد بن الهاد الوفاةُ دعا ابناً له يقال له: محمد، فقال: يا بُنَيّ، إني أرى داعي الموت لا يقلع، وأرى من مضى لا يرجع، ومن بقي فإليه يَنْزِع، وإني مُوصِيك بوصية فاحفظها: عليك بتقوى الله العظيم، وليكن أولى الأمور بك شكرُ الله وحسنُ النية في السر والعلانية، فإن الشكور يزداد، والتقوى خير زاد، وكن كما قال الحطيئة:

ولستُ أرى السعادةَ جمعَ مالٍ ... ولكنّ التَّقِيَّ هو السَّعِيدُ
وتقوى الله خيرُ الزادِ ذُخْراً ... وعند الله للأتقى مَزِيدُ
وما لا بُدّ أن يأتي قريبٌ ... ولكنّ الذي يمضي بعيدُ

ثم قال: أي بُنَيّ، لا تزهدن في معروف، فإن الدهر ذو صُرُوف، والأيام ذات نوائب، على الشاهد والغائب، فكم من راغبٍ قد كان مرغوباً إليه، وطالبٍ أصبح مطلوباً ما لديه، واعلم أن الزمان ذو ألوان، ومن يصحب الزمان يرى الهوان[٢].

***

---

(١) أو سنة (٨٣)، كما في «تاريخ الطبري».

(٢) «أمالي القالي» (٢ / ٢٠٢)، وللوصية بقية، وانظر: «لباب الآداب» (ص ٢٢ ـ ٢٨). وانظر أيضاً ما سيأتي (صفحة ٣٨٦).

عبد الله بن غالب الحُدَّاني

البصري، عابد أهل البصرة وقاصّهم، يكنى أبا فراس، وقيل: أبا قريش، له عن أبي سعيد الخدري حديث واحد، قال يحيى القطان: قتل في الجماجم سنة ثلاث وثمانين[١]. «تاريخ الإسلام».

عن جعفر بن سليمان قال: حدثنا أبو عيسى قال: لما كان يوم الزاوية[٢] رأيت عبد الله بن غالب دعا بماء فصبه على رأسه، وكان صائماً، وكان يوماً حاراً، وحوله أصحابه، ثم كسر جَفْن سيفه فألقاه، ثم قال لأصحابه: رُوحوا بنا إلى الجنة. قال: فنادى عبد الملك بن المُهَلَّب: أبا فراس، أنت آمن أنت آمن، فلم يلتفت إليه، ثم مضى فضرب بسيفه حتى قتل[٣].

عن المغيرة بن حبيب قال: قال عبد الله بن غالب الحُدَّاني لما برز إلى العدو: على ما آسى من الدنيا؟! فوالله ما فيها للبيت جذل، ووالله لولا محبتي لمباشرة السهر بصفحة وجهي، وافتراش الجبهة لك يا سيدي، والمراوحة بين الأعضاء والكراديس في ظلم الليل رجاء ثوابك وحلول رضوانك، لقد كنت متمنياً لفراق الدنيا وأهلها. قال: ثم كسر جفن سيفه ثم تقدم فقاتل حتى قتل[٤].

عقبة بن عبد الغافر

الأزدي العوذي البصري، روى عن أبي سعيد الخدري وعبد الله بن

---

(١) وكذا في «تهذيب الكمال» (١٥ / ٤٢١)، وفي «تاريخ خليفة»: (سنة ٨٢).
(٢) راجع «تاريخ خليفة» (حوادث سنة ٨٢).
(٣) «حلية الأولياء» (٢ / ٢٥٨).
(٤) «الحلية» (٦ / ٢٤٧).

المُغَفَّل. (ت ٨٣؟). «تاريخ الإسلام».

عن مرة بن الدَبَّاب: وردتُ بعقبة بن عبد الغافر وهو صريع في الخندق جريح حين انهزم الناس، فناداني: يا أبا المعَذّل، يا أبا المعَذّل، فالتفتُّ إليه فقال: ذهبت الدنيا والآخرة.

وذٰلك في يوم ابن الأشعث(١).

أبو العالية

رُفَيْع بن مِهْران، الإمام المقرىء الحافظ المفسر، أبو العالية الرِّياحي البصري، أحد الأعلام، أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق ودخل عليه، وحفظ القرآن وقرأه على أُبَيّ بن كعب، وتصدر لإفادة العلم، وبَعُد صيته. (ت ٩٠ أو ٩٣). «السِّيَر».

عن سَيّار بن سلامة قال: دخلت على أبي العالية في مرضه الذي مات فيه، قال: إن أحبَّه إليّ أحبُّه إلى الله(٢).

سعيد بن المسيب

الإمام العَلَم أبو محمد القرشي المخزومي، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه. (ت ٩٣). «السِّيَر».

عن زرعة بن عبد الرحمن؛ أنه شهد سعيد بن المسيب في مرضه وعنده أبو سلمة بن عبد الرحمن، فغُشِي على سعيد، فأمر أبو سلمة أن يحول فراشه إلى الكعبة، فأفاق فقال: حَوَّلْتم فراشي؟! فقالوا: نعم. فنظر

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٧/ ٢٢٥).

(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ٣٠٨).

إلى أبي سلمة فقال: أراه عملك! فقال: أنا أمرتهم. فقال: فأمر سعيد أن يعاد فراشه(١).

وعن عبد الرحمن بن الحارث المخزومي قال: اشتكى سعيد بن المسيب فاشتد وجعه، فدخل عليه نافع بن جبير بن مُطْعم يعوده، فأُغمي عليه، فقال نافع بن جبير بن مطعم: وجِّهُوا فراشه إلى القبلة. ففعلوا، فأفاق، فقال: مَن أمَرَكم أن تُحَوِّلوا فراشي إلى القبلة؟ أنافع بن جبير أمركم؟ فقال نافع: نعم. فقال له سعيد: لئن لم أكن على القبلة والملة لا ينفعني توجيهُكم فراشي(٢).

وعن ابن أبي ذئب، عن أخيه المغيرة بن عبد الرحمن؛ أنه دخل مع أبيه على سعيد بن المسيب وقد أغمي عليه، فوُجِّه إلى القبلة، فلما أفاق قال: من صنع هذا بي؟ ألست امرأً مسلماً وجهي إلى الله حيثما كنت؟!(٣).

وعن نافع بن جبير بن مُطْعِم قال: دخلت على سعيد بن المسيب وهو مضطجع على فراشه، فقلت لمحمد ابنه: حَوِّل فراشه فاسْتَقْبِل به القبلة، فقال: لا تفعل، عليها ولدت، وعليها أموت، وعليها أبعث إن شاء الله(٤).

وعن زرعة بن عبد الرحمن قال: شهدت سعيد بن المسيب يوم مات يقول: يا زرعة، إني أُشْهدك على ابني محمد لا يُؤْذِنَنَّ بي أحداً، حسبي أربعة يحملوني إلى ربي، ولا تتبعي صائحة تقول فِيَّ ما ليس فِيَّ(٥).

وعنه قال: دخلت على سعيد بن المسيب وهو يجود بنفسه، فدعا ابنه

---

(١) «المصنف» لابن أبي شيبة (٢ / ٤٤٧ ـ ٤٤٨ / رقم ١٠٨٧٩)، وصحح سنده الألباني رحمه الله في «الأحكام» (مسألة ١٥).
(٢) «طبقات ابن سعد» (٥ / ١٤٢).
(٣) «طبقات ابن سعد» (٥ / ١٤٢ ـ ١٤٣).
(٤) «طبقات ابن سعد» (٥ / ١٤٢).
(٥) «طبقات ابن سعد» (٥ / ١٤٣).

محمداً فقال: يا محمد، إني أُوصيك بثلاث لا تَعْمَلَنَّ بعد موتي شيئاً منها، اشهد عليه يا زرعة: لا تُتْبِعوني بنار، فبئس المُشَيِّع للجنازة، ولا يُؤَذِّنَنَّ بالمسجد: رحم الله مَنْ شهد سعيد بن المسيب، حسبي مَنْ يحملني إلى ربي عز وجل ولو أربعة، ولا تُخَلِّيَنَّ بيني وبين باكية تبكي علي، لا حاجة لي فيها، تكذب عليّ وتقول: كان وكان(١).

وعن أبي حازم قال: قال سعيد بن المسيب في مرضه الذي مات فيه: إذا مت فلا تضربوا على قبري فسطاطاً، ولا تحملوني على قطيفة حمراء، ولا تُتْبِعوني بنار، ولا تُؤْذِنوا بي أحداً، حسبي من يُبَلِّغني ربي، ولا يتبعني راجزهم هذا(٢).

وعن عبد الرحمن بن محمد القاري، عن سعيد بن المسيب؛ أنه قال في مرضه: إيّاي وحاديهم هذا الذي حَدَوا لهم؛ هذا الذي يقول: استغفروا له غفر الله لكم(٣).

وعن يحيى بن سعيد قال: لما حَضَر سعيد بن المسيب الموتُ ترك دنانير، فقال: اللهم إنك تعلم أني لم أتركها إلا لأصون بها حَسَبي ودِيني(٤).

أبو الشَّعْثاء

جابر بن زيد الأزدي اليَحْمَدي، مولاهم البصري، يعد مع الحسن وابن سيرين، وهو من كبار تلامذة ابن عباس. (ت ٩٣). «السِّيَر».

---

(١) «وصايا العلماء» (ص ٨٠ ـ ٨١).

(٢) «طبقات ابن سعد» (٥ / ١٤٢).

(٣) «وصايا العلماء» (ص ٧٩).

(٤) «طبقات ابن سعد» (٥ / ١٤٣).

عن ثابت البناني قال: دخلت على جابر بن زيد وقد ثَقُل، قال: فقلت له: ما تشتهي؟ قال: نظرة من الحسن. قال: فأتيت الحسن وهو في منزل أبي خليفة فذكرت ذلك له، فقال: اخرج بنا إليه. قال: قلت: إني أخاف عليك. قال: إن الله سيصرف عني أبصارهم، قال: فانطلقنا حتى دخلنا عليه، قال: فقال له الحسن: يا أبا الشعثاء قل: لا إله إلا الله، قال: فقال: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾[1]، قال: فتلا هذه الآية. قال: فقال له الحسن: إن الإباضية تتولاك، قال: فقال: أبرأ إلى الله منهم، فقال: فما تقول في أهل النهر؟ قال: فقال: أبرأ إلى الله منهم، قال: ثم خرجنا من عنده[2].

وعنه قال: لما ثَقُل جابر بن زيد قيل له: ما تشتهي؟ قال: نظرة إلى الحسن. قال: فأتيت الحسن فأخبرته، فركب إليه، فلما دخل عليه قال لأهله: أرقدوني، فجلس فما زال يقول: أعوذ بالله من النار وسوء الحساب[3].

وفي «التبصرة»[4]: بكى أبو الشعثاء عند موته فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: لم أشتفِ من قيام الليل.

زُرَارة بن أوفى

الإمام الكبير، قاضي البصرة، أبو حاجب العامري البصري، أحد

---

(١) الأنعام: ١٥٨. ونصها: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾.

(٢) «طبقات ابن سعد» (٧/ ١٨٢).

(٣) «حلية الأولياء» (٣/ ٨٩).

(٤) (١/ ٢١٤).

الأعلام، سمع عمران بن حصين وأبا هريرة وابن عباس. (ت ٩٣). «السِّيَر».

عن بَهْز بن حكيم قال: صلى بنا زرارة بن أوفى في مسجد بني قُشَيْر، فقرأ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾[١]، فخر ميتاً، فحمل إلى داره[٢].

قلت: وصَحّح الإمام الذهبي هذا عنه في «السِّيَر»[٣].

العلاء بن زياد

ابن قَطَر بن شُرَيْح، القدوة العابد، أبو نصر العَدَوي البصري. أرسل عن النبي ﷺ، وحدث عن عمران بن حصين وعياض بن حمار وأبي هريرة ومطرّف بن الشِّخِّير وغيرهم. وكان ربانياً تقياً، قانتاً لله، بكاءً من خشية الله. (ت ٩٤). «السِّيَر».

عن زهير بن أبي عطية قال: لما احتُضِر العلاء بن زياد العَدَوي بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: كنت والله أحب أن أستقبل الموت بالتوبة. قال: فافعل، رحمك الله.

قال: فدعا بطهور فتطهر، ثم دعا بثوب له جديد فلبسه، ثم استقبل القبلة، فأومأ برأسه مرتين أو نحو ذٰلك، ثم اضطجع فمات[٤].

أبو بكر بن عبد الرحمن

ابن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم،

---

(١) المدثر: ٨.

(٢) «الحلية» (٢ / ٢٥٨ ـ ٢٥٩).

(٣) (٤ / ٥١٦).

(٤) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٥٧).

الإمام، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة النبوية، أبو عبد الرحمن، والصحيح أن اسمَه كنيتُه. وكان ممن جمع العلم والعمل والشرف، وكان ضريراً. (ت ٩٤). «السِّيَر».

عن عبد الله بن جعفر قال: صلى أبو بكر بن عبد الرحمن العصر، فدخل مغتسله فسقط، فجعل يقول: والله ما أحدثتُ في نهاري هذا شيئاً.

قال: فما علمتُ غربت الشمس حتى مات(١).

مُطَرِّف بن عبد الله

ابن الشِّخِّير، الإمام القدوة الحجة، أبو عبد الله الحَرَشي العامري البصري، من كبراء التابعين. (ت ٩٥). «السِّيَر».

عن عبد الله بن مسلم العبدي قال: قال مُطَرِّف لما حضره الموت: اللهم خِرْ لي في الذي قضيته عَلَيَّ من أمر الدنيا والآخرة.

قال: وأمرهم بأن يحملوه إلى قبره فختم فيه القرآن قبل أن يموت(٢).

وعن رجل من أهل البصرة، عن ثابت البناني ورجل آخر قد سماه، أنهما دخلا على مطرف بن عبد الله بن الشخير وهو مغمى عليه، قال: فسطعت منه ثلاثة أنوار: نور من رأسه، ونور من وسطه، ونور من رجليه، قال: فهالنا ذلك، فأفاق فقلنا: كيف تجدك يا أبا عبد الله؟ قال: صِلْح. قلنا: لقد رأينا شيئاً هالنا، قال: وما هو؟ قلنا: أنوار سطعت منك. قال: وقد رأيتم ذلك؟ قلنا: نعم، قال: تلك ﴿الٓمٓ﴾ السجدة، وهي تسع وعشرون آية، تسطع أولها من رأسي، وأوسطها من وسطي، وآخرها من

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٥ / ٢٠٨).

(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٥٦).

قدميّ، وقد صعدت لتشفع لي، وهذه تبارك تحرسني[(١)].

قلت: راويها مجهول كما ترى!

سعيد بن جبير

ابن هشام، الإمام الحافظ المقرىء المفسر الشهيد، أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله الأسدي الوالبي، مولاهم الكوفي، أحد الأعلام، روى عن ابن عباس فأكثر وجَوَّد، وعن عبد الله بن مُغَفَّل، وعائشة، وغيرهم. (ت ٩٥). «السِّيَر».

عن داود بن أبي هند قال: لما أخذ الحجاج سعيد بن جبير قال: ما أراني إلا مقتولاً، وسأخبركم أني كنت أنا وصاحبين لي دعونا حين وجدنا حلاوة الدعاء، ثم سألنا الله الشهادة، فكلا صاحبي رزقها، وأنا أنتظرها. قال: فكأنه رأى أن الإجابة عند حلاوة الدعاء[(٢)].

وعن عَمرو بن سعيد قال: دعا سعيدُ بن جبير ابنَه حين دُعي ليقتل، فجعل ابنه يبكي. فقال: ما يبكيك؟ ما بقاء أبيك بعد سبع وخمسين سنة؟![(٣)].

قال الذهبي[(٤)]: «صح أنه قال لابنه: ما يبكيك...» إلخ.

وعن سالم بن أبي حفصة قال: لما أتى سعيد بن جبير الحجاجَ، قال: أنت شقي بن كسير؟ قال: أنا سعيد بن جبير، قال: لأقتلنك. قال:

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٧/ ١٤٦).
(٢) «حلية الأولياء» (٤/ ٢٧٤).
(٣) «حلية الأولياء» (٤/ ٢٧٥).
(٤) «تاريخ الإسلام» (٦/ ٣٦٩).

أنا إذاً كما سمتني أمي، ثم قال: دعوني أصلي ركعتين. قال: وجهوه إلى قبلة النصارى. قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾(١). ثم قال: إني أستعيذ منك بما عاذت به مريم. قال: وما عاذت به مريم؟ قال: قالت: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾(٢). قال سفيان: لم يقتل بعد سعيد بن جبير إلا رجلاً واحداً(٣).

وعن خلف بن خليفة، عن أبيه قال: شهدت مقتل سعيد بن جبير، فلما بان رأسه قال: لا إله إلا الله، لا إله إلا الله. ثم قالها الثالثة فلم يتمها(٤).

الحجاج بن يوسف الثقفي

أمير العراق من قبل عبد الملك بن مروان، وقاتل سعيد بن جبير.

قال الذهبي: كان ظلوماً جباراً ناصبياً خبيثاً، سفاكاً للدماء، وكان ذا شجاعة وإقدام، ومكر ودهاء، وفصاحة وبلاغة، وتعظيم للقرآن. (ت ٩٥). «السِّيَر».

عن الأحوص بن حكيم الفارسي، عن أبيه، عن جده قال: حضرت نزيع الحجاج بن يوسف، فلما حضره الموت جعل يقول: ما لي ولك يا سعيد بن جبير، ما لي ولك يا سعيد بن جبير، ما لي ولك يا سعيد بن جبير؟!(٥).

---

(١) البقرة: ١١٥.
(٢) مريم: ١٨.
(٣) «حلية الأولياء» (٤ / ٢٩٠).
(٤) «حلية الأولياء» (٤ / ٢٩٠ ـ ٢٩١).
(٥) «تاريخ ابن عساكر» (١٢ / ١٩٤).

ويقال: إن الحجاج لما حضرته الوفاة كان يغوص ثم يُفيق ويقول: ما لي ولسعيد بن جبير؟! وقيل: إنه في مدة مرضه كان إذا نام رأى سعيد بن جبير آخذاً بمجامع ثوبه يقول له: يا عدوّ الله، فيم قتلتني؟ فيستيقظ مذعوراً ويقول: ما لي ولسعيد بن جبير؟![1].

وعن إبراهيم بن هشام الغساني، عن أبيه، عن جده؛ أن عمر بن عبد العزيز قال: ما حسدت الحجاج عدوّ الله على شيء حسدي إياه على حبه القرآن، وإعطائه أهله، وقوله حين احتُضِر:

اللهم اغفر لي فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل[2].

وعن محمد بن المنكدر قال: كان عمر بن عبد العزيز يبغض الحجاج، فنفس عليه بكلمة قالها عند الموت: اللهم اغفر لي فإنهم زعموا أنك لا تفعل[3].

وقيل للحسن: إن الحجاج قال عند الموت كذا وكذا، قال: أقالها؟! قالوا: نعم، قال: عسى[4].

وعن الأصمعي قال: لما حضرت الحجاج الوفاة أنشأ يقول:

يا رَبّ قد حَلَفَ الأعدَاءُ واجْتَهَدُوا ... بأَنَّني رَجُلٌ مِنْ سَاكِنِي النَّارِ
أَيَحْلِفُون على عَمْيَاءَ وَيْحَهُمُ ... مَا عِلْمُهُمْ بِكَثِيرِ العَفْوِ غَفَّارِ[5]

* * *

(١) «وفيات الأعيان» (٢/ ٣٧٤).
(٢) «تاريخ الإسلام» (٦/ ٣٢٦).
(٣) «تاريخ ابن عساكر» (١٢/ ١٩٤).
(٤) «تاريخ ابن عساكر» (١٢/ ١٩٤).
(٥) المصدر السابق (١٢/ ١٩٤ـ ١٩٥).

إبراهيم النَّخَعي

الإمام الحافظ، فقيه العراق، أبو عمر إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي اليماني ثم الكوفي، أحد الأعلام، سمع زيد بن أرقم، والمغيرة بن شعبة، وأنس بن مالك، وكان بصيراً بعلم ابن مسعود، واسع الرواية، فقيه النفس، كبير الشأن، كثير المحاسن. (ت ٩٦). «السِّيَر» و«تاريخ الإسلام».

لما حضرته الوفاة جزع جزعاً شديداً، فقيل له في ذلك، فقال:

وأي خطر أعظم مما أنا فيه؟ إنما أتوقع رسولاً يأتي علي من ربي؛ إما بالجنة وإما بالنار، والله لوَدِدْتُ أنها تَلَجْلَجُ في حلقي إلى يوم القيامة(١).

وعن أبي الهيثم قال: دخلت على إبراهيم وهو مريض فبكى، فقلت: ما يبكيك يا أبا عمران؟ فقال: ما أبكي جزعاً على الدنيا، ولكن ابنتيّ هاتين. قال: فجئت من الغد فإذا هو قد مات، وإذا امرأته قد أخرجته من البيت إلى الصّفّة وهي تبكيه(٢).

وعن ابن عون قال: لما توفي إبراهيم أتينا منزله فقلنا: بأي شيء أوصى؟ قالوا: أوصى أن لا تجعلوا في قبري لَبِناً عَرْزَمِيّاً، والحدوا لي لحداً، ولا تُتْبِعوني بنار(٣).

وعن أبي الهيثم، عن إبراهيم أنه أوصى قال: إذا كنتم أربعة فلا تُؤْذِنوا بي أحداً(٤).

---

(١) «وفيات الأعيان» (١ / ٢٥).

(٢) «طبقات ابن سعد» (٦ / ٢٨٣).

(٣) «طبقات ابن سعد» (٦ / ٢٨٣).

(٤) «طبقات ابن سعد» (٦ / ٢٨٤).

وعن أبي معشر قال: دخلنا على إبراهيم النخعي حين ثَقُلَ، فجعل يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

قال: فلما زاد ثقلاً جعل يُنْقِص حتى قال: لا إله إلا الله وحده، لا إله إلا الله. ثم قضى(١).

عبد الرحمن بن الأسود

ابن يزيد بن قيس، أبو حفص النخعي الكوفي، الفقيه، الإمام ابن الإمام. حدث عن أبيه وعمه علقمة بن قيس وعائشة وابن الزبير وغيرهم، وأدرك أيام عمر، وكان من المجتهدين العباد. (ت ٩٨ أو ٩٩). «السِّيَر».

عن الحكم قال(٢): لما احتُضِر عبد الرحمن بن الأسود بكى، فقيل: ما يبكيك؟ قال:

أسفاً على صلاة والصوم. ولم يزل يقرأ القرآن حتى مات.

جميل بُثَيْنَة

جميل بن عبد الله بن مَعْمر أبو عمرو العُذْري، الشاعر الشهير، له شعر في الذروة لطافة ورقة وبلاغة، ويشي‌شي‌حكى عنه تصون ودين وعفة. «السِّيَر».

ذكر الزبير بن بكّار، عن عباس بن سهل الساعدي قال: بينا أنا بالشام إذ لقيني رجل من أصحابي فقال: هل لك في جميل فإنه يعتلّ نعوده؟

---

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٤٧).

(٢) «طبقات ابن سعد» (٦ / ٤١٣).

فدخلنا عليه وهو يجود بنفسه، فنظر إلي وقال: يا بن سهل، ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ولم يزنِ ولم يقتل النفس ولم يسرق يشهد أن لا إله إلا الله؟ قلت: أظنه قد نجا وأرجو له الجنة، فمن هذا الرجل؟ قال: أنا، قلت له: والله ما أحسبك سلمت وأنت تُشَبِّب منذ عشرين سنة ببُثَيْنَة، قال: لا نالتني شفاعة محمد ﷺ ـ وإني لفي أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا ـ إن كنت وضعت يدي عليها لريبة. فما برحنا حتى مات[1].

زاد في «المنتظم»[2]: وإن كان أكثر ما نلت منها إلا أني كنت آخذ يدها فأضعها على قلبي فأستريح إليها، ثم أغمي عليه وأفاق، فأنشأ يقول:

صرخ النَعِيّ وما كَنَى بجميلِ ... وثَوَى بمِصْرَ ثَوَاءَ غَيْرِ قَفُولِ
ولقد أَجُرّ الذيل في وادي القُرى ... نَشْوَانَ بين مَزَارِعٍ ونخِيلِ
قومي بثينةُ فاندُبي بِعَوِيلِ ... وابكي خَليلَك قبلَ كُلّ خَليلِ

ثم أُغمي عليه فمات.

القاسم بن مُخَيْمِرَة

الإمام القدوة الحافظ، أبو عروة الهَمْداني الكوفي، نزيل دمشق. (ت ١٠٠ أو ١٠١). «السِّيَر».

عن محمد بن عبد الله الشُّعيثي، عن القاسم بن مُخَيْمِرة أنه كان يدعو بالموت، فلما حضره الموت قال لأمّ ولده: إني كنت أدعو بالموت، فلما نزل بي كرهته[3].

---

(١) «وفيات الأعيان» (١ / ٣٧٠).
(٢) (٤ / ٢٠٢)، وانظر: «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (ص ٣٢٠).
(٣) «طبقات ابن سعد» (٦ / ٣٠٣).

قال الذهبي[1]: هكذا يتم لغالب من يتمنى الموت، والنبي ﷺ قد نهى أن يتمنى أحدنا الموت لضرّ نزل به، وقال: «لِيَقُلِ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي إِذَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْراً لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الوَفَاةَ خَيْراً لِي»[2].

الضحاك بن مزاحم

الهلالي، أبو محمد، وقيل: أبو القاسم، صاحب التفسير. كان من أوعية العلم. حدث عن أبي سعيد الخدري وابن عمر وأنس بن مالك وغيرهم. (ت ١٠٢). «السِّيَر».

عن رجل من أهل الكوفة، عن أخي الضحاك بن مزاحم قال: لما حضرت الضحاكَ الوفاةُ أرسل إليَّ فقال: لا أحسبني إلا مَيّتاً فيما بيني وبين الصبح، فلا أُلْفِيَنّك إذا مُتُّ تنادي مات الضحاك مات الضحاك، من يسمع النداء جاء، اضْرِبْ بيدك في غُسْلي، وأكثر في مساجدي من الطيب، وكفّنّي في الأكفان من هذه البياض وَسَطاً من هذه الأكفان، وإيّاك وما أحدث الناس من هذا الضريح، ادفني في لحد، فإذا حملتني الرجال على عواتقها فلا أُلفينك تمشي بي مَشْيَ العروس، مشياً بين المَشْيين دون الخَبَب وفوق الخطى، فإن وجدت لَبِناً فَلَبِنٌ وإلا فمن خشاش الأرض، فإذا وضعتني في لحدي فسوّيتَ عليّ اللبن فادْفع لبنة من عند رأس أخيك، ثم انظر إلى مضجعه، ثم شَنْ شأنك، فإذا دفنتني ونَفَضَتِ الرجالُ أيديها عنّي فقم عند رأس قبري واستقبل القبلة، ثم ناد ثلاثة أصوات تسمع أصحابك: اللهم إنك قد أجلست الضحاك في قبره تسأله عن ربه وعن دينه وعن نبيّه

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٥ / ٢٠٤ ـ ٢٠٥).

(٢) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ مِنْ ضُرٍّ أَصَابَهُ، فإنْ كانَ لَا بُدَّ فاعِلاً فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي...» إلخ.

ﷺ، فثبته بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ثم انصرف[١].

قلت: لم يرد في هذا شيء يعتمد عليه، إنما ثبت الدعاء له بالثبات وأنه يُسأل، وأحسن أحوال هذه الحكاية أن فيها راوياً مجهولاً!

وعن الأجلح قال: قال لي الضحاك بن مزاحم: اعمل قبل أن لا تستطيع أن تعمل. قال الأجلح: ويكون هذا؟ قال: فأنا أريد أن أعمل اليوم ما أستطيع[٢].

وعن عبيد بن طفيل قال: قال الضحاك عند موته لأخيه: لا يُصَلّينّ عليَّ غيْرُك، ولا تَدَعَنّ الأمير يصلّي عليّ، واذكر مني ما علمت[٣].

وعن بُديل قال: أوصانا الضحاك: ألاّ تبطحوني على وجهي، ولا تمسحوا بطني، واغسلوني من وراء الثوب، أو قال: القميص[٤].

الشَّعْبي

عامر بن شَراحيل بن عبد بن ذي كِبَار، الإمام، علامة العصر، أبو عَمرو الهَمْداني ثم الشَّعْبي. رأى علياً رضي الله عنه وصلى خلفه، وسمع من عدة من كبراء الصحابة. (ت ١٠٤). «السِّيَر».

عن أبي أسامة قال: حدثنا زكريا بن يحيى قال: دخلت على الشَّعبي وهو يشتكي فقلت له: كيف تجدك؟ قال: أجدني وجعاً مجهوداً، اللهم إني أحتسب نفسي عندك فإنها أعز الأنفس عندي[٥].

قال سفيان بن عيينة، عن رجل من أهل الكوفة: سئل عامر لما

(١) «طبقات ابن سعد» (٦/ ٣٠١ ـ ٣٠٢).
(٢) المصدر السابق (٦/ ٣٠٢).
(٣) المصدر السابق (٦/ ٣٠٢).
(٤) المصدر السابق (٦/ ٣٠٢).
(٥) «المنتظم» (٤/ ٥٦١).

حضرته الوفاة: بمن تأمرنا؟ قال: ما أنا بعالم، ولم أترك عالماً، وإن أبا حصين[1] لرجل صالح[2].

القاسم بن محمد

ابن أبي بكر الصديق، الإمام الحافظ الحجة، عالم وقته بالمدينة مع سالم وعكرمة، أبو محمد وأبو عبد الرحمن، القرشي التيمي البكري المدني، رُبِّي في حجر عمته أم المؤمنين عائشة، وتفقه منها وأكثر عنها. (ت ١٠٨؟). «السِّيَر».

عن أفلح بن حُمَيد قال: لما أملى القاسم بن محمد وصيته قال: اكتب، فكتب الكاتب: هذا ما أوصى به القاسم بن محمد، يشهد أن لا إله إلا الله. فقال القاسم: قد شقينا إن لم نكن شهدنا بها قبل اليوم[3].

وعن سليمان بن عبد الرحمن قال: مات القاسم بن محمد بقُدَيْد[4] فقال: كفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها؛ قميصي وإزاري وردائي. فقال ابنه: يا أبت، لا تريد ثوبين؟ فقال: يا بني، هكذا كفن أبو بكر في ثلاثة أثواب، والحي أحوج إلى الجديد من الميت[5].

وعن رجاء بن أبي سلمة قال: مات القاسم بن محمد بين مكة والمدينة حاجاً أو معتمراً، فقال لابنه: سُنَّ عَلَيَّ التراب سَنّاً، وسَوِّ على قبري، والحق بأهلك، وإياك أن تقول: كان وكان[6].

---

(١) يعني: عثمان بن عاصم بن حصين، سيأتي ذكره (صفحة ٢١٧).
(٢) «طبقات ابن سعد» (٦ / ٣٢١).
(٣) «طبقات ابن سعد» (٥ / ١٩٣).
(٤) موضع بين مكة والمدينة.
(٥) «طبقات ابن سعد» (٥ / ١٩٣).
(٦) «حلية الأولياء» (٢ / ١٨٤).

أبو نَضْرة

المنذر بن مالك بن قُطَعة، الإمام المحدث الثقة، أبو نضرة العبدي، ثم العَوَقي البصري. حدث عن علي وأبي هريرة وعمران بن حُصَيْن وغيرهم. (ت ١٠٨). «السِّيَر».

قال معتمر بن سليمان: أنبأنا إياس بن فلان ـ سماه المعتمر ـ قال: انطلق الحسن وانطلقت معه إلى أبي نضرة نعوده، فقال له أبو نضرة: ادن مني يا أبا سعيد، فدنا منه فوضع يده على عنقه، وقبل خده، فقال الحسن: يا أبا نضرة، إنك والله لولا هول المُطَّلع لسَرَّ رجالاً من إخوانك أن يكونوا فارقوا ما ها هنا.

فقالوا: يا أبا سعيد، اقرأ سورة وادع بدعوات، فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين، وحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ، ثم قال: اللهم مس أخانا الضر وأنت أرحم الراحمين.

قال: فبكى وبكى الحسن، فبكى أهل البيت رحمة لأخيهم، قال: فما رأيت الحسن بكى بكاء أشد منه، وقال أبو نضرة: يا أبا سعيد، كن أنت الذي تصلي عليّ[1].

الحسن البصري

ابن أبي الحسن يسار، أبو سعيد مولى زيد بن ثابت، ويقال: مولى جميل بن قُطْبَة، إمام أهل البصرة، بل إمام أهل العصر، ولد في خلافة عمر، رأى عثمان وعلياً وطلحة والكبار، ويروى أن ثدي أم سلمة دَرّ عليه ورضعها غير مرة. كان سيد أهل زمانه علماً وعملاً. (ت ١١٠). «السِّيَر» و «تاريخ الإسلام».

---

(١) «حلية الأولياء» (٣/ ٩٨).

عن أبان بن محبر، عن الحسن؛ أنه لما حضره الموت دخل عليه رجال من أصحابه فقالوا له: يا أبا سعيد، زودنا منك كلمات تنفعنا بهن.

قال: إني مزودكم ثلاث كلمات، ثم قوموا عني ودعوني ولما توجهت له: ما نهيتكم عنه من أمر فكونوا من أترك الناس له، وما أمرتكم به من معروف فكونوا من أعمل الناس به، واعلموا أن خطاكم خطوتان: خطوة لكم، وخطوة عليكم، فانظروا أين تغدون وأين تروحون(١).

وعن أبي طارق السعدي قال(٢): شهدت الحسن عند موته يوصي؛ فقال لكاتب: اكتب. هذا ما يشهد به الحسن بن أبي الحسن؛ يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، من شهد بها صادقاً عند موته دخل الجنة، يُروى ذلك عن معاذ بن جبل أنه أوصى بذلك عند موته(٣)، يُروى ذلك عن رسول الله ﷺ.

وعن سلاّم بن مسكين قال: دخلنا على الحسن وهو مريض، فلحظ إلينا لحظة فقال: لو أن ابن آدم أخذ من صحته ليوم سقمه(٤).

وعن صالح المُرِّي، عن يونس قال: لما حَضَرَتِ الحسنَ الوفاةُ جعل

---

(١) «حلية الأولياء» (٢ / ١٥٤).

(٢) «طبقات ابن سعد» (٧ / ١٧٤).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٥ / ٢٣٦) عن سفيان بن عيينة، عن عَمرو بن دينار قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: أنا من شهد معاذاً حين حضرته الوفاة يقول: اكشفوا عني سجف القبة أحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، وقال مرة: أخبركم بشيء سمعته من رسول الله ﷺ، لم يمنعني أن أُحدثكموه إلا أن تتكلوا، سمعته يقول: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مُخْلِصاً مِنْ قَلْبِهِ (أو: يَقِيناً مِنْ قَلْبِهِ) لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ (أو: دَخَلَ الجَنَّةَ)». وقال مرة: «دَخَلَ الجَنَّةَ وَلَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ». وهو في «الصحيحة» برقم (٢٣٥٥).

(٤) «طبقات ابن سعد» (٧ / ١٧٤).

يسترجع، فقام إليه ابنه فقال: يا أبتِ، قد غممتنا؛ فهل رأيت شيئاً. قال: هي نفسي لم أُصَبْ بمثلها[١].

وعن كلثوم بن جبر قال: لما اشتد وجع الحسن بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: نُفَيْسَةٌ ضعيفة، وأمر هؤول عظيم، وإنا لله وإنا إليه راجعون[٢].

وعن الحسن بن دينار: كان الحسن البصري يغمى عليه ثم يفيق فيقول: ساعة صبر واحتساب وتسليم لأمر الله عز وجل. حتى مات[٣].

ويروى أنه أُغْمِيَ عليه عند موته ثم أفاق فقال: لقد نَبَّهْتموني من جنات وعيون، ومقام كريم[٤].

وعن أبي عبيدة الناجي قال: دخلنا على الحسن في مرضه الذي مات فيه فقال: مرحباً بكم وأهلاً، وحياكم الله بالسلام، وأحلنا وإياكم دار المقام، هذه علانية حسنة إن صبرتم وصدقتم واتقيتم، فلا يكن حظكم من هذا الخبر ـ رحمكم الله ـ أن تسمعوا بهذه الأذن ويخرج من هذه الأذن، فإنه من رأى محمداً ﷺ فقد رآه غادياً ورائحاً، لم يضع لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة، ولكن رُفع له علم فشمر إليه، الوحاء الوحاء، النجاء النجاء! علام تعرجون؟! أتيتم ورب الكعبة كأنكم والأمر معاً، رحم الله عبداً جعل العيش عيشاً واحداً، فأكل كسرة، ولبس خَلَقاً، ولزق بالأرض، واجتهد في العبادة، وبكى على الخطيئة، وهرب من العقوبة، وابتغى الرحمة، حتى يأتيه أجله وهو على ذلك[٥].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤ / ٥٨٧).

(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٥٨).

(٣) «التعازي والمراثي» (ص ٢٣٠ ـ ٢٣١).

(٤) «وفيات الأعيان» (٢ / ٧٢).

(٥) «قصر الأمل» لابن أبي الدنيا (رقم ١٧٦).

محمد بن سيرين

الإمام شيخ الإسلام، أبو بكر الأنصاري الأنَسِي البصري، مولى أنس ابن مالك خادم رسول الله ﷺ، وكان أبوه من سَبْي جَرْجَرَايا، تملكه أنس ثم كاتبه على ألوف من المال فوفاه. سمع أبا هريرة وعمران بن حصين وابن عباس وخلقاً سواهم. (ت ١١٠). «السِّيَر».

عن سهل السراج قال: لما حضر ابن سيرين الموت جعل يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون. فيقال له: قل لا إله إلا الله، فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون[١].

وعن الحسن بن دينار؛ أن محمد بن سيرين كان يقول وهو في الموت: في سبيل الله نفسي؛ أحبّ الأنفس عليّ. حتى هلك[٢].

وفي «العاقبة» للإشبيلي[٣]: لما حضرت محمد بن سيرين الوفاة بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أبكي لتفريطي في الأيام الخالية، وقلة عملي للجنة العالية، وما ينجيني من النار الحامية.

وعن ابن عون قال: كانت وصية ابن سيرين: ذكر ما أوصى به محمد ابن أبي عمرة بنيه وأهله؛ أن يتقوا الله ويصلحوا ذات بينهم، وأن يطيعوا الله ورسوله إن كانوا مؤمنين، وأوصاهم بما أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوب: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٤]، وأوصاهم أن لا يَدَعُوا أن يكونوا إخوان الأنصار ومواليهم في الدين، فإن العفاف والصدق خير وأبقى وأكرم من الزنا والكذب. وأوصى فيما ترك:

---

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٣٨).

(٢) «التعازي والمراثي» (ص ٢٣١) و «كتاب المحتضرين» (رقم ١٣٩).

(٣) (ص ٦٩).

(٤) البقرة: ١٣٢.

إن حدث بي حدث قبل أن أغير وصيتي. فذكر الوصية[١].

عطية بن سعد

ابن جنادة العَوْفي الكوفي، أبو الحسن، من مشاهير التابعين، ضعيف الحديث. روى عن ابن عباس وأبي سعيد وابن عمر، وكان شيعياً. (ت ١١١). «السِّيَر».

عن إدريس بن يزيد الأودي قال: دخلنا على عطية وهو يجود بنفسه فقلنا: كيف تجدك رحمك الله؟ فدمعت عيناه وقال: أجدني والله إلى الآخرة أقرب مني إلى الدنيا، فمن استطاع منكم أن يعمل لمثل هذه الصرعة فليفعل[٢].

البَطّال

رأس الشجعان والأبطال عبد الله البطال، من أعيان أمراء الشاميين، أوطأ الروم خوفاً وذلاً. (ت ١١٢ أو ١١٣). «السِّيَر».

قال الذهبي[٣]: جرت له أعاجيب، وفي الآخر أصبح في معركة مثخوناً، وبه رمق فجاء الملك ليون، فقال: أبا يحيى، كيف رأيت؟ قال: وما رأيت؟ كذلك الأبطال تَقتل وتُقتل، فقال: عليّ بالأطباء، فأتوا فوجدوه قد أُنفذت مقاتله، فقال: هل لك حاجة؟ قال: تأمر من يثبتُ معي بولايتي وكَفَني والصلاة عليّ ثم تطلقهم. ففعل.

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٧/ ٢٠٥)، و«السير» (٤/ ٦٢٠ ـ ٦٢١).
(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٩٥).
(٣) «السير» (٥/ ٢٦٩).

عبد الله بن عبيد بن عمير

ابن قتادة اللَّيثي، يُكْنَى أبا هاشم، يروي عن عائشة وابن عباس وابن عمر. (ت ١١٣). «السِّيَر».

عن حماد بن زيد عن أيوب قال: حدثني رجل كان عند عبد الله بن عبيد بن عمير في مرضه، فقيل له: ما تشتهي؟ فقال: ما أشتهي إلا رجلاً مُؤَنَّق القراءة يقرأ عندي[1].

عون بن عبد الله

ابن عتبة بن مسعود، الإمام القدوة العابد، أبو عبد الله الهُذَلي الكوفي، أخو فقيه المدينة عبيد الله. حدث عن أبيه وأخيه وابن المسيب وابن عباس وعبد الله بن عَمرو وطائفة. (توفي سنة بضع عشرة ومئة). «السِّيَر».

قال سفيان بن وكيع: سمعت أبي يقول: بلغني أن عون بن عبد الله لما حضرته الوفاة أوصى بضيعة له أن تباع وأن يتصدق بثمنها عنه، فقيل له: تتصدق بضيعتك وتدع عيالك؟ قال: أقدم هذا لنفسي وأدع الله لعيالي[2](!).

ذو الرُّمَّة

من فحول الشعراء، غَيْلان بن عُقبة بن بُهَيْش[3]، مضري النسب،

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٥ / ٤٧٤).

(٢) «حلية الأولياء» (٤ / ٢٤٢).

(٣) بالشين المعجمة، كما ضبطه الذهبي في «المشتبه».

والرُّمَّة: هي الحبل. شَبَّبَ بمَيَّة بنت مقاتل المِنْقَرِيّة، وبالخرقاء، وله مدائح في الأمير بلال بن أبي بُردة. قال عَمرو بن العلاء: افتُتِح الشعراء بامرىء القيس، وخُتِموا بذي الرُّمَّة. وفد على الوليد وامتدحه. وحدث عن ابن عباس. (ت ١١٧). «السِّيَر».

قال ابن قتيبة[١]: لما حضرته الوفاة بالبادية قال: أنا ابن نصف الهَرَم. أي: أنا ابن أربعين، وقال:

يا قابضَ الرُّوحِ من نَفْسي إذا احتُضِرَتْ ... وغَافِرَ الذنبِ زَحْزِحْنِي عن النّارِ

وعن أبي الوجيه قال: كان آخر ما قال ذو الرمة من الشعر:

يا رب قد أسرفت نفسي وقد علمتْ ... علماً يقيناً لقد أحصيتَ آثاري

يا مخرج الروح من جسمي إذا احتُضِرَتْ ... وفارج الكرب زَحْزِحْني عن النارِ[٢]

وعن المنتجع بن نبهان قال: كنت مع ذي الرمة حين حضرته الوفاة، فلما أحس بالموت قال لي: يا منتجع، إن مثلي لا يدفن في غموض من الأرض، ولا في بطون الأودية، فإذا أنا مت فادفني برأس فريدادين، فلما مات جئنا بماء وسدر وتوقلنا الرملة، فحفرنا له حفرة ودفناه، فهناك قبره إذا طعنت في الدهناء برأس فريدادين[٣].

وعن عمارة قال: سمعت ذا الرمة لما حضرته الوفاة يقول: لقد مكثت مهيماً بميّ عشرين سنة في غير ريبة ولا فساد.

نافع مولى ابن عمر

الإمام المفتي الثَّبْت، عالم المدينة، أبو عبد الله القرشي، ثم العدوي

---

(١) «الشعر والشعراء» (ص ٣٨٦ / رقم ٩٤).

(٢) «المنتظم» (٤ / ٥٤٥).

(٣) «المنتظم» (٤ / ٥٤٥).

العمري، مولى ابن عمر وراويته. قال البخاري: أصح الأسانيد: مالك عن نافع عن ابن عمر. (ت ١١٧ أو ١١٩). «السِّيَر» و «تاريخ الإسلام».

عن عبد العزيز بن أبي رَوّاد، عن نافع قال: لما حضرته الوفاة جعل يبكي، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ذكرت سعداً وضغطة القبر(١).

قلت: يشير إلى ما جاء في الحديث عن النبي ﷺ:

«إِنَّ لِلقَبْرِ ضَغْطَةً، لَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِياً مِنْهَا نَجَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ».

وفي لفظ: «لَو نَجَا أَحَدٌ مِنْ ضَمَّةِ القَبْرِ لَنَجَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَلَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً ثُمَّ رُوخِيَ عَنْهُ».

وصححه شيخنا الألباني رحمه الله تعالى(٢).

(فائدة): قال الإمام الذهبي(٣): هذه الضمة ليست من عذاب القبر في شيء، بل هو أمر يجده المؤمن كما يجد ألم فقد ولده وحميمه في الدنيا، وكما يجد من ألم مرضه، وألم خروج نفسه، وألم سؤاله في قبره وامتحانه، وألم تأثره ببكاء أهله عليه، وألم قيامه من قبره، وألم الموقف وهوله، وألم الورود على النار، ونحو ذلك. فهذه الأراجيف كلها قد تنال العبد وما هي من عذاب القبر ولا من عذاب جهنم قط، ولكن العبد التقي يرفق الله به في بعض ذلك أو كله، ولا راحة للمؤمن دون لقاء ربه، قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾. وقال: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾. فنسأل الله تعالى العفو واللطف الخفي.

قال: ومع هذه الهزات فسعدٌ ممن نعلم أنه من أهل الجنة، وأنه من

---

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ٢٣٧) و «السِّيَر» (٥ / ٩٩).
(٢) انظر: «الصحيحة» (١٦٩٥)، و «صحيح الجامع» (٢١٧٦ و٥١٨٢).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (١ / ٢٩٠ ـ ٢٩١).

أرفع الشهداء رضي الله عنه. كأنك يا هذا، تظن أن الفائز لا يناله هول في الدارين ولا روع ولا ألم ولا خوف، سَلْ ربَّك العافية وأن يحشرنا في زمرة سعد.

يزيد الرَّقَاشي

يزيد بن أبان الرقاشي البصري أبو عَمرو، الزاهد العابد، روى عن أنس. قال النسائي وغيره: متروك، وقال الدارقطني وغيره: ضعيف. وقال أحمد: منكر الحديث. وذكره البخاري فيمن مات في عشر ومئة إلى عشرين ومئة. «ميزان الاعتدال» و «تهذيب التهذيب».

عن حَوْشب بن عقيل قال: سمعت يزيد الرقاشي يقول لما حضره الموت: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ﴾(١)، ألا إن الأعمال محظورة، والأجور مكملة، ولكل ساع ما يسعى، وغاية الدنيا وأهلها إلى الموت. ثم بكى وقال: يا من القبر مسكنه، وبين يدي الله موقفه، والنار غداً مورده، ماذا قدمت لنفسك؟ ماذا أعددت لمصرعك؟ ماذا أعددت لوقوفك بين يدي ربك؟(٢).

وعن دُرُسْت القزاز قال: لما احتُضِر يزيد الرقاشي بكى، فقيل له: ما يبكيك رحمك الله؟ قال: أبكي والله على ما يفوتني من قيام الليل وصيام النهار.

ثم بكى وقال: من يصلي لك يا يزيد؟ ومن يصوم؟ ومن يتقرب لك

---

(١) آل عمران: ١٨٥.

(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٩٠).

إلى الله بالأعمال بعدك؟ ومن يتوب لك إليه من الذنوب السالفة؟ ويحكم يا إخوتاه! لا تغترُّنّ بشبابكم، فكأن قد حل بكم ما حل بي من عظيم الأمر وشدة كرب الموت، النجاء النجاء! الحذر الحذر! يا إخوتاه، المبادرة رحمكم الله[1].

القاضي إياس

إياس بن معاوية بن قُرَّة، قاضي البصرة، العلامة أبو واثلة. تابعي ثقة. يروي عن أبيه، وأنس، وابن المسيب، وسعيد بن جبير، وكان يضرب به المثل في الذكاء والدهاء والسؤدد والعقل. (ت ١٢١). «السِّيَر» و «ميزان الاعتدال».

قال ابن خَلِّكان[2]: قال إياس في العام الذي توفي فيه: رأيت في المنام كأني وأبي على فرسين، فجريا معاً فلم أسبقه ولم يسبقني، وعاش أبي ستاً وسبعين سنة وأنا فيها، فلما كان آخر لياليه قال: أتدرون أي ليلة هذه؟ ليلة أستكمل فيها عمر أبي. ونام فأصبح ميتاً.

عامر بن عبد الله

ابن الزبير بن العوام، الإمام الرباني، أبو الحارث الأسدي المدني، أحد العباد. (توفي سنة نيف وعشرين ومئة). «السِّيَر».

قال مصعب بن عبد الله: سمع عامرُ المؤذنَ وهو يجود بنفسه، فقال: خذوا بيدي إلى المسجد، فقيل: إنك عليل! فقال: أسمع داعي الله

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٩١).
(٢) «وفيات الأعيان» (١ / ٢٥٠).

فلا أجيبه! فأخذوا بيده، فدخل مع الإمام في صلاة المغرب، فركع مع الإمام ركعة ثم مات[1].

ثابت بن أسلم البُناني

الإمام القدوة شيخ الإسلام، أبو محمد البناني، أحد أئمة التابعين بالبصرة. روى عن ابن عمر وعبد الله بن مغفل وابن الزبير وأنس، وكان رأساً في العلم والعمل. (ت ١٢٣ أو ١٢٧). «السِّيَر» و «تاريخ الإسلام».

قال محمد بن ثابت: ذهبت أُلَقِّنُ أبي عند الموت فقال: دعني فإني في وردي السابع. كان يقرأ ونفسه تخرج[2].

وعن مبارك بن فضالة قال: دخلت على ثابت البناني في مرضه، وهو في علو له، وكان لا يزال يذكر أصحابه، فلما دخلنا عليه قال:

يا إخوتاه، لم أقدر أن أصلي البارحة كما كنت أصلي، ولم أقدر أن أصوم كما كنت أصوم، ولم أقدر أن أنزل إلى أصحابي فأذكر الله عز وجل كما كنت أذكره معهم. ثم قال: اللهم إذ حبستني عن ثلاث فلا تدعني في الدنيا ساعة، أو قال: إذ حبستني أن أصلي كما أريد وأصوم كما أريد وأذكرك كما أريد فلا تدعني في الدنيا ساعة. فمات من وقته رحمه الله[3].

***

(١) «تاريخ الإسلام» (٨ / ١٤٣).

(٢) «تاريخ الإسلام» (٨ / ٥٥). وفي «حلية الأولياء» (٢ / ٣٢٢): «ذهبت ألقن أبي وهو في الموت « لا إله إلا الله»، فقال: يا بني، دعني فإني في وردي السادس أو السابع».

(٣) «حلية الأولياء» (٢ / ٣٢٠).

هارون بن رِئَاب

الإمام الرباني العابد أبو بكر التميمي الأُسَيِّدي البصري. حدث عن أنس بن مالك. «السِّيَر» و «تاريخ الإسلام» (وفيات ١٢١ ـ ١٣٠).

قال جعفر بن سليمان: عدت هارون بن رِئَاب وهو يجود بنفسه، فما فقدت وجه رجل فاضل إلا وقد رأيته عنده، فقال محمد بن واسع: يا أخي كيف تجدك؟ قال:

هو ذا أخوكم يُذْهَبُ به إلى النار، أو يعفو الله عنه[١].

قال جعفر: وبلغني عن محمد بن واسع أنه قالها عند الموت، فأظن أنه تعلمها من هارون بن رئاب[٢].

محمد بن واسع

ابن جابر بن الأخنس، الإمام الرباني، القدوة، أبو بكر، ويقال: أبو عبد الله، الأزدي البصري، أحد الأعلام، روى عن أنس وغيره. (ت ١٢٣ أو ١٢٧). «السِّيَر».

عن سعيد بن عامر قال: سمعت حَزْماً (قلت: هو القُطَعِيّ) يحدث، قال: قال محمد بن واسع: يا إخوتاه، تدرون أين يذهب بي؟ والله الذي لا إله إلا هو إلى النار أو يعفو عني[٣].

وعن عبيد الله بن محمد القرشي التيمي قال: حدثني هارون بن الجراح ابن ابنة هارون بن رئاب، قال عبيد الله: وحدثني سعيد بن عامر وغيره ـ يزيد بعضهم على بعض ـ قالوا: لما ثقل محمد بن واسع دخل عليه أصحابه، فجاء

---

(١) «تاريخ الإسلام» (٨ / ٢٨١).
(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ٢٤١).
(٣) «حلية الأولياء» (٢ / ٣٤٨).

هارون بن رئاب بعد ذلك فقال القوم: هارون أبو الحسن، أوسعوا له. فأوسعوا له، فجلس ناحية، والقوم في تقريظ محمد، وهو مغلوب فأفاق، قال: فسمع بعض قولهم، فقال: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾(١)، وإن يجمع بين ناصيتي وقَدَمَيَّ وأُقذف في النار لا يغني عني والله ما تقولون شيئاً، يا إخوتي، يذهب بي والله عنكم إلى النار أو يعفو الله(٢).

وعن يونس بن عبيد قال: دخلنا على محمد بن واسع نعوده، فقال: وما يغني عني ما يقول الناس إذا أُخِذ بيدي ورجلي فأُلقِيتُ في النار؟!(٣).

وعن فضالة بن دينار قال: حضرتُ محمد بن واسع وقد سُجِّي للموت، فجعل يقول: مرحباً بملائكة ربي، ولا حول ولا قوة إلا بالله(٤).

وعن ثابت بن أسلم البناني قال: دخلت أنا والحسن على صفوان بن محرز نعوده وهو ثقيل، فقال: إنه من كان في مثل حالي ملأت الآخرةُ قلبَه، وكانت الدنيا أصغر في عينه من الذباب(٥).

وعن محمد بن عبد الله مولى الثقفيين قال: دخلنا على محمد بن واسع وهو يموت فقال: يا إخوتاه، يا إخوتاه، هَبوني وإياكم سألنا الله الرجعة فأعطاكموها ومنعنيها! فلا تخسروا أنفسكم(٦).

أبو عمران الجَوْني

الإمام الثقة عبد الملك بن حبيب البصري، رأى عمران بن حُصَيْن،

---

(١) الرحمن: ٤١.
(٢) «طبقات ابن سعد» (٧/ ٢٤٢).
(٣) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٨٣).
(٤) «كتاب المحتضرين» (رقم ٢٠٠).
(٥) «كتاب المحتضرين» (رقم ٢٨٩).
(٦) «صفة الصفوة» (٣/ ٢٧١).

وروى عن جُنْدُب البَجَلي وأنس وطائفة. قال أبو سعيد بن الأعرابي: كان الغالب عليه الكلام في الحِكَم. (ت ١٢٣ أو ١٢٨). «السِّيَر».

عن جعفر بن سليمان قال: لما حُضِر أبو عمران الجوني جعل يبكي، فقيل له: ما يبكيك رحمك الله؟ قال: ذكرت والله تفريطي فبكيت[١].

وعنه قال: شهدت أبا عمران الجوني وهو في الموت، قال: فدخل عليه أيوب السختياني فقال لابنه: لقِّنْ أباك: لا إله إلا الله. فقال أبو عمران لابنه: ما يقول؟ قال: قال: لقن أباك.

قال أبو عمران: يا أيوب، إنها أمامي، لا أعرف غيرها[٢].

عاصم بن أبي النَّجود

الإمام الكبير مقرىء العصر، أبو بكر الأسَدي، مولاهم الكوفي، واسم أبيه بَهْدَلة. كان ثبتاً في القراءة، صدوقاً في الحديث. (ت ١٢٧). «السِّيَر».

قال أبو بكر بن عياش: دخلت على عاصم وهو في الموت فقرأ: ﴿**ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق**﴾[٣] بكسر الراء، وهي لغة لهذيل.

وقال: دخلت على عاصم فأُغْمِيَ عليه، ثم أفاق ثم قرأ قوله تعالى: ﴿**ثم ردوا إلى الله**﴾ الآية، فهمز، فعلمت أن القراءة منه سجية[٤].

وفي «كتاب المحتضرين»[٥]: قال: ودخلت على عاصم وقد احتُضِر

---

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٩٨).
(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ٢٩٨).
(٣) الأنعام: ٦٢.
(٤) «السير» (٥ / ٢٦٠).
(٥) (رقم ٢١٠).

فجعلت أسمعه يُرَدِّد هذه الآية، يُحَقِّقها كأنه في المحراب: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾.

مالك بن دينار

البصري الزاهد الشهير، أبو يحيى. قال الذهبي: علم العلماء الأبرار، معدود في ثقات التابعين، ومن أعيان كتبة المصاحف، ولد في أيام ابن عباس، وسمع من أنس بن مالك. (ت ١٢٧ أو ١٣٠). «السِّيَر».

عن حزم القُطَعِيّ قال: دخلنا على مالك بن دينار في مرضه الذي مات فيه وهو يكيد بنفسه، فرفع رأسه إلى السماء ثم قال: اللهم إنك تعلم أني لم أكن أُحِبّ البقاء في الدنيا لفرجٍ ولا لبطنٍ[١].

وعن سلمة بن عفان قال: حدثني أبو عيسى قال: دخلنا على مالك عند الموت فجعل ينظر ويقول: لمثل هذا اليوم كان دؤوب أبي يحيى[٢].

وعن أبي عبد الصمد العَمّي قال: سمعت مالك بن دينار في مرضه يقول، وهو من آخر كلامٍ سمعته يتكلم به: ما أقرب النعيم من البؤس! يعقبان ويوشكان زوالاً[٣].

وعن عمارة بن زاذان؛ أن مالك بن دينار لما حضره الموت قال: لولا أني أكره أن أصنع شيئاً لم يصنعه أحد كان قبلي؛ لأوصيت أهلي إذا أنا مت أن يُقيّدوني، وأن يجمعوا يَدَيّ إلى عنقي، فينطلقوا بي على تلك الحال حتى أُدفن، كما يُصنع بالعبد الآبق[٤].

وعن عَمرو بن محمد بن أبي رَزين قال: ذكر بعض أصحابنا أن مالك

---

(١) «حلية الأولياء» (٢ / ٣٦١).

(٢) «حلية الأولياء» (٢ / ٣٨٢).

(٣) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٨٥).

(٤) «صفة الصفوة» (٣ / ٢٨٨).

ابن دينار قال عند الموت: لولا أني أخاف أن يكون بدعة لأمرتكم إذا أنا مُتّ فشدّت يدي بشريط، فإذا أنا قدمت على الله فسألني وهو أعلم: ما حملك على ما صنعت؟ قلت: يا رب لم أرض لك نفسي [طرفة عين] قط[1].

أبو حَصِين

عثمان بن عاصم، الإمام الحافظ الأسدي الكوفي. (ت ١٢٨). «السِّيَر».

قال أبو بكر بن عياش: دخلت على أبي حَصِين في مرضه الذي مات فيه، فأُغمي عليه ثم أفاق، فجعل يقول: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾[2].

ثم أُغمي عليه، ثم أفاق، فجعل يرددها، فلم يزل على ذٰلك[3].

أبو التَّيَّاح

الإمام الحجة أبو التَّيَّاح يزيد بن حُميد الضُّبَعي البصري، حدث عن أنس بن مالك. (ت ١٢٨ أو ١٣٠). «السِّيَر».

عن جعفر بن سليمان قال: دخلنا على أبي التَّيَّاح الضُّبَعي نعوده في مرضه الذي مات فيه، فقال: والله إن كان لينبغي للرجل المسلم اليوم أن يزيده ما يرى في الناس من التهاون بأمر الله أن يزيده ذلك لله جداً واجتهاداً. ثم بكى[4].

---

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٨٨)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٢٨٨).

(٢) الزخرف: ٧٦.

(٣) «السير» (٥/ ٤١٦).

(٤) «كتاب المحتضرين» (رقم ٣١٠).

محمد بن المنكدر

ابن عبد الله بن الهُدَير بن عبد العزى بن عامر بن الحارث بن حارثة ابن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، الإمام الحافظ القدوة، شيخ الإسلام أبو عبد الله القرشي التيمي المدني. ويقال: أبو بكر، أخو أبي بكر وعمر(١).

قال أبو حاتم البستي: كان من سادات القراء، لا يتمالك البكاء إذا قرأ حديث رسول الله ﷺ، حدث عن عائشة وأبي هريرة وابن عمر وابن عباس وغيرهم. (ت ١٣٠ أو ١٣١). «السِّيَر».

عن عكرمة بن إبراهيم، عن محمد بن المنكدر، أنه جزع عند الموت، فقيل له: لم تجزع؟ فقال: أخشى آية من كتاب الله عز وجل؛ قال الله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾(٢)، وإني أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحتسب(٣).

وعن صفوان بن سليم؛ أنه أتى إلى محمد بن المنكدر وهو في الموت فقال: يا أبا عبد الله، كأني أراك قد شق عليك الموت؟ قال: فما زال يُهَوِّن عليه الأمر وينجلي عن محمد، حتى إذ إن وجهه لكأنه المصابيح، ثم قال له محمد: لو ترى ما أنا فيه لقَرَّت عينك. ثم قضى رحمه الله(٤).

عُمر وأبو بكر ابنا المنكدر

هما أخوا محمد المتقدم.

---

(١) يعني: أبا بكر وعمر ابني المنكدر، سيأتي ذكرهما الآن.

(٢) الزمر: ٤٧.

(٣) «حلية الأولياء» (٣/ ١٤٦).

(٤) «حلية الأولياء» (٣/ ١٤٧).

عن عبد الرحمن بن زيد، وذكر عمر وأبا بكر ابني المنكدر، قال: لما حضر أحدهما الوفاة بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ إنا كنا نغبطك بهذا اليوم، قال: أما والله ما يبكيني أن أكون أتيت شيئاً ركبته من معاصي الله اجتراء على الله، ولكني أخاف أن أكون أتيت شيئاً أحسبه هيناً وهو عند الله عظيم.

قال: وبكى الآخر عند الموت، فقيل له مثل ذلك، فقال: إني سمعت الله يقول لقوم: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾[(١)]، وأنا أنتظر ما ترون، والله ما أدري ما يبدو لي.

قال: وكان محمد أخوهم أدناهم في العبادة، وأي شيء كان محمد في زمانه؟![(٢)].

قال الذهبي[(٣)]: وقد حزن عمر بن المنكدر عند الموت، فعاده أبو حازم وكلمه، فقال:

إني أخاف أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحتسب.

أبو طُوالة

الإمام قاضي المدينة عبد الله بن عبد الرحمن بن مَعْمر بن حزم الأنصاري النجاري المدني. حدث عن أنس وغيره. (ت بعد ١٣٠). «السِّيَر».

(١) الزمر: ٤٧.
(٢) «تاريخ دمشق» (٥٦ / ٦٨).
(٣) «تاريخ الإسلام» (٨ / ١٨٥).

عن عبد الله بن عبد العزيز العُمَري قال: لما حضرت أبا طُوالة الوفاةُ جمع بنيه فقال:

يا بَنِيَّ، اتقوا الله، فإن لم تتقوه فوالله ما أبالي ما صَنَع بكم[1].

صفوان بن سُلَيْم

الإمام الثقة الحافظ الفقيه، أبو عبد الله، وقيل: أبو الحارث، القرشي الزهري المدني، مولى حُميد بن عبد الرحمن بن عوف. حدث عن ابن عمر، وأنس، وجابر بن عبد الله وغيرهم. روى عبد الله بن أحمد عن أبيه: ثقة من عباد الله الصالحين. (ت ١٣٢). «السِّيَر».

قال أبو غسان النَّهدي: سمعت سفيان بن عيينة وأعانه على الحديث أخوه، قال: حلف صفوان ألا يضع جنبه بالأرض حتى يلقى الله، فمكث على ذلك أكثر من ثلاثين عاماً، فلما حضرته الوفاة واشتد به النزع والعَلَز[2] وهو جالس، فقالت ابنته: يا أبة، لو وضعت جنبك، فقال: يا بنية، إذاً ما وفيتُ لله بالنذر والحلف. فمات وإنه لجالس[3].

قلت: لا ينبغي تعذيب النفس بمثل هذا ولا بغيره مما لم يشرعه الله عز وجل، ولا ينبغي وفاء النذر به، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، ورحم الله صفوان بن سُليم.

وعن محمد بن منصور قال: قال صفوان بن سُليم: أُعْطِي اللهَ عهداً أن لا أضع جنبي على فراش حتى ألحق بربي، فبلغني أن صفوان عاش بعد

---

(١) «أخبار القضاة» لوكيع (١ / ١٤٨).

(٢) (العَلَز): القلق والكرب عند الموت. «لسان».

(٣) «السِّيَر» (٥ / ٣٦٧).

ذٰلك أربعين سنة لم يضع جنبه، فلما نزل به الموت قيل له: رحمك الله، ألا تضطجع؟ قال: ما وفيت لله بالعهد إذاً. فأُسْنِدَ، فما زال كذلك حتى خرجت نفسه[1].

وعن عاصم بن أبي بكر قال: أخبرني ابن أبي حازم؛ أن صفوان بن سليم لما حُضِر حَضَرَهُ إخوانه، فجعل يتقلب، فقالوا: كأن لك حاجة؟ قال: نعم. فقالت ابنته: ما له من حاجة، وما ذاك فيه، إلا أنه يريد أن تقوموا عنه فيقوم فيصلي. فقام القوم عنه وقام إلى مسجده فصلى فوقع، فصاحت ابنته، فدخلوا عليه فحملوه ومات[2].

يونس بن ميسرة

ابن حَلْبَس، أبو عبيد وأبو حَلْبَس الجُبْلاني الأعمى، عالم دمشق، وأخو أيوب ويزيد، طال عمره، وحدث عن معاوية وعبد الله بن عَمرو وواثلة بن الأسقع وابن عمر وغيرهم. (ت ١٣٢). «السِّيَر».

عن عبد الرحمن بن الوليد قال: سمعت ابن حلبس ينشد هذا البيت عند الموت:

ذهب الرجال الصالحون وأُخِّرَتْ نَتْنُ الرجالِ لِذا الزمان المُنْتِنِ[3]

قلت: النَّتْن يكون من أهل الزمان لا من الزمان، وكيف لو رأى أهل زماننا؟!

* * *

(١) «السِّيَر» (٥ / ٣٦٧).

(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ٢٣٤) بتصرف.

(٣) «حلية الأولياء» (٥ / ٢٥١).

السَّفّاح

الخليفة أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن حبر الأمة عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، القرشي الهاشمي العباسي. أول الخلفاء من بني العباس. لم تطل أيامه، عاش ثمانية وعشرين سنة في قول. (ت ١٣٦). «السِّيَر».

قال صاحب «فوات الوفيات»(١): ولما وقع في النزع كان آخر كلامه: إليك يا رب لا إلى النار.

وقال ابن كثير(٢): قال بعض أهل العلم: كان آخر ما تكلم به السفاح: الملك لله الحيّ القيوم، ملك الملوك وجبار الجبابرة.

أبو مسلم الخراساني

اسمه عبد الرحمن بن مسلم، ويقال: عبد الرحمن بن عثمان، بن يسار الخراساني الأمير، صاحب الدعوة، وهازم جيوش الدولة الأموية، والقائم بإنشاء الدولة العباسية. كان من أكبر الملوك في الإسلام، كان ذا شأن عجيب ونبأ غريب، من رجل يذهب على حمار بإكافٍ من الشام حتى يدخل خراسان، ثم يملك خراسان بعد تسعة أعوام، ويعود بكتائب أمثال الجبال، ويقلب دولة ويقيم دولة أُخرى، وأخبار هذا الطاغية يطول شرحها، قتله المنصور. (ت ١٣٧). «السِّيَر».

لما رأى أبو مسلم أنه مقتول قال(٣): إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهبت

---

(١) (٢ / ٢١٦).
(٢) «البداية والنهاية» (١٠ / ٦١).
(٣) انظر: «المنتظم» (٥ / ٧٠).

والله نفسي بيدي، ثم جعل يخاطب نفسه ويقول: يا أبا مسلم، فُتح لك من باب المكايد في عدوك وصديقك ما لم يفتح لأحد، حتى إذا دان لك من بالمشرق والمغرب خدعك عن نفسك من كان يهاب بالأمس أن ينظر إليك، إنا لله وإنا إليه راجعون. ثم تمثل:

فهَـلْ مِـن خـالـدٍ إمّـا هَلَكْنـا وهَلْ بالموتِ عند الناسِ عَارُ

يونس بن عُبَيْد

ابن دينار، الإمام القدوة الحجة، أبو عبد الله العبدي، مولاهم البصري. من صغار التابعين وفضلائهم. (ت ١٣٩ أو ١٤٠). «السِّيَر».

عن أحمد بن إبراهيم قال: نظر يونس إلى قدميه عند موته فبكى، فقيل له: ما يبكيك أبا عبد الله؟ قال: قدماي لم تَغْبَرّا في سبيل الله عز وجل[1].

عطاء السَّلِيمي

البصري العابد، من صغار التابعين، أدرك أنس بن مالك، وسمع من الحسن البصري، وجعفر بن زيد، وعبد الله بن غالب الزاهد، واشتغل بنفسه عن الرواية، وكان قد أرعبه فرط الخوف من الله. (ت بعد ١٤٠). «السِّيَر».

قال عبد الواحد بن زيد: دخلنا على عطاء السَّلِيمي وهو في الموت، فنظر إليَّ أتنفس فقال: ما لك؟ فقلت: من أَجْلِكَ، فقال:

---

(١) «الحلية» (٣/ ١٩).

والله لوددت أن نفسي بقيت بين لهاتي وحنجرتي تتردد إلى يوم القيامة مخافة أن تخرج إلى النار(١).

وعن الصلت قال: سمعت عطاء السليمي يقول عند الموت: اللهم ارحم في الدنيا غربتي، وارحم عند الموت صَرْعتي، وارحم في القبر وحدتي، وارحم مقامي بين يديك يوم النشور(٢).

أبو حازم الأعرج

سلمة بن دينار، الإمام القدوة الواعظ، شيخ المدينة النبوية، أبو حازم المديني المخزومي، مولاهم الأعرج، الأفزر(٣)، التَّمَّار، القاص، الزاهد. ولد في أيام ابن الزبير وابن عمر، وروى عن سهل بن سعد. (ت بعد ١٤٠). «السِّيَر».

قال محمد بن مُطَرِّف: دخلنا على أبي حازم الأعرج لما حضره الموت، فقلنا: يا أبا حازم، كيف تجدك؟ قال: أجدني بخير راجياً [الله] حسن الظن به، ثم قال:

إنه والله لا يستوي من غدا وراح يعمر عقد الآخرة لنفسه، فيقدمها أمامه قبل أن ينزل به الموت، حتى يقدم عليها فيقوم لها وتقوم له، ومن غدا وراح في عقد الدنيا يعمرها لغيره، ويرجع إلى الآخرة لا حظ له فيها ولا نصيب(٤).

---

(١) «حلية الأولياء» (٦ / ٢٢٤).

(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ٢٤٠)، وهو في «الحلية» (٦ / ٢٢٤) عن بشر بن منصور بنحوه، دون قوله: «عند الموت».

(٣) أي: الأحدب.

(٤) «حلية الأولياء» (٣ / ٢٤١ ـ ٢٤٢).

وعن بشر الأفوه قال: قال أبو حازم لما حضره الموت: ما أتينا على شيء من الدنيا إلا على ذكر الله، وإن كان هذا الليل والنهار لا يأتيان على شيء إلا أخلقاه، وفي الموت راحة للمؤمنين، ثم قرأ: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾(١)(٢).

عَمرو بن قيس

الكوفي المُلائي البزاز الحافظ، من أولياء الله، قال أبو زرعة: ثقة مأمون، وذكره الثوري فأثنى عليه. توفي بسجستان سنة بضع وأربعين ومئة. «السِّيَر» و «تقريب التهذيب».

عن حفص بن غِياث قال: لما احتُضِر عَمرو بن قيس المُلائي بكى، فقال له أصحابه: علام تبكي من الدنيا؟ فوالله لقد كنتَ منغّص العيش أيام حياتك. فقال: والله ما أبكي على الدنيا، إنما أبكي خوفاً أن أُحرم خير الآخرة(٣).

سليمان التيمي

ابن طَرْخان، الإمام شيخ الإسلام، أبو المُعْتَمر التيمي البصري، روى عن أنس بن مالك، وكان مقدماً في العلم والعمل. (ت ١٤٣). «السِّيَر».

عن المعتمر قال: قال أبي حين حضره الموت: يا معتمر، حدثني بالرخص لعلي ألقى الله عز وجل وأنا أحسن الظن به(٤).

---

(١) آل عمران: ١٩٨.

(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٥٣).

(٣) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٩٦).

(٤) «حلية الأولياء» (٣/ ٣١).

وعن سعيد بن عامر [الضُّبَعِيّ] قال: مرض سليمان التيمي، فبكى في مرضه بكاءً شديداً، فقيل له: ما يبكيك؟ أتجزع من الموت؟! قال: لا، ولكن مررت على قدري فسلمت عليه، فأخاف أن يحاسبني ربي عز وجل عليه(١).

عَمرو بن عُبَيْد

الزاهد العابد القدري، كبير المعتزلة وأوَّلُهم، أبو عثمان البصري، قال حفص بن غِيَاث: ما لقِيت أزهد منه، وانتحل ما انتحل. وقد كان المنصور يعظم ابن عُبَيْد ويقول:

كُلُّكُمْ يَمْشِي رُوَيْد كُلُّكُمْ يَطْلُبُ صَيْد
غَيْرَ عَمْرِو بنِ عُبَيْد

قال الذهبي: اغتر بزهده وإخلاصه وأغفل بدعته. (ت ١٤٣ أو ١٤٤). «السِّيَر».

قال ابن خَلِّكان(٢): لما حضرته الوفاة قال لصاحبه: نزل بي الموت ولم أتأَهَّبْ له، ثم قال:

اللهم إنك تعلم أنه لم يَسْنَحْ لي أمران في أحدهما رضى لك وفي الآخر هوىً لي إلا اخترتُ رضاكَ على هواي، فاغفر لي.

رياح القيسي

ابن عَمرو العابد، أبو المهاجر، بصري زاهد متأله كبير القدر، كثير

---

(١) «الحلية» (٣/ ٣٢).
(٢) «وفيات الأعيان» (٣/ ٤٦٢).

الخشية والمراقبة. (ت ١٤٦). «السِّيَر» و «المنتظم».

عن الحارث بن سعيد قال: أخذ بيدي رياح فقال: هلم يا أبا محمد حتى نبكي على قِصَرِ الساعات ونحن على هذه الحال. قال: فخرجت معه إلى المقابر، فلما نظر إلى القبور صرخ ثم خرّ مغشياً عليه، فجلست والله عند رأسه أبكي، فأفاق فقال: ما يبكيك؟ قلت: لما أرى بك، قال: لنفسك فابك. ثم قال: وانفساه! وانفساه! ثم غشي عليه، قال: فرحمته والله مما نزل به، ثم لم أزل عند رأسه حتى أفاق، فوثب وهو يقول: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾[(١)]، ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾، ومضى على وجهه وأنا أتبعه لا يكلمني، حتى انتهى إلى منزله، فدخل وأصفق بابه، فرجعت إلى أهلي، ولم يلبث إلا يسيراً حتى مات[(٢)].

الأعمش

سليمان بن مِهْران، الإمام شيخ الإسلام، شيخ المقرئين والمحدثين، أبو محمد الأسَدي، الكاهلي، مولاهم الكوفي الحافظ. رأى أنس بن مالك وحكى عنه وروى عنه. (ت ١٤٧ أو ١٤٨). «السِّيَر».

قال أبو بكر بن عياش: دخلت على الأعمش في مرضه الذي توفي فيه، فقلت: أدعو لك الطبيب؟ قال: ما أصنع به، فوالله لو كانت نفسي بيدي لطرحتها في الحش، إذا أنا مت فلا تُؤْذِنَنَّ بي أحداً، واذهب بي واطرحني في لحدي[(٣)].

وعن حسين الجُعْفي قال: دخلنا على الأعمش أنا وزائدة في اليوم

---

(١) النازعات: ١٢.

(٢) «المنتظم» (٥ / ١٥٤).

(٣) «حلية الأولياء» (٤ / ٥١).

الذي مات فيه، والبيت ممتلىء من الرجال، إذ دخل شيخ فقال: سبحان الله! ترون الرجل وما هو فيه وليس منكم أحدٌ يلقنه.

فقال الأعمش هكذا؛ وأشار بالسبابة وحرك شفتيه[1].

وعن جابر بن نوح قال: بكى الأعمش عند موته، فقيل له: يا أبا محمد، وأنت تبكي عند الموت!

قال: وما يمنعني من البكاء وأنا أعلم بنفسي؟![2].

أبو حنيفة

الإمام فقيه الملة عالم العراق، أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى التيمي الكوفي، مولى بني تيم الله بن ثعلبة، يقال: إنه من أبناء الفرس. ولد سنة ثمانين في حياة صغار الصحابة، ورأى أنس بن مالك لما قدم عليهم الكوفة، ولم يثبت له حرف عن أحد منهم، وروى عن عطاء بن أبي رباح، وارتحل في ذلك، وأما الفقه والتدقيق في الرأي وغوامضه فإليه المنتهى، والناس عليه عيال في ذلك، توفي شهيداً مسقياً في سنة (١٥٠). «السِّيَر».

عن بكر العابد قال: قال أبو حنيفة عند موته:

ارحمني وأنا صريع بين أهل الدنيا أعالج نفسي، يا أرحم الراحمين[3].

وعن أبي حسان الزيادي قال: لما أحسّ الإمام أبو حنيفة بالموت سجد سجدة، فخرجت نفسه وهو ساجد[4].

---

(١) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب أبيه «العلل ومعرفة الرجال» (٢ / ٥٥٥ / رقم ٢٦٢٧)، وصحح سنده شيخنا الألباني في «أحكام الجنائز» (مسألة ١٤).

(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ٢١٢).

(٣) «وصايا العلماء» (ص ٩٩).

(٤) «تنوير البصائر» لمرعي الكرمي (ص ٩٨ - ٩٩).

مالك بن أنس

هو شيخ الإسلام، حجة الأمة، إمام دار الهجرة، أبو عبد الله مالك ابن أنس الأصبحي. (ت ١٧٩). «السِّيَر».

قال إسماعيل بن أبي أويس: اشتكى مالك، فسألت بعض أهلنا عمّا قال عند الموت، قال: تَشَهَّد ثم قال: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾[(١)] [(٢)].

وقال أبو بكر بن سليمان الصواف: دخلنا على مالك بن أنس في العشية التي قبض فيها، فقلنا: يا أبا عبد الله، كيف تجدك؟

قال: ما أدري ما أقول، إلا أنكم ستعاينون غداً من عفو الله ما لم يكن في حساب[(٣)].

وقال القعنبي: دخلت على مالك بن أنس في مرضه الذي مات فيه، فسلمت عليه ثم جلست، فرأيته يبكي، فقلت: يا أبا عبد الله، ما الذي يبكيك؟ قال: فقال لي: يا بن قَعْنَب، وما لي لا أبكي؟ ومن أحق بالبكاء مني؟ والله لوددت أني ضربت لكل مسألة أفتيت فيها برأيي بسوط سوط، وقد كانت لي السَّعة فيما قد سُبقتُ إليه، وليتني لم أفت بالرأي. أو كما قال[(٤)].

قلت: هذا من خشيته ودينه رحمه الله تعالى، وإلا فإنه كان إماماً مجتهداً، فما لم يكن فيه نص فله أن يجتهد رأيه، فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر.

---

(١) الروم: ٤.
(٢) «تاريخ الإسلام» (١١ / ٣٣٢).
(٣) «ترتيب المدارك» (١ / ٢٣٧).
(٤) «وفيات الأعيان» (٤ / ١٣٧ ـ ١٣٨).

وقد قال رحمه الله ـ فيما ذكره ابن خَلِّكان عنه ـ: قَلّ رجل كنت أتعلم منه ومات حتى يجيئني ويستفتيني.

فهذا يدل على كمال إمامته ورياسته، وقد اشْتُهِرت مقولةُ: لا يُفتى ومالك في المدينة.

الشافعي

محمد بن إدريس، عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه الملة، أبو عبد الله القرشي، ثم المُطَّلِبي الشافعي المكي، الغَزِّي المولد، نسيب رسول الله ﷺ، وابن عمه؛ فالمطلب هو أخو هاشم والد عبد المطلب. (ت ٢٠٤). «السِّيَر».

روى ابن عساكر[١] بإسناده: عن أبي عبد الله أحمد بن محمد بن شاكر، قال: سمعت المزني قال: دخلت على الشافعي عند وفاته فقلت له: كيف أصبحت يا أستاذ؟ فقال: أصبحت من الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقاً، وبكأس المنية شارباً، وعلى الله وارداً، ولسوء أعمالي ملاقياً، فلا أدري نفسي إلى الجنة تصير فأهنيها، أم إلى النار فأعزيها.

فقلت: عظني، فقال لي: اتق الله، ومثّل الآخرة في قلبك، واجعل الموت نصب عينيك، ولا تنس موقفك بين يدي الله، وخف من الله عز وجل، واجتنب محارمه، وأدّ فرائضه، وكن مع الله حيث كنت، ولا تستصغر نعم الله عليك وإن قلّتْ، وقابلها بالشكر، وليكن صمتك تفكراً، وكلامك ذكراً، ونظرك عبرة، اعف عمن ظلمك، وصل من قطعك، وأحسن إلى من أساء إليك، واصبر على النائبات، واستعذ بالله من النار بالتقوى.

(١) «تاريخ دمشق» (٥١ / ٤٣٠ ـ ٤٣١).

فقلت: زدني، فقال: ليكن الصدق لسانك، والوفاء عمادك، والرحمة ثمرتك، والشكر طهارتك، والحق تجارتك، والتودد زينتك، والكياسة فطنتك، والطاعة معيشتك، والرضا أمانتك، والفهم بصيرتك، والرجاء اصطبارك، والخوف جلبابك، والصدقة حرزك، والزكاة حصنك، والحياء أميرك، والحلم وزيرك، والتوكل درعك، والدنيا سجنك، والفقر ضجيعك، والحق قائدك، والحج والجهاد بغيتك، والقرآن محدثك بحجتك، والله مؤنسك، فمن كانت هذه صفته كانت الجنة منزلته.

ثم رمى بطرفه نحو السماء، ثم استعبر وأنشأ يقول:

إليـك إلـهَ الحـقِّ أرفـع رغبتـي ... وإنْ كنتُ يا ذا المنّ والجودِ مُجْرما
فلما قسا قلبي وضاقتْ مذاهبي ... جعلتُ الرجاءَ منّي لعفوك سُلّما
تعـاظمنـي ذنبـي فلمـا قـرنتُـه ... بعفـوك ربـي كـان عفـوك أعظمـا
وما زلتَ ذا عفوٍ عن الذنب لم تزل ... تجـودُ وتعفـو مِنّـةً وتكـرّمـا
فإن تَعْفُ عني تَعْفُ عن متمرّدٍ ... ظلـومٍ غشـومٍ مـا يـزايـل مـأثمـا
وإن تنتقـم منـي فلسـتُ بـآيـس ... ولو أُدخلتْ نفسي بجرمي جهنما
فجرمي عظيم من قديم وحادث ... وعفوك يا ذا العفو أعلى وأجسما

وذكر هذا الخبر الذهبي في «السِّيَر»[1] بنحوه دون ذكر الموعظة، عن ابن خزيمة وغيره: حدثنا المزني. ثم قال: إسناده ثابت عنه.

أحمد بن حنبل

شيخ الإسلام، وقدوة الأنام، فقيه الأمة، وعالم الملة، إمام

(١) (١٠/ ٧٥ـ٧٦).

المحدثين والحفاظ، وعلم الجهابذة النقاد، الزاهد الورع، أحمد بن محمد ابن حنبل بن هلال بن أسد، الذهلي الشيباني المَرْوَزي ثم البغدادي، الإمامُ. (ت ٢٤١).

قال أبو نعيم[١]: حدثنا أبي، ثنا أحمد[٢] قال: سئل عبد الله بن أحمد: عَقِلَ أبوك عند المعاينة؟ فقال: نعم، كنا نوضئه فكان يشير بيده، فقال صالح: أيش يقول؟ فقلت: هو ذا يقول: خللوا أصابعي، فخللنا أصابعه، ثم ترك الإشارة، فمات من ساعته.

قلت: ما أسعد هذا الإمام باتباع السنة في حياته وعند مماته، رحمه الله تعالى.

قال الذهبي[٣]: وقال صالح: جعل أبي يُحَرِّك لسانه إلى أن توفي.

وقال صالح: كان أبي إذا دعا له رجل قال: ليس يُحرز الرجل المؤمن إلا حفرته، الأعمال بخواتيمها.

وقال أبي في مرضه: أخرج كتاب عبد الله بن إدريس. فقال: اقرأ علي حديث ليث: إن طاووساً كان يكره الأنين في المرض. فما سمعت لأبي أنيناً حتى مات.

وسمعه ابنه عبد الله يقول: تمنيت الموت، وهذا أمر أشد علي من ذلك، ذاك فتنة الضرب والحبس كنت أحمله، وهذه فتنة الدنيا.

وقال صالح[٤]: ودخل على أبي مجاهدُ بن موسى، فقال: يا أبا عبد الله، قد جاءتك البشرى؛ هذا الخلق يشهدون لك، ما تبالي لو وردْتَ على

---

(١) «الحلية» (٩ / ١٨٣).

(٢) هو أحمد بن محمد بن عمر، كما في «السير».

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١١ / ٢١٥).

(٤) «السير» (١١ / ٣٤١).

الله الساعة. وجعل يقبل يده ويبكي ويقول: أوصني يا أبا عبد الله، فأشار إلى لسانه. ودخل سوّار القاضي، فجعل يبشره ويخبره بالرخص.

وعن بديل بن محمد بن أسد قال: دخلت أنا وإبراهيم بن سعيد الجوهري على أحمد بن حنبل رضي الله عنه في اليوم الذي مات فيه أو مات في تلك الليلة التي تستقبل ذلك اليوم، قال: فجعل أحمد يقول لنا: عليكم بالسنة، عليكم بالأثر، عليكم بالحديث، لا تكتبوا رأي فلان ورأي فلان (فسمى أصحاب الرأي). ثم قال له إبراهيم بن سعيد: يا أبا عبد الله، إن الكرابيسي وابن الثلجي قد تكلما. فقال أحمد: فيم تكلموا؟ قال: في اللفظ. فقال أحمد: اللفظ بالقرآن غير مخلوق، ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو جهمي كافر[١].

وقال أبو نعيم[٢]: حدثنا عمر بن أحمد بن عثمان، ثنا محمد بن عمرويه قال: قال لي عبد الله بن أحمد بن حنبل: حَضَرَتْ أبي الوفاةُ فجلستُ عنده وبيدي الخرقة وهو في النزع لأشد لحييه، فكان يغرق حتى نظن أنه قد قضى، ثم يفيق ويقول: لا بعد، لا بعد ـ بيده ـ، ففعل هذا مرة وثانية، فلما كان في الثالثة قلت له: يا أبت، أيش هذا الذي قد لهجت به في هذا الوقت؟ فقال لي: يا بني ما تدري؟ فقلت: لا. فقال: إبليس لعنه الله قام لحذائي عاضاً على أنامله يقول: يا أحمد، فُتَّني. وأنا أقول: لا بعد، حتى أموت.

قلت: قال الذهبي: حكاية منكرة.

* * *

---

(١) «طبقات الحنابلة» (١ / ١٢٠).

(٢) «حلية الأولياء» (٩ / ١٨٣).

عبد الله بن عون

ابن أَرْطَبَان، الإمام القدوة، عالم البصرة، أبو عون المزني، مولاهم البصري الحافظ. كان من أئمة العلم والعمل، عديم النظير في وقته زهداً وصلاحاً. رأى أنس بن مالك، فهو معدود في صغار التابعين. (ت ١٥١). «السِّيَر» و «تاريخ الإسلام».

عن بكار بن محمد قال: كان ابن عون يتمنى أن يرى النبي ﷺ، فلم يره إلا قبل وفاته بيسير، فسُرّ بذلك سروراً شديداً، فنزل من درجته إلى مسجد كان في الدار، قال: فسقط فأصيب في رجله فلم يعالجها حتى مات، وكفن في بردٍ شراؤه مئتا[(١)] درهم، فماكسنا بنوه وقالوا: لا نشتري إلا بدون ذلك، فقالت عمتي ـ وكانت امرأته ـ: احسبوا الباقي علي.

قال: وحضرت وفاة ابن عون فكان موجّهاً حتى قُبض، يذكر الله حتى غرغر بالموت، قال: وقالت لي عمتي أم محمد بنت عبد الله بن محمد بن سيرين: اقرأ عند ابن عون سورة ﴿يسٓ﴾، فقرأتها، قال: وما رأيت أحداً كان أشد عقلاً عند الموت من ابن عون، وما كان يزيد أن يقول بالثوب هكذا يرفعه عن بطنه، ومات في السحر، فما قدرنا أن نصلي عليه حتى وضعناه في محراب المصلى، غلبنا عليه الناس[(٢)].

قال: وكان ابن عون في مرضه أصبر من أسد؛ أي: ما رأيته يشكو شيئاً من علته حتى مات.

وقال البربهاري في «شرح السنة»[(٣)]: كان ابن عون يقول عند

---

(١) في «طبقات ابن سعد» (٧ / ٢٦٨): «شراه مائتي درهم»! والتصويب من «سير النبلاء» (٦ / ٣٧١).

(٢) في «طبقات ابن سعد»: «غلبنا عليه النعاس»، والتصويب من «السير».

(٣) انظر: «طبقات الحنابلة» (٢ / ٤٢).

الموت: السنة السنة، وإياكم والبدع. حتى مات.

حسان بن أبي سنان

البصري، أحد العباد الورعين، روى عن الحسن البصري. قال البخاري: كان من عباد أهل البصرة. (ت ١٥١). «تهذيب الكمال» و «المنتظم».

عن غاضرة بن فرهد قال: دخلنا على حسان بن أبي سنان وقد حضره الموت، فقال له بعض إخوانه: كيف تجدك؟ قال: أجدني بحال الموت. قال: أفتجد يا أبا عبد الله كرباً شديداً؟ قال: فبكى ثم قال: إن ذلك. ثم قال: ينبغي للمؤمن أن يسلو عن كرب الموت وألمه لما يرجو من السرور في لقاء الله عز وجل[١].

وعن مهدي بن ميمون قال: رأيت حسان بن أبي سنان ـ أحسبه في مرضه ـ قيل له: كيف تجدك؟ قال: بخير إن نجوت من النار.

قيل: فما تشتهي؟ قال: ليلة بعيدة ما بين الطرفين، أحيي ما بين طرفيها[٢].

علي بن صالح

الإمام القدوة الكبير، علي بن صالح بن حي الهمداني الكوفي، أبو الحسن. (ت ١٥٤). «السِّيَر» و «تاريخ الإسلام».

---

(١) «المنتظم» (٥ / ٢٠٦)، وفيه: «عاصم بن فرقد»، و «كتاب المحتضرين» (رقم ٢٠٤)، وفيه: «غاضرة بن قرهد»، والتصحيح من «الجرح والتعديل» (٧/ ٥٦).

(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٨٩). وانظر: (صفحة ٢٤٦).

عن علي بن المنذر قال: سمعت الحسن بن صالح يقول: لما احتُضِر أخي علي بن صالح رفع بصره ثم قال:

﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[1]، ثم خرجت نفسه[2].

مِسْعَر

ابن كِدَام بن ظُهَيْر بن عُبَيْد بن الحارث، الإمام الثَّبْت، شيخ العراق، أبو سلمة الهلالي الكوفي، الحافظ. (ت ١٥٥). «السِّيَر».

قال يحيى بن آدم: لما حضرت مسعراً الوفاة دخل عليه سفيان الثوري فوجده جزعاً، فقال له: لِمَ تجزع، فوالله لوددت أني مت الساعة. فقال مسعر: أقعدوني. فأعاد عليه سفيان الكلام فقال: إنك إذاً لواثقٌ بعملك يا سفيان! لكني والله لكأني على شاهق جبل لا أدري أين أهبط. فبكى سفيان فقال: أنت أخوف لله عز وجل مني[3].

زُفَر بن الهذيل

العنبري الفقيه المجتهد الرباني العلامة، أبو الهذيل بن الهذيل بن قيس بن سالم، من بحور الفقه وأذكياء الوقت، تفقه بأبي حنيفة، وهو أكبر تلامذته، وكان ممن جمع بين العلم والعمل، وكان يدري الحديث ويتقنه، وكان منصفاً في البحث متبعاً، وتولى قضاء البصرة، وبها توفي. (ت

(١) النساء: ٦٩.
(٢) «حلية الأولياء» (٧ / ٣٢٩).
(٣) «حلية الأولياء» (٧ / ٢١٢).

١٥٨). «السِّيَر» و «الجواهر المضية».

عن أبي نعيم (الفضل بن دُكَيْن) قال: دخلت على زُفَر وهو يجود بنفسه وهو يقول: لها ثلاثة أرباع الصداق، لها خمسة أسداس الصداق، وعنده نوح بن دَرّاج يبكي[١].

وفي «الجواهر المضية»[٢]: روى الطحاوي عن أحمد بن أبي عمران، حدثني بعض أصحابنا قال: قال الفضل بن دكين: دخلت على زفر وقد احتُضِر وهو يقول: في حالٍ لها مهر، وفي حالٍ لها ثلثا مهر.

شعبة

ابن الحجاج بن الوَرْد، الإمام الحافظ، أمير المؤمنين في الحديث، أبو بسطام الأزدي العَتَكي، مولاهم الواسطي، عالم أهل البصرة وشيخها، سكن البصرة من الصغر، ورأى الحسن، وأخذ عنه مسائل. (ت ١٦٠). «السِّيَر».

قال شبابة[٣]: دخلت على شعبة في يومه الذي مات فيه وهو يبكي، فقلت له: ما هذا الجزع يا أبا بسطام؟ أبشر فإن لك في الإسلام موضعاً، فقال: دعني، فلوددت أني وقَّاد حمام وأني لم أعرف الحديث[٤].

* * *

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ٢٤٩).

(٢) (٢ / ٢٠٨).

(٣) «حلية الأولياء» (٧ / ١٥٦).

(٤) قول شعبة هذا ـ إن صح ـ إنما هو خشية منه أن لا تكون نيته خالصة في طلب الحديث، كدأب أهل الإيمان في خوفهم من الرياء، وإلا فإن معرفة الحديث وتبليغه من أعظم ما يتقرب به إلى الله تعالى، وهو سبب النضرة في الدنيا والآخرة.

سفيان الثوري

شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه، أبو عبد الله الثوري الكوفي، المجتهد، مصنف كتاب «الجامع». (ت ١٦١). «السِّيَر».

جاء في «السير»(١): أن سفيان حُمّ ومرض مرضاً شديداً، وحضره الموت فجزع، فقال له مرحوم بن عبد العزيز: يا أبا عبد الله، ما هذا الجزع؟ إنك تقدم على الرب الذي كنت تعبده. فسكت وهدأ، وقال: انظروا من ها هنا من أصحابنا الكوفيين. فأرسلوا إلى عَبّادان، فقدم عليه جماعة، وأوصى ثم مات.

وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: مرض سفيان بالبَطَن، فتوضأ تلك الليلة ستين مرة، حتى إذا عاين الأمر، نزل من فراشه فوضع خده بالأرض وقال: يا عبد الرحمن، ما أشد الموت!(٢).

وقال عبد الرحمن: كان سفيان يتمنى الموت ليسلم من هؤلاء، فلما مرض كرهه، وقال لي: اقرأ عليّ ﴿يسٓ﴾، فإنه يقال: يُخَفَّف عن المريض(٣). فقرأت، فما فرغت حتى طُفِيء(٤).

وقال عبد الرحمن: ضج سفيان لما طالت علته، فقال: يا موت، يا موت، ثم قال: لا أتمناه ولا أدعو به. فلما احتُضِر بكى وجزع، فقلت له: يا أبا عبد الله، ما هذا البكاء؟! قال: يا عبد الرحمن، لشدة ما نزل بي من الموت، الموت والله شديد. فمَسِسْته، فإذا هو يقول: روح المؤمن تخرج

---

(١) (٧/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦)، وانظر: «طبقات ابن سعد» (٦/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤).

(٢) «السير» (٧/ ٢٧٨).

(٣) انظر ما تقدم (صفحة ١٣٣).

(٤) «السير» (٧/ ٢٧٨).

رشحاً، فأنا أرجو. ثم قال: الله أرحم من الوالدة الشفيقة الرفيقة، إنه جواد كريم، وكيف لي أن أحب لقاءه وأنا أكره الموت. فبكيت حتى كدت أن أختنق، أخفي بكائي عنه، وجعل يقول: أوّه أوّه من الموت. قال عبد الرحمن: فما سمعته يقول: أوّه، ولا يئن؛ إلا عند ذهاب عقله.

ثم قال: مرحباً برسول ربي، ثم أغمي عليه، ثم أُسكت حتى أحدث، ثم أُغمي عليه، فظننت أنه قد قضى.

ثم أفاق، فقال: يا عبد الرحمن، اذهب إلى حماد بن سلمة فادعه لي، فإني أحب أن يحضرني.

وقال: لقني قول: لا إله إلا الله. فجعلت ألقنه.

قال: وجاء حماد مسرعاً حافياً ما عليه إلا إزار، فدخل وقد أُغمي عليه، فقبل بين عينيه وقال: بارك الله فيك يا أبا عبد الله. ففتح عينيه ثم قال: أي أخي، مرحباً.

ثم قال: يا حماد، خذ حذرك واحذر هذا المصرع. وذكر فصلاً طويلاً[١].

وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: مات سفيان الثوري عندي، فلما اشتد به جعل يبكي، فقال له رجل: يا أبا عبد الله، أراك كثير الذنوب! فرفع شيئاً من الأرض فقال: والله لذنوبي أهون عندي من ذا، إني أخاف أن أُسْلَب الإيمان قبل أن أموت[٢].

وعنه قال: لما اشتد بسفيان الثوري المرض جزع جزعاً شديداً، فدخل عليه مرحوم بن عبد العزيز فقال: ما هذا الجزع يا أبا عبد الله؟! تقدم

---

(١) قال الذهبي في «السير» (٧/ ٢٥١): «رواه الحاكم...، وهذا إسناد مظلم».
(٢) «حلية الأولياء» (٧/ ١٢).

على رب عبدته ستين سنة، صمت له، صليت له، حججت له. قال: فَسُرِّي عن الثوري[١].

وعن إبراهيم الفَرّاء قال: كتب سفيان الثوري إلى المهدي مع جبر: طردتني وشرَّدتني وخوّفتني، واللهُ بيني وبينك، وأرجو أن يخِير الله لي قبل رجوع الكتاب. فرجع الكتاب وقد مات[٢].

شعيب بن أبي حمزة

الإمام الثقة المتقن الحافظ، أبو بشر الأُموي، مولاهم الكاتب، واسم أبيه دينار، كان بديع الكتابة وافر المهابة. (ت ١٦٢). «السِّيَر».

قال أبو زرعة الدمشقي: حدثنا أبو اليمان قال: كان شعيب عَسِراً في الحديث، فدخلنا عليه حين حضرته الوفاة، فقال: هذه كتبي، وقد صححتها، فمن أراد أن يأخذها فليأخذْها، ومن أراد أن يَعْرِضَ فليعرضْ، ومن أراد أن يسمعها من ابني فليسمعْها، فإنه قد سمعها مني[٣].

إبراهيم بن أدهم

ابن منصور بن يزيد بن جابر، القدوة الإمام العارف، سيد الزهاد، أبو إسحاق العجلي ـ وقيل: التميمي ـ، الخراساني البَلْخي، نزيل الشام. (ت ١٦٢). «السِّيَر».

قال الذهبي[٤]: قيل إن إبراهيم غزا في البحر مع أصحابه، فاخْتَلَفَ

---

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ٤٣).

(٢) «الحلية» (٧/ ٤٥).

(٣) «السير» (٧/ ١٩٠ و١٠/ ٣٢١).

(٤) «تاريخ الإسلام» (١٠/ ٥٠ ـ ٥١).

في الليلة التي مات فيها إلى الخلاء خمساً وعشرين مرة، كل مرة يجدد الوضوء، فلما أحس بالموت قال: أوتروا لي قوسي، وقبض على قوسه، فتوفي وهو في يده.

ورقاء اليشكري

ابن عمر بن كليب، أبو بشر الكوفي، الإمام الثبت الثقة، الحافظ العابد. قال أبو داود في «مسائله»: ورقاء صاحب سنة إلا أن فيه إرجاء. (توفي سنة نيف وستين ومئة). «تاريخ الإسلام» و «السِّيَر» و «تذكرة الحفاظ».

عن أبي المنذر، إسماعيل بن عمر قال: دخلنا على ورقاء بن عمر اليشكري وهو في الموت، فجعل يهلل ويكبر ويذكر الله عز وجل، وجعل الناس يدخلون عليه أرسالاً، فيسلمون عليه فيرد عليهم، فلما أكثروا التفت إلى ابنه فقال: يا بني، اكفني رَدَّ السلام على هؤلاء، لا يشغلوني عن ربي عز وجل(١).

أبو بكر النَّهْشَليّ

الكوفي، اسمه على الأصح عبد الله، ولا يرد إلا بالكنية، وثقه أحمد وابن معين. (ت ١٦٦). «تاريخ الإسلام».

عن بشر بن عبد الله النهشلي قال: دخلنا على أبي بكر النهشلي وهو في الموت، وهو يومىء برأسه يرفعه ويضعه كأنه يصلي، فقال له بعض أصحابه(٢): في مثل هذا الحال رحمك الله!

---

(١) «تاريخ الإسلام» (١٣ / ٥١٨).

(٢) القائل هو ابن السماك الواعظ الشهير. (ت ١٨٣). «كتاب المحتضرين» (رقم ١٦٢).

قال: إنني أُبَادِر طَيَّ الصحيفة[1].

وعن خلف بن الوليد، عن رجل من بني نهشل قال: دخلوا على أبي بكر النهشلي وهو يجود بنفسه ويَعْقد بيده[2]، فقال رجل: في هذه الحال؟! فقال: إنني أُبادر طَيَّ الصحيفة[3].

قال الذهبي[4]: قال عثمان الدارمي: سمعت أحمد بن يونس يقول: كان أبو بكر النهشلي رجلاً صالحاً، كان في مرضه يثب إلى الصلاة ولا يقدر، فيقال له: إنك في عذر. فيقول: أُبَادِر طَيَّ الصحيفة.

نافع المدني المقرىء

ابن أبي نعيم الليثي، الإمام حبر القرآن، مولاهم أبو رويم المقرىء المدني، أحد الأعلام. هو مولى جَعْوَنة بن شَعوب الليثي حليف حمزة بن عبد المطلب، أو حليف العباس. قرأ على طائفة من تابعي المدينة، وكان أسود اللون حالكاً، وأصله من أصبهان. (ت ١٦٩). «السِّيَر» و«معرفة القراء الكبار».

عن محمد بن إسحق، عن أبيه قال: لما حضرت نافعاً الوفاةُ قال له أبناؤه: أوصنا.

قال: **﴿اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين﴾**[5][6].

---

(١) «قصر الأمل» (رقم ١٥٩).

(٢) يعني: بالتسبيح.

(٣) «كتاب المحتضرين» (رقم ٢٨٢).

(٤) «تاريخ الإسلام» (١٠/ ٥٤٢).

(٥) الأنفال: ١.

(٦) «معرفة القراء الكبار» (ص ٩٢).

محمد بن سليمان

ابن علي بن حبر الأمة عبد الله بن عباس، أمير البصرة، وابن عم المنصور، والذي ثبّت دولتهم بعدله وبلائه يوم باخَمْرا[1]. كان فارس بني هاشم، قتل إبراهيم بن عبد الله الخارج على المنصور، وَلِيَ أيضاً إمرة فارس والكوفة، وكان جواداً مُمَدَّحاً. (ت ١٧٣). «السِّيَر» و «تاريخ الإسلام».

قال ابن أبي الدنيا[2]: حدثني أبو محمد العَتَكي البصري قال: حدثني الحسين بن محمد بن سلام مولى آل سليمان بن علي قال: لما احتُضِر محمد بن سليمان كان رأسه في حِجْر أخيه جعفر بن سليمان، فقال جعفر: واانقطاع ظهراه!

قال محمد: واانقطاع ظهر مَنْ يلقى الحساب غداً، والله ليت أمك لم تلدني، وليتني كنت حمالاً وأني لم أكن فيما كنتُ فيه.

السّيّد الحِمْيَري

من فحول الشعراء لكنه رافضي جَلْد، واسمه أبو هاشم إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة الحميري، له مدائح بديعة في أهل البيت، ونظمه في الذّروة. (ت ١٧٣ أو ١٧٨). «السِّيَر».

قال الأصفهاني: إنما مات ذكره وهجر الناس شعره لما كان يفرط فيه من سب أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه في شعره ويستعمله من قذفهم والطعن عليهم. «الأغاني».

---

(١) موضع قريب من الكوفة.

(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ٣١٨).

قال أبو ركانة: حدثني رجل كان أبوه في جوار السيد، قال: لما حضرته الوفاة جاءنا وليُّه فقال: هذا وإن كان مخلطاً فهو من أهل التوحيد، وهو جاركم، فادخلوا إليه ولقِّنوه الشهادة. قال: فدخلنا إليه وهو يجود بنفسه وقلنا له: قل: لا إله إلا الله، قال: فاسود وجهه وفتح عينيه وقال: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾[١]. قال: فخرجنا من عنده، فمات من ساعته[٢].

قال الذهبي[٣]: قيل: إنه اجتمع بجعفر الصادق، فبين له ضلالته فتاب.

قال الأصفهاني[٤]: وروى أبو داود وإسماعيل بن الساحر؛ أنهما حضرا السيد عند وفاته بواسط، وقد أصابه شرىً وكرب، فجلس ثم قال: اللهم أهكذا جزائي في آل محمد؟! قال: فكأنها كانت ناراً فطُفئتْ عنه.

قال: وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي بإسناد له لم يحضرني، قال: حدثني من حضر السيد وقد احتُضِر، فقال:

برئْتُ إلى الإله من ابن أروى ... ومن دِين الخوارج أجمعينا
ومن فُعَلٍ برئْتُ ومن فُعَيْلٍ ... غداةَ دُعي أمير المؤمنينا

ثم كأن نفسه كانت حصاةً فسقطت.

* * *

(١) سبأ: ٥٤.
(٢) «فوات الوفيات» (١ / ١٩٣).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (٨ / ٤٦).
(٤) «الأغاني» (٧ / ٢٩٦).

المفضل بن يونس

أبو يونس، الكوفي الجعفي. وثقه أبو حاتم ثم قال: لما نُعِيَ المفضل لابن المبارك قال: وكيف تَقَرّ العين بعد المفضل؟! (ت ١٧٨). «تاريخ الإسلام».

عن مُطَيْر بن الربيع قال: كان مفضل بن يونس إذا جاء الليل قال: ذهب من عمري يوم كامل. فإذا أصبح قال: ذهبت ليلة كاملة من عمري. فلما احتُضِر بكى وقال: قد كنت أعلم أن لي من كَرِّكُمَا[1] عَلَيّ يوماً شديداً كربه، شديداً غصصه، شديداً غمه، شديداً علزه، فلا إله إلا الذي قضى الموت على خلقه وميَّزَه عدلاً بين عباده. ثم جعل يقرأ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[2]. ثم تنفس فخرجت نفسه[3].

حَمّاد بن زيد

ابن دِرهم، العلامة الحافظ الثَّبْت، محدث الوقت، أبو إسماعيل الأزدي، مولى آل جرير بن حازم، البصري الأزرق الضرير، أحد الأعلام. (ت ١٧٩). «السِّيَر».

عن خالد بن خِدَاش قال: شهدت حَمّاد بن زيد في آخر يوم مات فيه، فقال: أحدثكم بحديث لم أُحَدث به قط، إني أكره أن ألقى الله ولم أحدث به، سمعت أيوب يحدث عن عكرمة قال: إنما أنزل الله متشابه القرآن ليضل به(!).

---

(١) يعني: الليل والنهار.

(٢) الملك: ٢.

(٣) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٩٧).

قال الذهبي[1]: هذه عبارة رديئة، بل إنما أنزله الله تعالى ليهدي به المؤمنين، وما يضل به إلا الفاسقين، كما أخبرنا عز وجل في «سورة البقرة»[2].

حسان بن أبي سنان[3]

البصري، أحد العباد الورعين، روى عن الحسن البصري. قال البخاري: كان من عباد أهل البصرة. (ت ١٥١). «تهذيب الكمال» و «المنتظم».

عن محمد بن أحمد بن أبي زيد الخراساني قال: قلت لمهدي بن ميمون: مَنْ حسان بن أبي سنان؟ فقال: من حسان بن أبي سنان! رأيت حسان بن أبي سنان ـ أحسبه قال في مرضه ـ فقيل له: كيف تجدك؟ قال: بخير إن نجوت من النار. فقيل له: ما تشتهي؟ قال: ليلة بعيدة ما بين الطرفين أحيي ما بين طرفيها[4].

ويروى أنه لما حضره الموت قال له بعض إخوانه: أتجد كرباً شديداً؟ فبكى، ثم قال: إن ذلك، ثم قال: ينبغي للمؤمنين أن يسلوا عن كرب الموت وألمه لما يرجون من السرور في لقاء الله عز وجل[5].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٥ / ٣٢ ـ ٣٣).

(٢) الآية: ٢٦ و٢٧، ونصهما: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

(٣) تقدم ذكر حسّان في موضعه (صفحة ٢٣٥)، ونعتذر عن ذكره هنا فقد تعذّر إلغاؤه.

(٤) «حلية الأولياء» (٣ / ١١٧ ـ ١١٨).

(٥) «الثبات عند الممات» (ص ١٥١).

ضَيْغَم

ابن مالك، الزاهد القدوة الرباني، أبو بكر الراسبي البصري، أخذ عن التابعين. قال عبد الرحمن بن مهدي: ما رأيت مثل ضيغم في الصلاح والفضل. وقال ابن الأعرابي: وكان من الخائفين البكّائين. (ت ١٨٠). «السِّيَر».

قال الإشبيلي[١]: لما نزل به الموت قيل له: أوصنا. قال: بلى، أوصيكم بما أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوب: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[٢]. وأوصيكم بصلة الرحم، وحسن الجوار، وادفنوني مع المساكين.

وعن مُضَر قال: قلت لضَيْغم في مرضةٍ مرضها: يا أبا مالك، أقامك الله إلى طاعته. قال: قل أو قبضك إلى رحمته. فقلت: أو قبضك إلى رحمته. فقال هو: آمين. فوالله ما قام من مرضته تلك[٣].

سيبويه

إمام النحو، حجة العرب، أبو بشر، عَمرو بن عثمان بن قَنْبَر، الفارسي، ثم البصري. طلب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية، فبرع وساد أهل العصر، وألف فيه كتابه الكبير الذي لا يدرك شأوه فيه. قيل: عاش اثنتين وثلاثين سنة. وقيل: نحو الأربعين. (ت ١٨٠). «السِّيَر».

---

(١) «كتاب التهجد» (ص ٢٢٩).

(٢) البقرة: ١٣٢.

(٣) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٥٩).

قال ياقوت[1]: لما مرض سيبويه مرضه الذي مات فيه، جعل يجود بنفسه ويقول:

يُــؤمِّــلُ دُنَيــا لتبقــى لــه ... فمــات المُـؤمِّـلُ قبـل الأمـلْ
حثيثــاً يُــرَوِّي أصــول النخيـ ... ـل فعاش الفسيل ومات الرجلْ

ويروى[2]:

يُــؤمِّــلُ دنْيَــا لتبقــى لــه ... فَــوافَــى المنيــةَ دون الأمــلْ
حثيثــاً يُــرَوِّي أُصــول الفسيـ ... ـل فعاش الفسيل ومات الرجلْ

وعن أبي عَمرو بن يزيد قال: احتُضِر سيبويه النحوي، فوضع رأسه في حجر أخيه، فأُغمي عليه، قال: فدمعت عين أخيه، فأفاق فرآه يبكي، فقال:

وكـنَّـا جميعـاً فـرَّقَ الـدَّهْـرُ بَيْنَنـا ... إلى الأمَدِ الأقْصَى فَمَنْ يأمَنُ الدَّهْرا[3]

ويروى[4]:

أُخَيَّيْـنِ كنّـا فَـرَّقَ الـدَّهْـرُ بَيْنَنَـا ... إلى الأمَدِ الأقْصَى ومَنْ يأْمَنُ الدَّهْرا

بشر بن منصور

الإمام المحدث الرباني القدوة، أبو محمد الأزدي السَّليمي البصري الزاهد. (ت ١٨٠). «السِّيَر».

قال محمد بن قدامة: لما احتُضِر بشر بن منصور قيل له: أوص

---

(١) «معجم الأدباء» (١٦ / ١٢١).
(٢) «تاريخ بغداد» (١٢ / ١٩٨).
(٣) «تاريخ بغداد» (١٢ / ١٩٨).
(٤) «معجم الأدباء» (١٦ / ١٢٢).

بِدَيْنك. قال: أنا أرجو ربي لذنبي، أفلا أرجوه لدَيْنِي؟!

فلما مات قضى عنه دَيْنَه بعضُ إخوانه[1].

وعن العُتْبي: حدثني مَن شهد بشر بن منصور حين حُضِر، قال: فقلت: كأني أراكَ تُسَرّ من الموت! قال: فَعَجِبَ من تَعَجُّبي وقال:

أتجعل قدومي على خالقي أرجو خيره كمقامي مع مخلوق أخافه؟![2].

وعن عبد الأعلى بن حماد البرقي قال: دخلت على بشر بن منصور وهو في الموت، فرأيته مستبشراً، فقلت له: ما هذا السرور؟!

قال: أخرج من بين الحاسدين والباغين والمغتابين، وأقدم على رب العالمين، ولا أفرح![3].

عبد الله بن المبارك

ابن واضح، الإمام شيخ الإسلام، عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته، أبو عبد الرحمن الحنظلي، مولاهم التركي، ثم المَرْوزي، الحافظ، الغازي، أحد الأعلام. (ت ١٨١). «السِّيَر».

قال العجلي[4]: حدثني أبي عبدُ الله قال: لما حُضِر ابن المبارك جعل رجل يلقنه؛ قل: لا إله إلا الله، وأكثر عليه، فقال: إنك لستَ تُحْسِنُ، أخاف أن تؤذي بها رجلاً مسلماً بعدي، إذا لقنتني فقلتُ: لا إله إلا

(١) «حلية الأولياء» (٦/ ٢٤٢).
(٢) «وصايا العلماء» (ص ١٠٤).
(٣) «بهجة المجالس» (٣/ ٣٧٣).
(٤) «تاريخ الثقات» (ص ٢٧٥).

الله، ثم لم أحدث كلاماً بعدها فدعني، فإذا أحدثت كلاماً بعدها فلَقِّنِّي حتى تكون آخر كلامي.

وفي «ترتيب المدارك»[1]: لما حضرته الوفاة قال لنصر مولاه: اجعل رأسي على التراب، فبكى نصر، فقال: ما يبكيك؟ قال: ذكرت ما كنتَ عليه من النعيم وأنت هو ذا تموت فقيراً غريباً. فقال له: اسكت، فإني سألت الله أن يحييني حياة الأغنياء، ويميتني ميتة الفقراء. ثم قال: لقني ولا تعد عَلَيَّ إلا أن أتكلم بكلام ثان، ولقني حتى يكون آخر كلامي.

وقال الحسن بن الربيع: لما احتُضِر ابن المبارك في السفر قال: أشتهي سَوِيقاً، فطلبناه له، فلم نجده إلا عند رجل كان يعمل للسلطان، فذكرناه لعبد الله، فقال: دَعُوه. فمات ولم يشربه[2].

وعن أبي خزيمة العابد قال[3]: دخلت على عبد الله وهو مريض، فجعل يتقلب على فراشه من الغم، فقلت له: يا أبا عبد الرحمن، ما هذا؟ فاصبر. قال: من يصبر في أخذ الله؟! ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[4].

وعن أبي القاسم القشيري قال[5]: وقيل: فتح عبد الله بن المبارك عينه عند الوفاة فضحك، وقال: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾[6].

القاضي أبو يوسف

الإمام المجتهد العلامة المحدث، قاضي القضاة (!)، أبو يوسف

---

(١) (١ / ٣٠٩).
(٢) «تاريخ الإسلام» (١٢ / ٢٣٧).
(٣) «تاريخ ابن عساكر» (٣٢ / ٤٣٧).
(٤) هود: ١٠٢.
(٥) «تاريخ ابن عساكر» (٣٢ / ٤٧٦).
(٦) الصافات: ٦١.

يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حُبيش بن سعد بن بُجَيْر بن معاوية الأنصاري الكوفي. وسعد بن بجير له صحبة، وهو سعد ابن حَبْتَة، وهي أمه، وهو بَجَلي من حلفاء الأنصار، شهد الخندق وغيرها. (ت ١٨٢). «السِّيَر».

قال القاضي إبراهيم بن الجراح تلميذ أبي يوسف: مرض أبو يوسف فأتيته أعوده، فوجدته مغمىً عليه، فلما أفاق قال لي: يا إبراهيم، ما تقول في مسألة؟ قلت: في مثل هذه الحال؟! قال: ولا بأس بذلك، ندرس لعله ينجو به ناج.

ثم قال: يا إبراهيم، أيما أفضل في رمي الجمار (أي: في مناسك الحج)؛ أن يرميها ماشياً أو راكباً؟ قلت: راكباً، قال: أخطأت. قلت: ماشياً، قال: أخطأت. قلت: قل فيها، يرضى الله عنك. قال: أما ما كان يُوقَفُ عنده للدعاء فالأفضل أن يرميه ماشياً، وأما ما كان لا يُوقَفُ عنده فالأفضل أن يرميه راكباً.

ثم قمت من عنده فما بلغت باب داره حتى سمعت الصراخ عليه، وإذا هو قد مات رحمة الله عليه[١].

ابن السَّمّاك

الزاهد القدوة، سيد الوعاظ، أبو العباس محمد بن صَبيح العجلي مولاهم الكوفي. (ت ١٨٣). «السِّيَر».

روى ابن أبي الدنيا[٢] عن عبد الله بن صالح العجلي قال: قال ابن

(١) «الجواهر المضية» (١ / ٧٦)، و «قيمة الزمن عند العلماء» (ص ٢١).

(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ٣٤٧).

السماك عند وفاته: اللهم إنك تعلم أني وإن كنت إذ كنت أعصيك أني أحب فيك من يطيعك.

وفي «محاضرات الأدباء»(١): اللهم إنك تعلم أني كنت أعصيك وأحب أن أكون ممن يطيعك، إلهي كم تتحبب إلي بنعمتك وأنت غني عني، وكم أتبغض إليك بذنوبي وأنا إليك فقير.

العُمَري

الإمام القدوة الزاهد العابد، أبو عبد الرحمن، عبد الله بن عبد العزيز ابن عبد الله بن صاحب رسول الله ﷺ عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي العمري المدني. (ت ١٨٤). «السِّيَر».

عن أبي يحيى الزهري قال: قال عبد الله بن عبد العزيز العمري عند موته: بنعمة ربي أحدث: إني لم أصبح أملك على الناس إلا سبعة دراهم ملكتها من لحاء شجر فتلته بيدي، وبنعمة ربي أحدث: لو أن الدنيا أصبحت تحت قدمي لا يمنعني من أخذها إلا أن أزيل قدمي عنها ما أزلتها(٢).

الفضيل بن عِيَاض

ابن مسعود بن بِشر، الأستاذ الإمام القدوةُ الثَّبْت، شيخ الإسلام، أبو علي التميمي اليربوعي الخراساني الزاهد. كان إماماً ثقة حجة زاهداً عابداً نبيهاً صمدانياً كبير الشأن. (ت ١٨٧). «السِّيَر» و«تاريخ الإسلام».

---

(١) (٢ / ٤٧٢) بحذف يسير.

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٨ / ٢٨٣)، و«صفة الصفوة» (٢ / ١٨٣).

قال إبراهيم بن الأشعث: سمعت الفضيل يقول في مرضه: ارحمني بِحُبِّي إياك؛ فليس شيء أحبَّ إليّ منك.

وسمعته يقول وهو يشتكي: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[1][2].

وقيل: لما حضرته الوفاة غُشِيَ عليه ثم أفاق فقال: وَابُعْدَ سفري! وَاقِلَّةَ زادي![3].

إبراهيم المَوْصلي

رئيس المطربين، أبو إسحق بن ماهان بن بَهْمَن، الفارسي الأصل الأرَّجَاني، مولى بني حنظلة، صحب بالكوفة فتياناً في طلب الغناء، فاشتد عليه أخواله، فهرب إلى الموصل. برع في الآداب والشعر والموسيقى، وسافر في تطلب ذلك إلى أن برع واشتهر وبَعُد صيته، واتصل بالخلفاء والبرامكة وحَصّل الأموال، وكان ندي الصوت جداً، ماهراً بالعود لعّاباً مترفاً، سامحه الله، وهو والد العلامة الأديب إسحق الموصلي. (ت ١٨٨). «السِّيَر».

قال ابن كثير[4]: من قوله في شعره عند احتضاره:

مَلَّ واللهُ طبيبي ... مِن مُقاساة الذي بي
سوف أُنْعَى عن قريبٍ ... لعدوٍ وحبيبِ

(١) الأنبياء: ٨٣.
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٣٦).
(٣) «العاقبة» للإشبيلي (ص ٧٠).
(٤) «البداية والنهاية» (١٠/ ٢٠١).

الكِسائي

الإمام، شيخ القراء والنحاة، أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله ابن بَهْمَن بن فيروز الأسدي، مولاهم الكوفي، المُلَقَّب بالكِسائي لكساء أحرم فيه. (ت ١٨٩). «السِّيَر» و «التاريخ».

عن نصير بن يوسف قال: دخلت على الكسائي في مرض موته فأنشأ يقول:

قَدَرٌ أَحَلَّك ذا النُّخَيْل وقد تُرى ... وَأَبِـيَّ مَـا لَـكَ ذو النُّخَيْـل بـدارِ

ألا كَـدَارِكُـمُ بـذي بَقَـرِ الحِمـى ... هيهـات ذو بَقَـرٍ مـن المُـزْدَارِ

فقلت: كلا، ويمتع الله الجميع بك.

فقال: إذا قلت ذاك، لقد كنت أُقْرِىء في مسجد دمشق، فأغفيت في المحراب، فرأيت النبي ﷺ داخلاً من باب المسجد، فقام إليه رجل فقال: بحرف مَنْ نقرأ؟ فأومأ إليّ[1].

وفي رواية زيادة في الشعر[2].

محمد بن الحسن الشيباني

محمد بن الحسن بن فَرْقَد، العلامة، فقيه العراق، أبو عبد الله الشيباني الكوفي، صاحب أبي حنيفة. (ت ١٨٩). «السِّيَر».

قال علي بن سعيد: حدثني الرجل الرازي الذي مات محمد بن الحسن في بيته قال: حضرته وهو يموت، فبكى، فقلت له: أتبكي مع العلم؟! فقال لي:

---

(١) «تاريخ الإسلام» (١٢ / ٣٠٣ ـ ٣٠٤).

(٢) انظر: «معجم الأدباء» (١٣ / ٢٠٠).

أرأيت إن أوقفني الله تعالى وقال: يا محمد، ما أقدمك الرَّيَّ؟ الجهاد في سبيلي، أم ابتغاء مرضاتي؟ ماذا أقول؟![1].

عبد الله بن إدريس

الإمام الحافظ المقرىء القدوة، شيخ الإسلام، أبو محمد الأوْدي الكوفي. (ت ١٩٢). «السِّيَر».

قال حسين بن عَمرو العَنْقَزيّ: لما نزل بابن إدريس الموت بكت ابنته، فقال: لا تبكي، فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة[2].

العباس بن الأحنف

ابن الأسود بن طلحة الحنفي اليمامي، من فحول الشعراء، وله غزل فائق، وهو خال إبراهيم بن العباس الصّولي الشاعر، له أخبار كثيرة مع هارون الرشيد وغيره، وكان ظريفاً حلواً مقبولاً حسن الشعر. (ت ١٩٢). «السِّيَر» و «تاريخ بغداد».

عن أحمد بن عبيد قال: سمعت الأصمعي يقول: بينا أنا ذات يوم قاعد في مجلس بالبصرة فإذا أنا بغلام أحسن الناس وجهاً وثوباً واقف على رأسي، فقال: إن مولاي يريد أن يوصي إليك. فقمت معه، فأخذ بيدي حتى أخرجني إلى الصحراء، فإذا أنا بعباس بن الأحنف ملقى على فراشه، وإذا هو يجود بنفسه وهو يقول:

---

(١) «تاريخ الإسلام» (١٢ / ٣٦٢).

(٢) «تاريخ بغداد» (٩ / ٤٢١).

يـــا بعيـــد الـــدار مـــن وطنـــه   مُفْـــرَداً يبكـــي علـــى شَجَنِـــه
كلمـــا شَـــدَّ النجـــاءُ بـــه   دارَتِ الأسقـــامُ فـــي بَـــدَنِـــه

ثم أُغمي عليه، فانتبه بصوت طائر على شجرة، وهو يقول:

ولقـــد زاد الفـــؤادَ شَجـــىً   هـــاتِـــفٌ يبكـــي علـــى فَنَنِـــه
شـــاقـــه مـــا شـــاقنـــي فبكـــى   كلنـــا يبكـــي علـــى سَكَنِـــه

ثم أغمي عليه، فظننتها مثل الأولى، فحركته فإذا هو ميت[١].

أبو بكر بن عياش

ابن سالم الأسدي، مولاهم الكوفي الحَنّاط ـ بالنون ـ المقرىء الفقيه المحدث، شيخ الإسلام وبقية الأعلام، مولى واصل الأحدب، وفي اسمه أقوال، أشهرها: شعبة. (ت ١٩٣). «السِّيَر».

عن إبراهيم بن أبي بكر بن عياش قال: شهدت أبي عند الموت، فبكيت، فقال: يا بني، ما يبكيك؟ فما أتى أبوك فاحشة قط[٢].

وعنه قال: بكيت عند أبي حين حضرته الوفاة، فقال لي: ما يبكيك؟ أترى الله يضيع لأبيك أربعين سنة يختم فيها القرآن كل ليلة؟!‏[٣].

وعن يحيى الحماني قال: لما حضرت أبا بكر بن عياش الوفاة بكت أخته، فقال لها: ما يبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية التي في البيت، قد ختم أخوك في هذه الزاوية ثمان عشرة ألف ختمة[٤].

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٢ / ١٣٢ ـ ١٣٣).
(٢) «تاريخ بغداد» (١٤ / ٣٨٣).
(٣) «تاريخ بغداد» (١٤ / ٣٨٣).
(٤) «تاريخ بغداد» (١٤ / ٣٨٣).

قلت: لو قرأ في كل يوم وليلة ختمة لكانت هذه في نحو خمسين سنة، ولو قرأ ختمة في كل ثلاث لاحتاج إلى مئة وخمسين سنة تقريباً! وقد صح في السُّنة فيما رواه عبد الله بن عَمرو رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

«لَا يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ»(١).

أبو نُوَاس

رئيس الشعراء، أبو علي الحسن بن هانىء الحَكَمي، وقيل: ابن وهب. سمع من حماد بن سلمة وطائفة، وتلا على يعقوب، وأخذ اللغة عن أبي زيد الأنصاري وغيره. ومدح الخلفاء والوزراء، ونظمه في الذروة، حتى لقال فيه أبو عبيدة شيخه: أبو نُوَاس للمُحْدَثين كامرىء القيس للمتقدمين. (ت ١٩٥، وقيل غير ذلك). «السِّيَر».

قلت: وتنسب إليه أشعار وأخبار في المجون والخلاعة تدل على تضلع في الفسوق، ولعل غالبها كذب عليه.

عن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: دخلنا على أبي نواس وهو يجود بنفسه فقلنا: ما أعددت لهذا اليوم؟ فقال:

تعاظمني ذنبي فلما قَرَنْتُهُ ... بعَفْوِكَ ربّي كان عَفْوُك أعْظَما

فما زِلْتَ ذا عفوٍ عن الذنب لم تَزَلْ ... تجود وتعفو مِنَّةً وتَكَرُّما(٢)

وعن محمد بن زكريا قال: دخلت على أبي نواس وهو يكيد بنفسه، قال: فقال: تكتب؟ قلت: نعم. فأنشأ يقول:

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ـ باب في كم يقرأ القرآن، والباب الذي يليه.

(٢) «تاريخ بغداد» (٧/ ٤٤٧).

دَبَّ فِـيَّ الفنـاءُ عُلُـوّاً وسُفْـلا | وأُرانـي أمـوت عُضْـواً فعُضْـوا
ذهبـتْ شِـرَّتـي بِجِـدَّة نفسـي | فتـذكّـرتُ طـاعـة اللّـهِ نَضْـوا
لَيْسَ مِـنْ ساعـةٍ مَضَـتْ بـي إلا | نقصتنـي بمَـرِّهـا بـي حَـذوا
لهـف نفسـي علـى ليـال وأيـا | م سلبتُهـن لعبـاً ولهـوا
وأسـأْنـا كـلّ الإسـاءة يـا ربّ | فصَفْحـاً عَنّـا إلهـي وعَفْـوا[1]

وقال ابن منظور[2]: وكان يخدمه في علته غلام من الأزد كان يتعلم منه علم الشعر، فدخل عليه يوماً فقال: كيف تجدك؟ قال: أجدني في الحق، فإنا لله على ما فرطت، وواسوءتاه مما قدّمت، وإني لأذكر ما فرط مني فأبكي عليه، وأتمنى أني كنت في طاعة الله كما كنت في معصيته. ثم بكى وأنشد.

قلت: وذكر الأبيات المتقدمة بنحوها.

ويروى أنه كتب في علته قبل موته[3]:

يـا رب إنْ عَظُمَـتْ ذنـوبـي كثـرةً | فلقـد علمـتُ بـأن عفـوك أعظـمُ
إن كـان لا يـدعـوك إلا مُحْسِـنٌ | فمن الذي يرجو ويدعو المجرمُ
أدعـوك رب كمـا أمـرت تضـرعـاً | فإذا ردَدْتَ يدي فمن ذا يرحمُ
مـا لـي إليـك وسيلـة إلا الـرجـا | وجميـل عفـوك ثـم أنـي مسلـمُ

وعن أبي جعفر الصائغ الأدمي قال: لما حضر أبو نواس الموت قال: اكتبوا هذه الأبيات على قبري:

---

(١) «تاريخ بغداد» (٧ / ٤٤٧ ـ ٤٤٨).
(٢) «ملحق الأغاني» (٢٥ / ٣٠٥).
(٣) انظر: «وفيات الأعيان» (٢ / ١٠٣).

وعظتْـــك أجـــداث صُمُـــتْ ونعتْـــك أزمنـــةٌ خُفُـــتْ
وتكلمـــــتْ عـــــن أوجـــــهٍ تبلـــى وعـــن صـــور سُبُـــتْ
وأرتـــك قبـــرك فـــي القبـــو ر وأنـــت حـــي لـــم تمـــتْ[١]

قلت: ويروى عنه عند موته أقوال أخرى، سامحه الله[٢].

أبو العتاهية

رأس الشعراء، الأديب الصالح الأوحد، أبو إسحاق، إسماعيل بن قاسم بن سُوَيد العَنَزي، مولاهم الكوفي، نزيل بغداد. سار شعره لجودته وحسنه وعدم تَقَعُّره. (ت ٢١١ أو ٢١٣). «السِّيَر».

لما حضرته الوفاة قال: أشتهي أن يجيء مخارق المغني ويغني عند رأسي ـ والبيتان له من جملة أبيات ـ:

إذا ما انقضتْ عني من الدهر مُدَّتي فـإِنَّ عَـزاء البـاكيـاتِ قليـلُ
سيُعْرَضُ عنْ ذِكْري وتُنْسى مَوَدَّتي ويَحْـدُث بَعْـدي للخليـلِ خليـلُ

وأوصى أن يكتب على قبره هذا البيت:

إنّ عَيْشـاً يكـون آخـره المَـوْ تُ لعَيْـشٌ مُعَجَّـلُ التَنْغِيـصِ[٣]

وعن أحمد بن البراء قال: أنشدني أحمد بن علي بن مرزوق لأبي العتاهية وهو يكيد بنفسه:

يـا نفـس قـد مثَّلْـتُ حـا لـي هـذه لـكِ منـذ حيـنِ

---

(١) «تاريخ بغداد» (٧ / ٤٤٨).
(٢) انظر: «البداية والنهاية» (١٠ / ٢٢٧ و٢٣٤).
(٣) «وفيات الأعيان» (١ / ٢٢٢). ويروى عنه شعر آخر أوصى أن يكتب على قبره، انظر: «الأغاني» (٤ / ١١٧).

وشككـــتِ أنـــي نـــاصـــحٌ لـك فـاسْتَمَلْـتِ إلـى الظنـونِ
فتــأملــي ضعــف الحــرا ك وكَلَّــه بَعْــدَ السكــونِ
وتيقنـــي أن الـــذي بـك مـن عـلامـات المنـونِ[1]

وعن أبي محمد المؤدِّب قال[2]: قال أبو العتاهية لابنته رقية في علته التي مات فيها: قومي يا بنية فاندبي أباك بهذه الأبيات، فقامت فندبته بقوله:

لَعِبَ البِلى بمَعالمي وُرسُومي وقُبِرْتُ حياً تحت رَدْمِ هُمومي
لَزِمَ البِلى جسمي فأوهن قُوَّتي إن البِلـى لَمُـوَكَّـلٌ بِلُـزومـي

وعن محمد بن أبي العتاهية قال: آخر شعر قاله أبي في مرضه الذي مات فيه[3]:

إلهــي لا تعــذبنــي فــإنــي مُقِـرٌّ بـالـذي قـد كـان منِّـي
فمـا لـي حيلـةٌ إلا رجـائـي لعفـوك إنْ عفـوتَ وحسنُ ظَنِّي
وكـم مـن زلـةٍ لـي فـي الخطايا وأنـت عَلَـيَّ ذو فضـلٍ ومَـنِّ
إذا فكـرتُ فـي نـدمـي عليهـا عَضَضْتُ أناملي وقَرَعْتُ سِنِّي
أجـنُّ بـزهـرة الـدنيـا جنـونـاً وأقطـعُ طـولَ عمـري بـالتَّمَنِّـي
وبيـن يَـدَيَّ مُحْتَبَـسٌ ثقيـلٌ كـأنّـي قـد دُعِيـتُ لـه كـأنّـي
ولـو أنـي صـدقـتُ الـزهـد فيهـا قلبـت لأهلهـا ظَهْـرَ المِجَـنِّ
يَظُـنُّ النـاسُ بـي خيـراً وإنـي لَشَـرُّ الخَلْـقِ إن لـم تعـفُ عَنِّـي

---

(١) «المنتظم» (٦ / ٢٢٣).
(٢) «الأغاني» (٤ / ١١٦).
(٣) «الأغاني» (٤ / ١١٥)، و «ديوان أبي العتاهية».

حفص بن غِيَاث

ابن طلق، الإمام الحافظ العلّامة القاضي، أبو عمر النخعي الكوفي، قاضي الكوفة ومُحَدِّثها، ووَلِيَ القضاء ببغداد أيضاً. (ت ١٩٥). «السِّيَر».

قال عمر بن حفص بن غِياث: لما حضرت أبي الوفاة أُغْمِيَ عليه، فبكيت عند رأسه فأفاق فقال: ما يبكيك؟ قلت: أبكي لفراقك، ولما دخلت فيه من هذا الأمر ـ يعني القضاء ـ.

فقال: لا تبك، فإني ما حللت سراويلي على حرام قط، ولا جلس بين يديّ خصمان فباليتُ على مَنْ توجّه الحُكْمُ منهما[1].

وكيع بن الجراح

ابن مَليح بن عدي بن فَرَس بن جمجمة بن سفيان بن الحارث بن عمر ابن عبيد بن رؤاس، الإمام الحافظ، محدِّث العراق، أبو سفيان الرُّؤاسي، كان من بحور العلم وأئمة الحفظ. (ت ١٩٧). «السِّيَر».

عن مليح بن وكيع قال: لما نزل بأبي الموت أخرج إليّ يده فقال: يا بني، ترى يَدي؟ ما ضربت بها شيئاً قط[2].

يحيى بن سعيد القطان

يحيى بن سعيد بن فَرُّوخ، الإمام الكبير، أمير المؤمنين في الحديث، أبو سعيد التميمي، مولاهم البصري، الحافظ. (ت ١٩٨). «السِّيَر».

---

(١) «تاريخ بغداد» (٨ / ١٩٠).

(٢) «حلية الأولياء» (٨ / ٣٧١).

عن عَمرو بن علي قال: كان هِجِّيرُ يحيى بن سعيد إذا سكت ثم تكلم: ﴿ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴾(١).

قال: فقلت ليحيى في مرضه الذي مات فيه: يعافيك الله إن شاء الله. فقال: أحبُّه إليَّ أحبُّه إلى الله(٢).

يوسف بن أسباط

أبو محمد، الزاهد، من سادات المشايخ، له مواعظ وحكم، نزل الثغور مرابطاً. وثقه ابن معين. وقال أبو حاتم: لا يحتج به. (ت ١٩٩). «السِّيَر» و«المنتظم».

قال ابن الجوزي(٣): لما حضرتْ يوسف بن أسباط الوفاةُ شهده حذيفة (يعني: المرعَشي)، فوجده قلقاً، فقال: يا أبا محمد، هذا أوان القلق والجزع؟ فقال: يا أبا عبد الله، وكيف لا أقلق ولا أجزع، وإني لا أعلم أني صدقت الله في شيء من عملي.

فقال حذيفة: واعجباه لهذا الرجل الصالح! يحلف عند موته أنه لا يعلم أنه صدق الله في شيء من عمله.

معروف الكَرْخي

عَلَم الزهاد، بركة العصر، أبو محفوظ البغدادي، واسم أبيه فيروز، وقيل: فَيْرُزان، من الصابئة. وقيل: كان أبواه نصرانِيَّيْنِ، فأسلماه إلى

---

(١) ق: ٤٣.

(٢) «حلية الأولياء» (٨/ ٣٨١).

(٣) «الثبات عند الممات» (ص ٩٧).

مؤدِّب كان يقول له: قل: ثالث ثلاثة، فيقول معروف: بل هو الواحد، فضربه المعلم على ذلك ضرباً مبرحاً فهرب منه، وكان أبواه يقولان: ليته يرجع إلينا على أي دين شاء. ثم رجع، وأسلم أبواه. (ت ٢٠٠). «السِّيَر» و «وفيات الأعيان».

عن أبي بكر الزجاج قال: قيل لمعروف الكرخي في علته: أوْصِ، فقال: إذا مت فتصدقوا بقميصي هذا، فإني أحب أن أخرج من الدنيا عرياناً كما دخلت إليها عرياناً[١].

أبان بن عبد الحميد الرقاشي

مولاهم البصري الشاعر الشهير، مقدم في الشعر والأدب، وله بصر بالعلم والفقه، وكان ديِّناً خيِّراً متألهاً متهجداً. نظم للبرامكة كتاب «كليلة ودمنة» أرجوزة في أربعة آلاف بيت[٢]، ويقال: إن كل كلام نقل إلى الشعر فالكلام أفصح منه إلا هذا الكتاب. (ت ٢٠٠). «تاريخ الإسلام» و «المنتظم».

قال عند وفاته[٣]: أنا أرجو الله وأسأله رحمته، ما مضتْ عليّ ليلة قط لم أُصلِ فيها تطوعاً كثيراً.

زكريا بن عدي

ابن زُرَيْق، وقيل: ابن الصَّلت، الإمام الحافظ الثَّبْت، أبو يحيى

---

(١) «حلية الأولياء» (٨ / ٣٦٢).

(٢) في «تاريخ بغداد» و «المنتظم»: «أربعة عشر ألف بيت»!

(٣) «المنتظم» (٦ / ١٠٠).

التيمي، مولاهم الكوفي، نزيل بغداد، أخو نزيل مصر يوسف بن عدي. قال أحمد العجلي: كوفي ثقة، رجل صالح متقشف. وقال المنذر بن شاذان: ما رأيت أحفظ من زكريا بن عدي. (ت ٢١١ أو ٢١٢). «السِّيَر».

قال الذهبي[١]: قيل إن زكريا لما احتُضِر قال: اللهم إني إليك لمشتاق.

أبو سليمان الداراني

الإمام الكبير، زاهد العصر، أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد، وقيل: ابن عطية، وقيل: ابن عساكر، العَنْسي الداراني. (ت ٢٠٥ أو ٢١٥). «السِّيَر».

لما حضر أبا سليمان الداراني الموت قال له أصحابه: أبشر؛ فإنك تقدم على رب غفور رحيم. فقال لهم: ألا تقولون: تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير[٢].

قيل: غلب عليه الخوف في هذا الحال فتكلم عن حاله.

قلت: لعله أراد أن يخوفهم، وكثيراً ما يذكر الناسُ في حياتهم اللهَ عز وجل بهذين الاسمين الشريفين، وهم مصرون على المعاصي، ويستمرون على ذلك، ولا يذكرون أنه سبحانه شديد العقاب، كما قال عز وجل: ﴿ **ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[٣]. وقال: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ** ﴾[٤]، وآيات أخرى في هذا المعنى.

---

(١) «تاريخ الإسلام» (١٥ / ١٥٨).
(٢) «العاقبة» (ص ٨٩).
(٣) المائدة: ٩٨.
(٤) فصلت: ٤٣.

الخُرَيْبي

عبد الله بن داود بن عامر بن ربيع، الإمام الحافظ القدوة، أبو عبد الرحمن الهَمْداني، ثم الشعبي الكوفي، ثم البصري، المشهور بالخُرَيْبي. كان من كبار أئمة الأثر. (ت ٢١٣). «السِّيَر» و «تاريخ الإسلام».

قال بشر الحافي[١]: دخلت على عبد الله بن داود في مرضه الذي مات فيه، فجعل يقول ويُمِرّ بيديه إلى الحائط: لو خيرت بين دخول الجنة وبين أن أكون لَبِنَة من هذا الحائط لاخترت أن أكون لبنة فيه، متى أدخل أنا الجنة؟

قلت: قال هذا خشية هول المُطّلع وما يمكن أن يواجه قبل دخول الجنة.

أحمد بن يوسف الكاتب

أحمد بن يوسف بن القاسم بن صَبِيح، أبو جعفر الكوفي الكاتب، مولى بني عجل، كان أحد الأذكياء والأدباء والشعراء، وَلِيَ كتابة الرسائل للمأمون، كان من أفاضل كتابه وأذكاهم وأفطنهم وأجمعهم للمحاسن، وكان جيدُ الكلام، فصيح اللسان، حسن اللفظ، مليح الخط. (ت ٢١٣). «تاريخ بغداد» و «تاريخ الإسلام».

عن الحسين بن عبد الرحمن قال: أشرف أحمد بن يوسف وهو بالموت على بستان له على شاطىء دجلة، فجعل يتأمله ويتأمل دجلة، ثم تنفس وقال متمثلاً:

ما أطيبَ العيشَ لولا مَوْتُ صَاحبِهِ ففيه ما شئتَ مِن عَيْبٍ لعائبهِ

(١) «تاريخ دمشق» (٢٨ / ٣٣).

قال: فما أنزلناه حتى مات[1].

الوليد بن أبان الكرابيسي

المتكلم، من كبار المعتزلة، وله في الاعتزال مقالات معروفة يقوي بها مذاهب المعتزلة. (ت ٢١٤ أو ٢١٥). «السِّيَر» و «المنتظم» و «النجوم الزاهرة».

قال أحمد بن سِنان [القطان][2]: كان الوليد الكرابيسي خالي، فلما حضرته الوفاة قال لبنيه: تعلمون أحداً أعلم بالكلام مني؟ قالوا: لا. قال: فتتهموني؟ قالوا: لا. قال: فإني أوصيكم، تقبلون؟ قالوا: نعم.

قال: عليكم بما عليه أصحاب الحديث، فإني رأيت الحق معهم، لستُ أعني الرؤساء، ولكن هؤلاء المُمَزَّقين، ألم تر أحدهم يجيء إلى الرئيس منهم فيخطئه ويهجيه(!!).

قلت: بارك الله في أهل الحديث أينما حلوا وأينما نزلوا؛ كبارهم قبل صغارهم.

الأوقص

محمد بن عبد الرحمن بن يزيد، أبو عمر المخزومي. «تاريخ بغداد».

عن عبد الله بن حمزة بن عتبة اللهبي قال: دخلت على محمد بن عبد الرحمن المخزومي أعوده، فقلت له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت

---

(١) «تاريخ بغداد» (٥ / ٢١٨).
(٢) «تاريخ بغداد» (١٣ / ٤٧١ ـ ٤٧٢) و «تاريخ الإسلام» (١٦ / ٤٤٥).

كما قال الشاعر:

إذا ما وردت الماء في بعض أهله قدور تُعَرِّض بي كأنك مازح

فإن سألت عني قدور فقل لها به غُبَّرٌ من دائه وهو صالح

ثم دخلت عليه فقلت: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت كما قال الشاعر:

إن الليالي أسرعتْ في نقضي أخذن بعضي وتركن بعضي

أقعدنني بعد طول نَهضِ[1]

أبو جعفر المنصور

عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس القرشي الهاشمي العباسي، أمير المؤمنين، وأُمه سلاّمة البربرية. كان فحل بني العباس هيبة وشجاعة ورأياً وحزماً ودهاءً وجبروتاً، وكان جماعاً للمال حريصاً، تاركاً للهو واللعب، كامل العقل، بعيد الغَور، حسن المشاركة في الفقه والأدب والعلم. أباد جماعة كباراً حتى توطّد له الملك ودانت له الأمم، على ظلم فيه وقوة نفس، ولكنه يرجع إلى صحة إسلام وتَدَيُّن في الجملة، وتصون وصلاح وخير، مع فصاحة وبلاغة وجلالة. (ت ١٥٨). «السِّيَر» و «تاريخ الإسلام».

عن المدائني: أن المنصور لما احتُضِر قال: اللهم إني قد ارتكبت الأمور العظام جرأة مني عليك، وقد أطعتك في أحب الأشياء إليك: شهادة أن لا إله إلا الله، مَنّاً منك لا مَنّاً عليك. ومات.

(١) «أخبار القضاة» لوكيع (١ / ٢٦٥)، ولم تصرح الرواية أنه كان في مرض الموت.

وقد كان المنصور رأى مناماً يدل على قرب الأجل، فتهيّأ وسار للحج[1].

وقيل: لما حضرته الوفاة قال للربيع بن يونس: يا ربيع، بعنا الآخرة بنومة[2].

هارون الرشيد

الخليفة أبو جعفر هارون بن المهدي محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي العباسي، استُخْلِف بعهد معقود له بعد الهادي من أبيهما المهدي، وكان من أنبل الخلفاء وأحشم الملوك، ذا حج وجهاد وغزو وشجاعة ورأي وفصاحة وعلم وبصر بأعباء الخلافة، وله فتوحات ومواقف مشهودة، منها فتح مدينة هرقلة، ومات غازياً بخراسان سنة (١٩٣). «السِّيَر».

عن مسرور الخادم قال: أمرني هارون أمير المؤمنين لما احتُضِر أن آتيه بأكفانه، فأتيته بها، فجعل ينتقيها على عينه، ثم أمرني فحفرتُ قبره، ثم أمر فحمل إليه، فجعل يتأمله ويقول: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾[3]، ويبكي، ثم تمثل ببيت شعر[4].

وقيل[5]: لما حضرته الوفاة احتبى بملاءة وجلس يقاسي سكرات الموت، فقال له بعض من حضر: لو اضطجعت كان أهون عليك. فضحك

---

(١) «تاريخ الإسلام» (٩ / ٤٧١)، و«السِّيَر» (٧ / ٨٧).

(٢) «وفيات الأعيان» (٢ / ٢٩٥).

(٣) الحاقة: ٢٨ و٢٩.

(٤) «كتاب المحتضرين» (رقم ٩٦).

(٥) «البداية والنهاية» (١٠ / ٢١٣).

ضحكاً صحيحاً، ثم قال: أما سمعت قول الشاعر:

وإنـي مـن قـومٍ كـرامٍ يـزيـدهـم   شِمَاسـاً وصبـراً شـدة الحَـدَثـانِ

ويروى أنه لما اشتدت عِلّته قال: إن كل مخلوق ميت، وكل جديد بَالٍ، وقد نزل بي ما ترون، وأنا أوصيكم بثلاث: الحفظ لأماناتكم، والنصيحة لأئمتكم، واجتماع كلمتكم[١].

وقيل[٢]: إنه لما احتُضِر قال: اللهم انفعنا بالإحسان، واغفر لنا الإساءة، يا من لا يموت، ارحم من يموت.

وعن أحمد بن محمد الأزدي قال: جعل هارون أمير المؤمنين يقول وهو في الموت: واسوءتاه من رسول الله ﷺ[٣].

وفي «المنتظم»[٤]: ولما قرب موت الرشيد جعل يقول:

إنـــي بطـــوسٍ مُقيـــم   مـــالـــي بِطـــوسٍ حَميـــم

أرجـــو إلهـــي لمـــا بـــي   فـــإنـــه بـــي رحيـــم

لقـــد أتـــانـــي بطـــوس   قضـــاؤه المحتـــوم

وقال: احفروا لي قبراً. فحفروا له في ذلك البستان. فقال: احملوني أنظر إليه. فحُمل فنظر إليه، فجعل يقول: أغثني أغثني وارحم عبرتي. ثم قال: قربوني قليلاً. فقربوه، فنظر في القبر فقال: وسعوا عند الصدر قليلاً. ففعلوا وهو ينظر، وأنزل قوماً فختموا فيه القرآن، وقال: مدوا موضع الرجلين. ففعلوا وهو في محفة على شفير القبر، ثم شخص ببصره إلى

---

(١) انظر: «مروج الذهب» (٣ / ٣٧٦).
(٢) «البداية والنهاية» (١٠ / ٢٢١).
(٣) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٠١ و٣٥٨).
(٤) (٦ / ١٨).

السماء وقال: يا من لا يموت، ارحم من يموت، يا من لا يزول ملكه، ارحم من قد زال ملكه. ثم بكى بكاء شديداً، وأنشد:

أنـا مَيْـتٌ وعَـزَّ مَـنْ لا يمـوتُ ... قـد تيقنـت أننـي سـأمـوتُ

ليـس مُلْـكٌ يُـزيلُـهُ المَـوْتُ ملكـاً ... إنما المُلْكُ مُلْكُ مَنْ لا يموتُ

الأمين

الخليفة، أبو عبد الله محمد بن الرشيد هارون بن المهدي محمد بن المنصور، الهاشمي العباسي البغدادي. وأُمّه زبيدة بنت الأمير جعفر بن المنصور، عقد له أبوه بالخلافة بعده، وكان ذا قوة وشجاعة وأدب وفصاحة، ولكنه سيىء التدبير، مفرط التبذير، أرعن لعاباً، مع صحة إسلام ودين، يقال: قتل مرة أسداً بيده. عاش سبعاً وعشرين سنة، وخلافته دون الخمس سنين. (ت ١٩٨). «السِّيَر».

ذكر ابن كثير قصة مقتله وقد جاءه جند من العجم، فقال: فجاؤوا إلى البيت الذي هو فيه، وعنده بعض أصحابه وهو يقول له: ادن مني فإني أجد وحشة شديدة. وجعل يلتف في ثيابه شديداً، وقلبه يخفق خفقاناً عظيماً كاد يخرج من صدره، فلما دخل عليه أولئك قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. ثم دنا منه أحدهم فضربه بالسيف على مفرق رأسه، فجعل يقول: ويحكم! أنا ابن عم رسول الله ﷺ، أنا ابن هارون، أنا أخو المأمون، الله الله في دمي. فلم يلتفتوا إلى شيء من ذلك، بل تكاثروا عليه، وذبحوه من قفاه وهو مكبوب على وجهه[١].

***

(١) «البداية والنهاية» (١٠ / ٢٤١).

المأمون

الخليفة أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور العباسي. كان من رجال بني العباس حزماً وعزماً وحلماً وعلماً ورأياً ودهاءً وهيبة وشجاعة وسؤدداً وسماحة. ودعا إلى القول بخلق القرآن وبالغ. (ت ٢١٨). «تاريخ الإسلام» و «السِّيَر».

ذكر الذهبي[١] أنه قال عند الموت: يا من لا يزول ملكه، ارحم من قد زال ملكه.

وذكر[٢] أنه رمق بطرفه نحو السماء وقد امتلأت عيناه دموعاً وقال: يا من لا يموت، ارحم من يموت. ثم قضى.

وقال ابن الأثير[٣]: وكانت وصيته بعد الشهادة والإقرار بالوحدانية والبعث والجنة والنار والصلاة على النبي ﷺ والأنبياء: إني مقر مذنب، أرجو وأخاف، إلا أني إذا ذكرت عفو الله رجوت، وإذا متّ فوجهوني، وغمضوني، وأسبغوا وضوئي وطهوري، وأجيدوا كفني، ثم أكثروا حمد الله على الإسلام، ومعرفة حقه عليكم في محمد ﷺ، إذ جعلنا من أمته المرحومة، ثم أضجعوني على سريري، ثم عجلوا بي، وليصل علي أقربكم نسباً وأكبركم سناً، وليكبر خمساً، ثم احملوني وابلغوا بي حفرتي، ولينزل بي أقربكم قرابة، وأودكم محبة، وأكثروا من حمد الله وذكره، ثم ضعوني على شقي الأيمن، واستقبلوا بي القبلة، ثم حلّوا كفني عن رأسي ورجلي، ثم سدوا اللحد، واخرجوا عني وخلوني وعملي، وكلكم لا يغني عني شيئاً ولا يدفع عني مكروهاً، ثم قفوا بأجمعكم فقولوا خيراً إن علمتم، وأمسكوا

---

(١) «تاريخ الإسلام» (١٥/ ٢٣٩).
(٢) «تاريخ الإسلام» (١٥/ ٢٤٠).
(٣) «الكامل» (٦/ ٤٢٩ ـ ٤٣١).

عن ذكر شر إن كنتم عرفتم؛ فإني مأخوذ من بينكم بما تقولون، ولا تدعوا باكية عندي؛ فإن المُعْوَل عليه يعذب.

رحم الله عبداً اتعظ وفكر فيما ختم الله على خلقه من الفناء، وقضى عليهم من الموت الذي لا بدّ منه، فالحمد لله الذي توحّد بالبقاء، وقضى على جميع خلقه الفناء، ثم لينظر ما كنت فيه من عز الخلافة؛ هل أغنى عني ذلك شيئاً إذ جاء أمر الله؟ لا والله، ولكن أضعف عليّ به الحساب، فيا ليت عبد الله بن هارون لم يكن بشراً، بل ليته لم يكن خلقاً.

يا أبا إسحق، ادْن مني، واتعظ بما ترى، وخذ بسيرة أخيك في القرآن والإسلام، واعمل في الخلافة ـ إذا طوّقكها الله ـ عمل المريد لله الخائف من عقابه وعذابه، ولا تغتر بالله ومهلته فكأن قد نزل بك الموت، ولا تغفل أمر الرعية والعوام؛ فإن المُلْك بهم وبتعهدك لهم، الله الله فيهم وفي غيرهم من المسلمين، ولا ينتهين إليك أمر فيه صلاح للمسلمين ومنفعة إلا قدمته وآثرته على غيره من هواك، وخذ من أقويائهم لضعفائهم، ولا تحمل عليهم في شيء، وأنصف بعضهم من بعض بالحق بينهم، وقربهم، وتأنّ بهم.

وعجل الرحلة عني، والقدوم إلى دار ملكك بالعراق، وانظر هؤلاء القوم الذين أنت بساحتهم فلا تغفل عنهم في كل وقت، والخُرَّميّة فأغزهم ذا حزامة وصرامة وجلد، واكنفه بالأموال والجنود، فإن طالت مدتهم فتجرد لهم بمن معك من أنصارك وأوليائك، واعمل في ذلك عمل مقدِّم النية فيه، راجياً ثواب الله عليه.

ثم دعا المعتصم بعد ساعة حين اشتد الوجع وأحس بمجيء أمر الله، فقال: يا أبا إسحق، عليك عهد الله وميثاقه وذمة رسول الله ﷺ؛ لتقومن بحق الله في عباده، ولتؤثرن طاعة الله على معصيته؛ إذ أنا نقلتها من غيرك

إليك. قال: اللهم نعم.

قال: هؤلاء بنو عمك من ولد أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه، فأحسن صحبتهم، وتجاوز عن مسيئهم، واقبل من محسنهم، ولا تغفل صِلاتهم في كل سنة عند محلها؛ فإن حقوقهم تجب من وجوه شتى.

اتقوا الله ربكم حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، اتقوا الله واعملوا له، اتقوا الله في أموركم كلها، أستودعكم الله ونفسي، وأستغفر الله ما سلف مني؛ إنه كان غفاراً؛ فإنه ليعلم كيف ندمي على ذنوبي، فعليه توكلت من عظيمها، وإليه أنيب، ولا قوة إلا بالله، حسبي الله ونِعْم الوكيل، وصلى الله على محمد نبي الهدى والرحمة.

المعتصم

الخليفة أبو إسحاق محمد بن الرشيد هارون بن محمد المهدي بن المنصور العباسي. امتحن الناس بخلق القرآن. (ت ٢٢٧). «السِّيَر».

قال الخطيب[(١)]: أتته المنية على غفلة، فقيل: إنه قال في حُمّاهُ التي مات فيها: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾[(٢)].

وقال ابن أبي الدنيا: سمعت علي بن الجعد قال: لما احتُضِر المعتصم جعل يقول: ذهبت الحيل فليس حيلة. حتى صَمَتَ[(٣)].

قال: وحدثني شيخ من قريش؛ أنه جعل يقول: أُؤخَذُ من بين هذا

---

(١) «تاريخ بغداد» (٣ / ٣٤٦).

(٢) الأنعام: ٤٤.

(٣) «كتاب المحتضرين» (ص ٨٩)، و «تاريخ الإسلام» (١٦ / ٣٩٦ ـ ٣٩٧)، و «فوات الوفيات» (٤ / ٤٩)، وفيه: «قال: ذهبت الحيلة، ولم يزل يكررها حتى صمت».

الخلق[1].

قال: وحُدِّثْتُ أنه قال: لو علمت أن عمري هكذا قصير ما فعلت ما فعلت[2].

وقيل: إنه قال: اللهم إني أخافك من قِبَلي، ولا أخافك من قِبَلِك، وأرجوك من قِبَلك، ولا أرجوك من قِبَلي[3].

وعن القاسم بن زرزور قال: حدثني زنام الزامر قال: لما اعتل المعتصم علته التي مات فيها وجد يوماً إفاقة، فقال: هيئوا لي الزلال حتى أركب. فهيىء له، فركب وأنا معه، فمر بدجلة بإزاء منازله فقال: يا زنام. قلت: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: ازمر:

يا منزلاً لم تَبْل أطلاله ... حاشى لأطلالك أن تَبْلَى
والعيش أولى ما بكاه الفتى ... لا بد للمحزون أن يَسْلَى
لم أبك أطلالك لكنني ... بكيت عيشي فيك إذ وَلَّى

قال: فزمرته، وما زلت أردده وهو ينتحب ويبكي إلى أن أُخرج من الزلال، ثم توفي بعد خمسة أيام[4].

الواثق بالله

الخليفة أبو جعفر وأبو القاسم هارون بن المعتصم بالله أبي إسحاق

---

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ٩٨).
(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ٩٩).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٠ / ٣٠٦)، والناظر في «السير» يظهر له أنه قال ذلك عند موته، وروى مقولته هذه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٣ / ٣٤٦) في آخر ترجمته، ولم يصرح أن ذلك كان عند موته.
(٤) «المنتظم» (٦ / ٣٥٨ـ٣٥٩).

محمد، بن هارون الرشيد، بن المهدي محمد، بن المنصور، العباسي البغدادي. (ت ٢٣٢). «السِّيَر».

قال زُرْقان بن أبي دُواد: لما احتُضِر الواثق رَدَّدَ هذين البيتين:

المَوْتُ فيه جميعُ الخَلْقِ مُشْتَرِكُ ... لا سُوقَةٌ منهم يَبْقَى ولا مَلِكُ

ما ضَرَّ أهلَ قَلِيلٍ في تَفَرُّقِهِم[١] ... ولَيْسَ يُغني عن الأمْلاكِ ما مَلكوا

ثم أمر بالبسط فطُوِيَتْ، وألصق خدّه بالتراب، وجعل يقول:

يا من لا يزول ملكه، ارحم من قد زال ملكه[٢].

المُنْتَصِر

الخليفة أمير المؤمنين، أبو جعفر وأبو عبد الله، محمد المنتصر بالله ابن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بن هارون الرشيد، الهاشمي العباسي. (ت ٢٤٨). «السِّيَر» و «تاريخ الإسلام».

جاء عنه أنه قال في مرضه: ذهبتْ يا أماه مني الدنيا والآخرة، عاجلتُ أبي فعُوجِلْتُ.

قال الذهبي: وكان يُتَّهم بقتل أبيه[٣].

وقال جعفر بن عبد الواحد: دخلت على المنتصر بالله، فقال لي: يا جعفر، لقد عُوجِلتُ فما أسمع بأُذُنَيّ ولا أُبصر بِعَيْنَيّ. وكان في مرضه الذي مات فيه[٤].

---

(١) في «فوات الوفيات» (٤ / ٢٣٠): «تفاقرهم»، وفي «تاريخ بغداد» (١٤ / ١٩): «تنافرهم»، ولعل أقربها ما في «الفوات».

(٢) «السير» (١٠ / ٣١٣).

(٣) «تاريخ الإسلام» (١٨ / ٤١٨).

(٤) «تاريخ بغداد» (٢ / ١٢١).

وعن عبد الله بن هارون بن معمر التغلبي قال: جعل المنتصر يقول وهو يكيد بنفسه[1]، وقائل يقول: لا بأس عليك يا أمير المؤمنين، فقال: ليس إلا هذا، لقد ذهبت الدنيا والآخرة[2].

وقال عند الموت[3]:

فما مُتِّعَتْ نَفْسي بدنيا أصَبْتُها ... ولكنْ إلى الربِّ الكريمِ أصيرُ

وما كان ما قَدَّمْتُه رأيَ فلتةٍ ... ولكنْ بفتياها أشار مُشِيرُ

المستعين بالله

الخليفة، أبو العباس أحمد بن المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد ابن المهدي، العباسي، أخو الواثق والمتوكل. (ت ٢٥٢). «السِّيَر».

قال الذهبي[4]: يقال: بعث المعتز إليه سعيداً الحاجب، فلما رآه المستعين تَيَقَّنَ التَّلَفَ، وبكى وقال: ذهبت نفسي. فأخذ سعيد يُقَنِّعُه بالسوط، ثم أضجعه وقعد على صدره وذبحه.

وقال الصولي: بعث المعتز أحمدَ بن طولون إلى واسط لقتل المستعين، فقال: والله لا أقتل أولاد الخلفاء. فبعث سعيداً الحاجب، فما متع الله المعتز، بل عوجل بالخلع والقتل، جزاءً وفاقاً.

المعتضد بالله

الخليفة أمير المؤمنين، أبو العباس أحمد بن الموفق بالله ولي العهد

---

(١) أي: وهو يقاسي مشقة النَّزْع.

(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٠٠).

(٣) «فوات الوفيات» (٣/ ٣١٨).

(٤) «السير» (١٢/ ٥٠).

أبي أحمد طلحة بن المتوكل جعفر بن المعتصم محمد بن الرشيد الهاشمي العباسي، كان ملكاً مهيباً شجاعاً جباراً شديد الوطأة، من رجال العالَم، يُقْدِم على الأسد وحده. (ت ٢٨٩). «السِّيَر» و «تاريخ الإسلام».

عن وصيف الخادم قال: سمعت المعتضد يقول عند موته:

تَمَتَّعْ مِنَ الدنيا فإنك لا تبقى ... وخُذْ صَفْوَها ما إن صَفَتْ ودَعِ الرَّنْقا

ولا تأْمَنَنَّ الدَّهْرَ إنّي أمِنْتُهُ ... فلم يُبْقِ لي حالاً ولم يَرْعَ لي حقّا

قتلتُ صناديد الرجال فلم أدَعْ ... عدوّاً ولم أُمْهِلْ على ظِنّة خلقا

وأخلَيْتُ دور الملك من كل بازلٍ ... وشتّتُّهُمْ غَرْباً ومزّقْتُهُمْ شَرْقا

فلما بَلَغْتُ النَّجْمَ عِزّاً ورفعةً ... ودانتْ رقابُ الخَلْقِ أجْمَعُ لي رِقّا

رماني الرَّدَى سَهْماً فأخْمَدَ جَمْرَتي ... فها أنا ذا في حُفْرَتي عاجِلاً مُلْقى

فأفْسَدْتُ ديني ودنياي سفاهةً ... فمن ذا الذي مني بمَصْرَعِهِ أشْقى

فيا لَيْتَ شِعْري بعد موتي ما أرى ... إلى نِعْمَةِ اللّهِ أم نارَهُ ألْقى[1]

آدم بن أبي إياس

الإمام الحافظ القدوة، شيخ الشام، أبو الحسن الخراساني المَرُّوذي، ثم البغدادي، ثم العسقلاني، محدث عسقلان. واسم أبيه ناهية بن شعيب، وقيل: عبد الرحمن. (ت ٢٢٠). «السِّيَر».

عن أبي علي المقدسي قال: لما حضرت آدمَ بن أبي إياس الوفاةُ ختم القرآن وهو مسَجَّى، ثم قال: بِحُبِّي لك إلا رفَقتَ [بي]، لهذا المصرع كنت

---

(١) «تاريخ الإسلام» (٢١ / ٦٧ ـ ٦٨)، و «البداية والنهاية» (١١ / ٩٤)، وفيها: «وحين حضرت المعتضد الوفاةُ أنشد لنفسه»، وذكر الأبيات.

أُؤَمِّلُكَ، لهذا اليوم كنت أرجوك. ثم قال: لا إله إلا الله. ثم قضى[1].

محمود الوَرّاق

ابن الحسن البغدادي، الشاعر المشهور، أكثر من الشِّعر الحسن في المواعظ والحِكَم. (ت ٢٢١، وقيل غير ذلك). «السِّيَر» و «تاريخ الإسلام» و «المنتظم».

قال ابن عبد البَرّ[2]: يروى أن آخر بيت قاله محمود الوَرّاق في مرضه الذي مات فيه:

إنَّ ظَنّي بحسنِ عَفْوِكَ يا ربِّ ... جَميلٌ وأنت مالِكُ أمري

صُنْتُ سِرّي عن القرابة والأهلِ ... جميعاً وأنت مَوضع سري

ثقةً بالذي لديكَ مِن السّرّ ... فلا تُخْزني بهِ يومَ نَشْري

يومَ هَتْكِ السُّتورِ عَن حُجُب الغيب ... فلا تَهتِكنّ للناسِ سِتري

المدائني

العلامة الحافظ الصادق، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني الأخباري. صاحب المصنفات المشهورة. كان عجباً في معرفة السير والمغازي والأنساب وأيام العرب، مصَدَّقاً فيما ينقله، عالي الإسناد. (ت ٢٢٤ أو ٢٢٥). «تاريخ الإسلام» و «السِّيَر».

ذكر الحارث بن أسامة أنه سرد الصوم قبل موته بثلاث سنين، وأنه قد

(١) «تهذيب الكمال» (٢/ ٣٠٥)، و «تاريخ بغداد» (٧/ ٢٩).

(٢) «بهجة المجالس» (٣/ ٣٧٧).

قارب مئة سنة، فقيل له في مرضه: ما تشتهي؟ فقال: أشتهي أن أعيش[1].

بشر الحافي

بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء، الإمام العالم المحدث الزاهد الرباني القدوة، شيخ الإسلام، أبو نصر المَرْوَزي ثم البغدادي، المشهور بالحافي، ابن عم المحدث علي بن خشرم. كان رأساً في الورع والإخلاص. مات يوم الجمعة سنة (٢٢٧). «السِّيَر».

عن محمد بن نعيم بن الهيصم قال: دخلت على بشر في علته فقلت: عظني، فقال: إن في هذه الدار نملة تجمع الحب في الصيف لتأكله في الشتاء، فلما كان يوم أخذت حبة في فمها، فجاء عصفور فأخذها والحبة، فلا ما جمعت أكلت، ولا ما أمّلت نالت.

قلت له: زدني. قال: ما تقول فيمن القبر مسكنه، والصراط جوازه، والقيامة موقفه، والله مسائله، فلا يعلم إلى الجنة يصير فيهنَّى، أو إلى نار فيعزَّى، فواطول حزناه! وواعظم مصيبتاه! زاد البكاء فلا عزاء، واشتد الخوف فلا أمن[2].

وقيل لبشر بن الحارث لما احتُضِر ـ وكان يشق عليه ـ: كأنك تحب الحياة؟! فقال: القدوم على الله شديد[3].

***

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٢ / ٥٥)، و «معجم الأدباء» (١٤ / ١٢٥)، و «تاريخ الإسلام» (١٦ / ٢٩٠)، وفيهما أنه سرد الصوم قبل موته بثلاثين سنة.

(٢) «تاريخ بغداد» (٣ / ٣٢١).

(٣) «العاقبة» (ص ٨٨)، و«الإحياء» (٤ / ٤٨٣).

أحمد بن نصر الخزاعي

الإمام الكبير الشهيد، أبو عبد الله. كان جده أحد نقباء الدولة العباسية، وكان أحمد أماراً بالمعروف، قوالاً بالحق. (ت ٢٣١). «السِّيَر».

قال الصولي: كان هو[١] وسهل بن سلامة ـ حين كان المأمون بخراسان ـ بايعا الناس على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قدم المأمون فبايعه سهل، ولزم ابن نصر بيته، ثم تحرك في آخر أيام الواثق، واجتمع إليه خلق يأمرون بالمعروف. قال: إلى أن ملكوا بغداد، وتعدى رجلان مُوسران من أصحابه، فبذلا مالاً، وعزما على الوثوب في سنة إحدى وثلاثين، فنم الخبر إلى نائب بغداد إسحق بن إبراهيم، فأخذ أحمد وصاحبيه وجماعة، ووجد في منزل أحدهما أعلاماً، وضرب خادماً لأحمد، فأقر بأن هؤلاء كانوا يأتون أحمد ليلاً، ويخبرونه بما عملوا. فحملوا إلى سامَرَّاء مقيدين، فجلس الواثق لهم، وقال لأحمد: دع ما أُخِذْتَ له، ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله. قال: أفمخلوق هو؟ قال: كلام الله. قال: فترى ربك في القيامة؟ قال: كذا جاءت الرواية. قال: ويحك يُرى كما يُرى المحدود المتجسم، ويَحْوِيه مكان، ويَحْصُره ناظر؟ أنا كفرت بمن هذه صفته. ما تقولون فيه؟ فقال قاضي الجانب الغربي: هو حلال الدم. ووافقه فقهاء، فأظهر أحمد بن أبي دُوَاد أنه كاره لقتله. وقال: شيخ مختل، تغير عقله، يؤخر. قال الواثق: ما أراه إلا مؤدياً لكفره قائماً بما يعتقده، ودعا بالصَّمْصامة وقام، وقال: أحتسب خُطاي إلى هذا الكافر. فضرب عنقه بعد أن مدّوا له رأسَه بحبل وهو مقيد، ونصب رأسه بالجانب الشرقي، وتُتُبِّع أصحابه فسجنوا.

---

(١) يعني: أحمد بن نصر الخزاعي.

قال الحسن بن محمد الحربي: سمعت جعفر بن محمد الصائغ يقول: رأيت أحمد بن نصر حين قتل قال رأسُه: لا إله إلا الله[1].

ابن الزَّيَّات

الوزير الأديب العلامة، أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن الزيات، كان والده زياتاً سوقياً، فساد هذا بالأدب وفنونه، وبراعة النظم والنثر، ووزر للمعتصم وللواثق، وكان معادياً لابن أبي دُوَاد، فأغرى ابن أبي دُوَاد المتوكل حتى صادر ابن الزيات وعذبه، وكان يقول بخلق القرآن. (ت ٢٣٣). «السِّيَر».

قال ابن خَلِّكان[2]: كان ابن الزيّات قد اتخذ تنوراً من حديد، وأطراف مساميره المحددة إلى الداخل، وهي قائمة مثل رؤوس المسالّ، في أيام وزارته، وكان يعذب فيه المُصَادَرِين وأرباب الدواوين والمطلوبين بالأموال، فكيفما انقلب واحد منهم أو تحرك من حرارة العقوبة تدخل المسامير في جسمه، فيجدون لذلك أشد الألم، ولم يسبقه أحد إلى هذه المعاقبة، وكان إذا قال له أحد منهم: أيها الوزير ارحمني. فيقول له: الرحمة خَوَر في الطبيعة. فلما اعتقله المتوكل أمر بإدخاله في التنور، وقيده بخمسة عشر رطلاً من الحديد، فقال: يا أمير المؤمنين ارحمني. فقال له: الرحمة خَوَر في الطبيعة. كما كان يقول للناس.

فطلب دواة وبطاقة فأُحضرتا إليه، فكتب:

هي السبيلُ فَمِنْ يومٍ إلى يومِ ... كأنه ما تُريك العَيْنُ في النومِ

---

(١) «السير» (١١ / ١٦٧ ـ ١٦٨).

(٢) «وفيات الأعيان» (٥ / ١٠٠ ـ ١٠١).

لا تَجْـزَعَـنَّ رُوَيْـداً إنهـا دُوَلٌ دُنْيـا تَنَقَّـلُ مِـنْ قَـوْمٍ إلـى قَـوْمِ

وسيّرها إلى المتوكل، فاشتغل عنها ولم يقف عليها إلا في الغد، فلما قرأها المتوكل أمر بإخراجه، فجاؤوا إليه فوجدوه ميتاً، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومئتين، وكانت مدة إقامته في التنور أربعين يوماً، وكان القبض عليه لثمان مضين من صفر من السنة المذكورة.

ولما مات وُجد في التنور مكتوب بخطه، قد خطه بالفحم على جانب التنور؛ يقول:

مَـنْ لـه عَهْـدٌ بنـوم يُـرْشِـدِ الصَـبَّ إلَيْـهِ
رحـم اللَّـهُ رحيمـاً دلّ عَيْنَـيَّ علَيْـهِ
سَهِـرَتْ عَيْنِـي ونـامَـتْ عَيْـنُ مَـنْ هُنْـتُ لَـدَيْـهِ

وقال أحمد الأحول: لما قبض على ابن الزّيّات تلطفتُ إلى أن وصلت إليه، فرأيته في حديد ثقيل، فقلت له: يعز علي ما أرى، فقال:

سَـلْ دِيـارَ الحـيِّ مَـنْ غَيَّـرَهـا وعَفَـاهـا ومَحـا مَنْظَـرَهـا
وَهِـيَ الـدُّنْيـا إذا مـا أَقْبَلَـتْ صَيَّـرَتْ مَعْـروفهـا مُنْكَـرَهـا
إنَّمـا الـدُّنْيـا كظِـلٌّ مـائِـلٍ نَحْمَـدُ اللَّـهَ كـذا قَـدَّرَهـا

سليمان بن داود الشَّاذَكُوني

العالم الحافظ البارع، أبو أيوب سليمان بن داود المِنْقري البصري، أحد الهلكى. عن البخاري قال: هو عندي أضعف من كل ضعيف. وعن صالح جزرة: كان يكذب في الحديث. (ت ٢٣٤). «السِّيَر».

قال الذهبي[(١)]: قيل إنه لما احتُضِر قال: اللهم إني أعتذر إليك، غير

(١) «تاريخ الإسلام» (١٧ / ١٧٨).

أني ما قذفت مُحْصَنَة ولا دَلَّسْتُ حديثاً.

أحمد بن خِضْرَوَيْه

الزاهد الكبير، الرباني الشهير، أبو حامد البلخي، من كبار المشايخ بخراسان. (ت ٢٤٠). «تاريخ الإسلام» و «السِّيَر».

قال محمد بن حامد: كنت جالساً عند أحمد بن خضرويه وهو في النزع، وكان قد أتى عليه خمس وتسعون سنة، فسئل عن مسألة، فدمعت عيناه وقال: يا بني، باب كنت أدقه خمساً وتسعين سنة هو ذا يفتح لي الساعة، لا أدري أيفتح لي بالسعادة أو بالشقاوة، أنَّى لي أوان الجواب؟!

قال: وكان رَكِبَه مِنَ الدَّيْنِ سبعمئة دينار، وحضره غرماؤه، فنظر إليهم فقال: اللهم إنك جعلت الرهون وثيقة لأرباب الأموال، وأنت تأخذ عنهم وثيقتهم، فأدّ عني. قال: فدق داق الباب وقال: هذه دار أحمد بن خضرويه؟ فقالوا: نعم. قال: أين غرماؤه؟ قال: فخرجوا فقضى عنه، ثم خرجت روحه[١].

أبو حُكَيْمة الكاتب

راشد بن إسحق بن راشد، أبو محمد الكاتب الأنباري، يلقب أبا حُكَيْمة، شاعر أديب، أفنى عامة شعره في مراثي متاعه[٢]. (ت بعد ٢٤٠). «فوات الوفيات».

---

(١) «حلية الأولياء» (١٠ / ٤٢).

(٢) قلت: بئس ما فعل، وما أرذله من شعر، ولا أدري ما يعذر به النبيل إذا نقل مثل هذه الأشعار!

قال الكتبي[1]: قال في مرضه الذي مات فيه وهو بطريق مكة:

أطبقتَ للنَّوم جَفْناً ليس ينطبق — وبتَّ والدمعُ في خَدَّيك يَسْتَبِقُ
لـم يَسْتَـرِحْ مَـنْ لـه عيـنٌ مـؤرَّقَـةٌ — وكيف يَعْرِفُ طَعْمَ الرَّاحَةِ الأرِقُ
ودِدْتُ لو تمَّ لي حَجّي ففزت به — مـا كـلُّ مـا تَشْتَهيـه النفسُ يَتَّفِـقُ

محمد بن أسلم

ابن سالم بن يزيد، الإمام الحافظ الرباني، شيخ الإسلام، أبو الحسن الكندي، مولاهم الخراساني الطوسي. (ت ٢٤٢). «السِّيَر».

قال محمد بن القاسم: ودخلت على ابن أسلم قبل موته بأربعة أيام بنيسابور، فقال: يا أبا عبد الله تعال أبشرك بما صنع الله بأخيك من الخير، قد نزل بي الموت وقد مَنَّ الله علي أنه ليس عندي درهم يحاسبني الله عليه، وقد علم الله ضعفي وأني لا أطيق الحساب، فلم يدع عندي شيئاً يحاسبني به الله.

ثم قال: أغلق الباب، ولا تأذن لأحد علي حتى أموت، وتدفنون كتبي، واعلم أني أخرج من الدنيا وليس أدع ميراثاً غير كتبي وكسائي ولبدي وإنائي الذي أتوضأ منه وكتبي هذه، فلا تكلفوا الناس مؤنة.

وكانت معه صرة فيها نحو ثلاثين درهماً، فقال: هذا لابني أهداه إليه قريب له، ولا أعلم شيئاً أحل لي منه، لأن النبي ﷺ قال: «أَنْتَ وَمَالُكَ لأَبِيكَ». وقال: «أطيب ما يأكل الرجل من كسبه، وولده من كسبه»[2].

---

(١) «فوات الوفيات» (٢ / ١٩).

(٢) «أَنْتَ وَمَالُكَ لأَبِيكَ»، و«إِنَّ مِنْ أَطْيَبِ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَوَلَدُهُ مِنْ كَسْبِهِ» حديثان صححهما شيخنا الألباني رحمه الله، والأول في «سنن ابن ماجه» (٢٢٩١) وغيره، والثاني في «سنن أبي داود» (٣٥٢٨)، و «سنن ابن ماجه» (٢١٣٧)، وغيرهما.

فكفنوني فيها، فإن أصبتم لي بعشرة دراهم ما يستر عورتي فلا تشتروا بخمسة عشر، وابسطوا على جنازتي لبدي، وغطوا على جنازتي كسائي، ولا تكلفوا أحداً ليأتي جنازتي، وتصدقوا بإنائي، أعطوه مسكيناً يتوضأ منه. ثم مات في اليوم الرابع.

فعجبت أن قال لي ذلك بيني وبينه، فلما أخرجت جنازته جعل النساء يقلن من فوق السطوح: يا أيها الناس، هذا العالم الذي خرج من الدنيا، وهذا ميراثه الذي على جنازته، ليس مثل علمائنا هؤلاء الذين هم عبيد بطونهم، يجلس أحدهم للعلم سنتين أو ثلاثاً فيشتري الضياع ويستفيد المال[١].

وقال أحمد بن سلمة: مرض محمد بن أسلم في بيت رجل من أهل طوس، فقال له: لا تفارقني الليلَ، فإني يأتيني أمر الله قبل أن أصبح، فإذا مُتّ فلا تنتظر بي أحداً، واغسلني للوقت، وجهزني. قال: فمات في نصف الليل[٢].

ذو النون المصري

الزاهد، شيخ الديار المصرية، ثوبان بن إبراهيم، وقيل: فيض بن أحمد، وقيل: فيض بن إبراهيم، النوبي الإخميمي، يكنى أبا الفيض، ويقال: أبا الفياض. قال ابن يونس: كان عالماً فصيحاً حكيماً. (ت ٢٤٥). «السِّيَر».

قال فتح بن شَخْرَف: دخلت على ذي النون عند موته فقلت له: كيف

---

(١) «حلية الأولياء» (٩/ ٢٤١).

(٢) «السير» (١٢/ ٢٠٤).

تجدك؟ فقال:

أموتُ وما ماتتْ إليك صبابتي ... ولا رويتْ من صِدْق حبك أوطاري
مُناي المُنى كل المنى أنت لي منى ... وأنت الغِنى كل الغِنى عند اقتداري
وأنت مدى سُؤْلي وغاية رغبتي ... وموضع آمالي ومكنون إضماري
وأنَرْتَ الهُدى للمهتدين ولم يكن ... من العلم في أيديهم عُشْر مِعْشارِ
ألَسْتَ دليل القوم إن هم تحيروا ... وعصمة من أمسى على جُرُفٍ هارِ

قال الفتح بن شَخْرَف: فلما ثقل قلت له: كيف تجدك؟ فقال:

وما لي سوى الإطراق والصمت حيلة ... ووضعي على خدي يدي عند تذكاري
وإن طَرَقَتْني عَبْرَةٌ بعد عَبْرةٍ ... تجرَّعْتُها حتى إذا عِيلَ تَصْباري
أفضت دموعاً جمة مستهِلَّةً ... أُطَفِّي بها حراً تَضَمَّنُ أسراري
فيا مُنْتَهى سُؤْل المحبين كلّهم ... أبِحْنِي محل الأُنس مع كل زَوّارِ
ولستُ أبالي فائتاً بعد فائتٍ ... إذ كنتَ في الدارين يا واحدي جارِ[1]

أحمد بن أبي الحواري

واسم أبيه عبد الله بن ميمون، الإمام الحافظ القدوة، شيخ أهل الشام، أبو الحسن الثعلبي[2] الغطفاني الدمشقي الزاهد، أحد الأعلام، أصله من الكوفة. (ت ٢٤٦). «السِّيَر».

قال أبو سليمان الربعي[3]: حدثنا الحسن بن حبيب قال: قال أبي:

---

(١) «صفة الصفوة» (٤ / ٣٢٠ ـ ٣٢١) مختصراً.
(٢) وقيل: «التغلبي».
(٣) «وصايا العلماء» (ص ٩٧).

دخلت على أحمد بن أبي الحواري ـ وما رأيت بعيني مثل أحمد بن أبي الحواري ـ وهو في الموت، وقد صار مثل الخيط، وقد أخرج يده من تحت الإزار وهو يبكي، وقد شالها إلى السماء وهو يقول: واخطراه! وامخاطرتاه!

علي بن الجهم

ابن بدر، أبو الحسن السامي الخراساني الأصل، البغدادي، الشاعر المشهور، صاحب الديوان المعروف. قيل: كان يرجع إلى دين وخير وبراعة في ضروب الشعر، وله اختصاص زائد بالمتوكل، وكان ناصبياً منحرفاً عن علي عليه السلام، وقد ذكر المسعودي عنه أنه كان يَسُبّ أبا الذي سماه علياً بغضاً منه لعلي رضي الله عنه ولا رضي عن باغضه. «تاريخ الإسلام». (ت ٢٤٩). «المنتظم».

قال الخطيب[(١)]: قرأت في كتاب عمر بن محمد بن الحسن البصري عن أبي بكر الصولي قال: حدثني علي بن محمد بن نصر قال: حدثني أحمد بن حمدون قال: ورد على المستعين في شعبان سنة تسع وأربعين (يعني ومئتين) كتاب صاحب البريد بحلب؛ أن علي بن الجهم خرج من حلب متوجهاً إلى الغزو، فخرجت عليه وعلى جماعة معه خيل من كلب، فقاتلهم قتالاً شديداً، ولحقه الناس وهو جريح بآخر رمق، فكان مما قال:

أسال بالصبح سَيْلٌ أم زِيد في الليل ليلُ
يا إخوتي بدُجَيْلٍ وأين منِّي دجيلُ

قال: وكان منزله ببغداد في شارع الدجيل، وأنه وجدت معه رقعة

(١) «تاريخ بغداد» (١١ / ٣٦٩).

حين نزعت ثيابه بعد موته، فيها:

يا رحمتا للغريب في البلد النا زح ماذا بنفسه صنعا
فارق أحبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده ولا انتفعا

نصر بن علي

ابن نصر بن علي بن صُهبان بن أُبَيٍّ، الحافظ العلامة الثقة، أبو عَمرو الأزدي الجهضمي البصري الصغير، وهو حفيد الجهضمي الكبير[١]. (ت ٢٥٠). «السِّيَر».

قال أبو بكر بن أبي داود: كان المستعين بالله بعث إلى نصر بن علي يُشْخِصُه للقضاء، فدعاه عبد الملك أمير البصرة فأمره بذلك، فقال: أرجعُ فأستخير الله عز وجل، فرجع إلى بيته نصف النهار، فصلى ركعتين وقال:

اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك.

فنام، فأنبهوه فإذا هو ميت[٢].

الجاحظ

العلامة المتبحر ذو الفنون، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري المعتزلي، صاحب التصانيف. كان من بحور العلم، وتصانيفه كثيرة جداً. قيل: لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته، حتى إنه كان يكتري دكاكين الكُتْبِيِّين ويبيت فيها للمطالعة، وكان باقعة في قوة الحفظ. (ت ٢٥٠ أو ٢٥٥). «السِّيَر».

---

(١) ترجمة الجهضمي الكبير في «السير» (١٢ / ١٣٦)، وترجمة الصغير قبله.

(٢) «تاريخ بغداد» (١٣ / ٢٨٩) و «تاريخ الإسلام» (١٨ / ٥٠٦).

عن المبرد قال[1]: دخلت على الجاحظ في آخر أيامه وهو عليل، فقلت له: كيف أنت؟ قال: كيف يكون من نصفه مفلوج، فلو نشر بالمناشير ما أحس به، ونصفه الآخر منقرس، فلو طارت الذبابة بقربه لآلمته، والآفة في جميع هذا أني جُزت التسعين. ثم أنشدنا بقول:

أترجو أن تكون وأنت شيخٌ ... كما قد كنتَ أيام الشباب

لقد كَذَّبْتَ نفسك ليس ثوبٌ ... دريس كالجديد من الثياب

وقال في مرضه للطبيب: اصطَلَحَتِ الأضداد على جسدي، إن أكلتُ بارداً أخذ برجلي، وإن أكلتُ حارّاً أخذ برأسي[2].

السَّرِي بن المُغَلِّس السَّقَطي

الإمام القدوة، شيخ الإسلام، أبو الحسن البغدادي، خال الجنيد وأستاذه. (ت ٢٥٣). «السِّيَر» و«النجوم الزاهرة».

قال الجنيد: دخلت عليه وهو يجود بنفسه، فجلست عند رأسه، فبكيت وسقط من دموعي على خده، ففتح عينيه ونظر إلي، فقلت له: أوصني. فقال:

لا تصحب الأشرار، ولا تشتغل عن الله بمجالسة الأخيار[3].

الدّارمي

الإمام العلامة الفقيه الحافظ الثَّبْتُ، أبو جعفر، أحمد بن سعيد بن

---

(١) «المنتظم» (٧ / ٨٣).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١١ / ٥٢٧).

(٣) «حلية الأولياء» (١٠ / ١٢٥).

صخر بن سليمان، الدارمي السَّرَخْسي. (ت ٢٥٣). «السِّيَر».

قال أبو عَمرو المستملي: دخلنا عليه في مرضه، فأوصى بعشرة آلاف درهم وبِغَلَّةٍ يُتصدق بها، وقال: إن مُتُّ فرقيقي: عَنبر وفتح وحمدان وعَلاّن أحرار لوجه الله(١).

مُعَلّى بن أيوب

أبو العلاء، كاتب المتوكل على الله، كان جليل القدر، كثير الأدب، جيد الرأي، من نبلاء الرجال. (ت ٢٥٥). «تاريخ الإسلام».

قال الصُّولي: لما احتُضِر قال لولده: أَجروا على مَن كنت أُجري عليه. فعدّوهم فإذا هم سبعة آلاف إنسان من الضعفاء وذوي البيوتات. ذكره ابن النجار(٢).

البُخَاري

الإمام العلم الحافظ، حبر الإسلام، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه، الجُعْفي مولاهم البخاري، صاحب الصحيح، إمام هذا الشأن، والمقتدى به فيه، والمعول على كتابه بين أهل الإسلام، كان من أوعية العلم، يتوقد ذكاءً، ولم يخلف بعده مثله، سيرته عظيمة، ومناقبه غزيرة. (ت ٢٥٦).

قال ابن عدي: سمعت عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي يقول: جاء محمد بن إسماعيل إلى خَرْتَنْك (قرية على فرسخين من

---

(١) «السير» (١٢ / ٢٣٤).

(٢) انظر: «تاريخ الإسلام» (١٩ / ٣٥٣).

سمرقند)، وكان له بها أقرباء، فنزل عندهم، فسمعته ليلة يدعو وقد فرغ من صلاة الليل: اللهم، إنه قد ضاقتْ عليَّ الأرض بما رَحُبَتْ؛ فاقبضني إليك. فما تم الشهر حتى مات[1].

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: سمعت أبا منصور غالب بن جبريل (وهو الذي نزل عليه أبو عبد الله) يقول: إنه أقام عندنا أياماً، فمرض واشتد به المرض، حتى وجّه رسولاً إلى مدينة سمرقند في إخراج محمد، فلما وافى تهيأ للركوب، فلبس خُفَّيه وتعمم، فلما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها وأنا آخذ بعضده، ورجل أخذ معي يقوده إلى الدابة ليركبها؛ فقال رحمه الله: أرسلوني؛ فقد ضعفتُ. فدعا بدعوات ثم اضطجع فقضى رحمه الله، فسال منه العرق شيء لا يوصف، فما سكن منه العرق إلى أن أدرجناه في ثيابه.

وكان فيما قال لنا وأوصى إلينا: أن كفنوني في ثلاثة أثواب بيض، ليس فيها قميص ولا عمامة. ففعلنا ذلك، فلما دفناه فاح من تراب قبره رائحةُ غالية أطيب من المسك، فدام ذلك أياماً[2].

أبو زُرْعة الرازي

الإمام، سيد الحفاظ، عُبَيْد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فَرُّوخ، محدث الرَّيِّ، أبو زرعة القرشي المخزومي، مولاهم الرازي، كان من أفراد العالم ذكاءً وحفظاً وديناً وفضلاً. (ت ٢٦٤). «السِّيَر» و «تاريخ الإسلام».

قال ابن أبي حاتم[3]: سمعت أحمد بن إسماعيل ابن عم أبي زُرْعة

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٢ / ٤٦٦).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٢ / ٤٦٦ ـ ٤٦٧). وانظر: آخر «مقدمة الفتح».

(٣) «تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل» (ص ٣٤٦).

يقول: سمعت أبا زرعة يقول في مرضه الذي مات فيه:

اللهم إني أشتاق إلى رؤيتك، فإن قال لي: بأي عمل اشتقت إلي؟ قلت: برحمتك يا رب.

وقال أبو بكر محمد بن عبد الله بن شاذان الرازي (قال الذهبي(١): وليس ثقة): سمعت أبا جعفر محمد بن علي بن التستري وَرّاق أبي زُرْعة يقول: حَضَرْنا أبا زرعة بماشهران، وكان في السَّوْق، وعنده أبو حاتم ومحمد بن مسلم والمنذر بن شاذان وجماعة من العلماء، فذكروا حديث التلقين وقوله ﷺ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»(٢). قال: فاستحيوا من أبي زُرْعة وهابوه أن يلقنوه. فقالوا: تعالوا نذكر الحديث. فقال محمد بن مسلم: حدثنا الضحاك بن مخلد عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح. وجعل يقول ولم يجاوز، وقال أبو حاتم: حدثنا بُنْدار حدثنا أبو عاصم عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح، ولم يجاوز، والباقون سكتوا، فقال أبو زُرْعة وهو في السَّوْق: حدثنا بُنْدار؛ حدثنا أبو عاصم؛ حدثنا عبد الحميد ابن جعفر، عن صالح بن أبي عريب، عن كثير بن مرة الحضرمي، عن معاذ ابن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ»(٣). وتوفي رحمه الله(٤).

قال الذهبي(٥): رواها ابن أبي حاتم(٦) بخلاف هذا، فقال: سمعت أبي يقول: مات أبو زرعة مطعوناً مبطوناً يعرق جبينه في النزع، فقلت

(١) «تاريخ الإسلام» (٢٠ / ١٣١). ورواها بإسناد آخر في «السِّيَر» (١٣ / ٨٥).

(٢) أخرجه مسلم (٩١٦ و٩١٧) وغيره.

(٣) أخرجه أبو داود (٣١١٦) وغيره، وحسنه شيخنا رحمه الله في «الإرواء» (٦٨٧).

(٤) «تاريخ بغداد» (١٠ / ٣٣٥).

(٥) «تاريخ الإسلام» (٢٠ / ١٣١).

(٦) «تقدمة المعرفة» (٣٤٥ ـ ٣٤٦).

لمحمد بن مسلم: ما تحفظ في تلقين الموتى لا إله إلا الله؟ قال: يُروى عن معاذ. فرفع أبو زرعة رأسه وهو في النزع فقال: روى عبد الحميد بن جعفر، عن صالح بن أبي عريب، عن كثير بن مُرّة، عن معاذ، عن النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ». فصار في البيت ضجة ببكاء من حضر.

إبراهيم بن هانىء

النيسابوري، الإمام الحافظ القدوة العابد، أبو إسحق الأَرْغِياني الفقيه، نزيل بغداد. كان الإمام أحمد يغشاه، ويحترمه ويجله. (ت ٢٦٥). «السِّيَر».

قال أبو بكر النيسابوري: حضرتُ إبراهيم بن هانىء عند وفاته فجعل يقول لابنه إسحق: يا إسحق، ارفع الستر. قال: يا أبت، الستر مرفوع. قال: أنا عطشان. فجاءه بماء، قال: غابت الشمس؟ قال: لا. قال: فرُدَّه، ثم قال:

﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾[١]. ثم خرجت روحه[٢].

ابن الثلجي

الفقيه، أحد الأعلام الكبار، أبو عبد الله محمد بن شجاع البغدادي الحنفي، كان من بحور العلم. (ت ٢٦٦). «السِّيَر» و «تاريخ الإسلام».

قال أبو علي الخاقاني: سألت أحمد بن حنبل عنه فقال: مبتدع

(١) الصافات: ٦١.

(٢) «تاريخ بغداد» (٦ / ٢٠٦).

صاحب هوى. وقال القواريري: هو كافر. وقال الأزدي: كذاب، لا تحل الرواية عنه لسوء مذهبه وزيغه عن الدين. وقال غيره: وكان يوصف بالعبادة. وقال أبو عبد الله الهروي: ومات وهو في صلاة العصر ساجداً. «تهذيب التهذيب».

قال ابن عدي[1]: سمعت موسى بن القاسم بن الأشيب يقول: كان ابن الثلجي يقول: من كان الشافعي؟! إنما كان يصحب بربراً المغني. فلم يزل يقول هذا إلى أن حضرته الوفاة، فقال:

رحم الله أبا عبد الله الشافعي. وذكر علمه، وقال: قد رجعت عما كنت أقول فيه.

أحمد بن طولون

التركي، صاحب مصر، أبو العباس، كان بطلاً شجاعاً مقداماً مَهيباً سائساً جواداً مُمَدَّحاً من دهاة الملوك، وكان يرجع إلى عدل وبذل، لكنه جبار سَفَّاك للدماء. (ت٢٧٠). «السِّيَر».

قالت نَعْت أم أبي العشائر (زوجته): كنت جالسة بين يديه، والعصابة في يدي، وقد أيست منه، وأنا انتظره أن تقبض روحه فأشد لحييه، ولسانه ضعيف إلا أنه طلق إذا تكلم، ففتح عينيه ثم غلقهما ثم فتحهما، ونظر إلي نظر مَن رجع بصره إليه، فحمدت الله على ذلك.

ثم قال بصوت قوي ولسان طَلْق ذَرِب: يا رب، ارحم من جهل مقدار نفسه، فأبطره حلمك عنه.

ثم تشهد أحسن شهادة وأتمَّها، وقضى في آخر تشهده[2].

---

(١) «الكامل» (٦/ ٢٩١)، و «ميزان الاعتدال» (٣/ ٥٧٨).

(٢) «سيرة أحمد بن طولون» للبلوي (ص ٣٤٣). و «المنتظم» (٧/ ١٨٨).

حمدان الوراق

الحافظ المُجَوِّد العالم، أبو جعفر محمد بن علي بن عبد الله بن مهران البغدادي الوَرّاق، حمدان، العبد الصالح. (ت ٢٧٢). «السِّيَر».

قال أحمد بن المنادي: حمدان بن علي مشهود له بالصلاح والفضل، بلغنا أنه قال في عِلَّة الموت: ما لَصِقَ جلدي بجلد ذكر ولا أنثى قط[١].

ابن قتيبة الدِّيْنَوَرِي

العلامة الكبير، ذو الفنون، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينوري، وقيل: المروزي، الكاتب، صاحب التصانيف. كان رأساً في علم اللسان العربي والأخبار وأيام الناس. (ت ٢٧٦). «السِّيَر».

قال أحمد بن جعفر بن المنادي[٢]: مات ابن قتيبة فجأة، صاح صيحة سُمِعَتْ من بُعد، ثم أُغمي عليه ومات.

قال ابن المنادي: ثم إن أبا القاسم إبراهيم بن محمد بن أيوب بن بشير الصائغ أخبرني: أن ابن قتيبة أكل هريسة، فأصاب حرارة، ثم صاح صيحة شديدة، ثم أُغمي عليه إلى وقت صلاة الظهر، ثم اضطرب ساعة، ثم هدأ، فما زال يتشهد إلى وقت السحر، ثم مات.

الخَرّاز

شيخ الصوفية، أبو سعيد أحمد بن عيسى البغدادي الخرّاز. صحب سَرِيّاً السقطي وذا النون المصري. ويقال: إنه أول من تكلم في علم الفناء

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٣ / ٥٠).

(٢) «تاريخ بغداد» (١٠ / ١٧٠ ـ ١٧١).

والبقاء، فأيّ سَكْتَة فاتته؟! قصد خيراً، فولد أمراً كبيراً تشبث به كل اتحادي ضالٍ به. (ت ٢٧٧، وقيل غير ذلك). «السِّيَر» و«المنتظم».

قال رويم بن أحمد[١]: حضرت وفاة أبي سعيد وهو يقول في آخر نفسه:

حَنين قلوب العارفين إلى الذكر ... وتذكارهم وقت المناجاة للسرِّ
أُديـرتْ كـؤوسٌ للمنـايـا عليهـمُ ... فأغْفَوْا عن الدنيا كإغْفَاءِ ذي السُّكْرِ
فأجسامهم في الأرض تحيا بحبه ... وأرواحهم في الحُجْب تحت العُلا تسري
فمـا عَـرَّسـوا إلا بقـرب مليكهـم ... ولا عَرَّجوا عن مَسِّ بؤسٍ ولا ضُرِّ

إبراهيم بن إسحق الحربي

الشيخ الإمام الحافظ العلامة، شيخ الإسلام، أبو إسحق إبراهيم بن إسحق بن إبراهيم بن بشير، البغدادي الحربي، صاحب التصانيف. «السِّيَر».

كان إماماً في العلم، رأساً في الزهد، عارفاً بالفقه، بصيراً بالأحكام، حافظاً للحديث، مميِّزاً لعلله، قَيِّماً بالأدب، جمّاعاً للغة. (ت ٢٨٥). «تاريخ بغداد».

عن علي بن حسن البزاز قال[٢]: سمعت إبراهيم بن إسحق الحربي يقول وقد دخل عليه قوم يعودونه[٣] فقالوا: كيف تجدك يا أبا إسحق؟ قال:

---

(١) انظر: «طبقات الأولياء» (ص ٦٣).

(٢) «تاريخ بغداد» (٦ / ٣٩).

(٣) لم تصرح الرواية بأن ذلك كان في مرض موته، لكن ذكرها الخطيب في آخر ترجمته، وأيضاً سياق الترجمة يشير إلى أن ذلك كان مرض الموت، والله أعلم.

أجدني كما قال الشاعر:

دَبَّ فـيّ البـلاءُ سُفْـلاً وعُلْـوا   وأجـدنـي أذوبُ عُضْـواً فعُضْـوا
بَلِيَـتْ جِـدَّتـي بطـاعـة نفسـي   فتـذكـرتُ طـاعـة اللـه نِضْـوا

القاضي أبو خازم

الفقيه العلامة، قاضي القضاة، عبد الحميد بن عبد العزيز السَّكوني البصري، ثم البغدادي الحنفي. كان ثقة ديناً ورعاً عالماً، أحذق الناس بعمل المحاضر والسِّجلّات، بصيراً بالجبر والمقابلة، فارضاً، ذكياً، كامل العقل. (ت ٢٩٢). «السِّيَر».

قال الذهبي[(١)]: قيل: إن أبا خازم لما احتُضِر بكى، وجعل يقول: يا رب، مِنَ القضاء إلى القبر[(٢)]!

عبد الله بن المعتز بالله

محمد بن المتوكل جعفر بن المعتصم محمد بن الرشيد هارون بن المهدي، الأمير أبو العباس الهاشمي العباسي البغدادي الأديب، صاحب الشعر البديع، والنثر الفائق. (ت ٢٩٦). «السِّيَر».

عن أبي القاسم الكريزي قال: أنشدنا أحمد بن محمد بن عباس بن مهران لعبد الله بن المعتز؛ أنه قال في الليلة التي قتل فيها في صبيحتها[(٣)]:

يا نفس صَبْراً لعلّ الخير عُقْباكِ   خانَتْكِ مِنْ بعد طول الأمن دُنْياكِ

---

(١) «السير» (١٣ / ٥٤١).

(٢) فقد كان قاضياً، كما تقدم.

(٣) «تاريخ بغداد» (١٠ / ١٠٠).

مرَّت بنا سَحَراً طَيْرٌ فقلتُ لها   طوباكِ يا لَيْتَني إيّاكِ طوباكِ
إن كان قَصْدكِ شَرْقاً فالسلامَ على   شاطي الصَّراةِ أبْلِغي إنْ كان مَسْراكِ
مِنْ موثَقٍ بالمنايا لا فكاك له   يبكي الدِّماءَ على إلْفٍ له باكي
فرُبَّ آمنةٍ حانتْ منيَّتُها   ورُبَّ مفلَّتةٍ من بَيْنِ أشْراكِ
أظنّه آخِرَ الأيّامِ من عُمُري   وأَوْشَكَ اليومَ أن يبكيَ لِيَ الباكي

ولما قُدِّم ليُقتل أنشأ يقول(١):

فقُلْ للشَّامِتين بِنا رُوَيْداً   أمامَكُمُ المصائبُ والخُطوبُ
هو الدَّهْرُ الذي لا بُدَّ مِنْ أنْ   يكونَ إليكم منه ذَنوبُ

محمد بن داود

ابن علي بن خلف الظاهري العلامة البارع، ذو الفنون، أبو بكر بن الإمام أبي سليمان الأصبهاني، ثم البغدادي، الفقيه الأديب. كان أحد من يُضْرَبُ المثل بذكائه، وهو مصنف «كتاب الزهرة» في الآداب والشعر، وله بصر تام بالحديث، وبأقوال الصحابة، وكان يجتهد ولا يقلد أحداً. (ت ٢٩٧). «السِّيَر» و«تاريخ الإسلام».

قال إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي نِفْطَوَيْه: دخلت على محمد ابن داود الأصبهاني في مرضه الذي مات فيه، فقلت له: كيف تجدك؟ فقال: حب من تعلم أورثني ما ترى. فقلت: ما منعك من الاستمتاع به مع القدرة عليه؟ فقال: الاستمتاع على وجهين؛ أحدهما النظر المباح(!)، والثاني اللذة المحظورة، فأما النظر المباح فأورثني ما ترى، وأما اللذة المحظورة، فإنه منعني منها ما حدثني به أبي: حدثنا سويد بن سعيد حدثنا

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٠ / ١٠٠)، و«البداية والنهاية» (١١ / ١٠٩ ـ ١١٠).

علي بن مسهر عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله له وأدخله الجنة»[١]. ثم أنشد لنفسه:

انظر إلى السحر يجري في لواحظه وانظر إلى دَعَج في طَرْفه الساجي
وانظر إلى شَعَرات فوق عارضه كـأنهـن نِمَـالٌ دَبَّ فـي عـاجِ

وأنشدنا لنفسه:

مـا لهـم أنكـروا سـواداً بخـديـ ـه ولا ينكـرون ورد الغصـون
إن يكـن عيـب خـده بـدو الشـ ـعر فعيب العيون شعر الجفون

فقلت له: نفيت القياس في الفقه وأثبته في الشعر! فقال: غلبة الهوى، وملكة النفوس دعوا إليه، قال: ومات في ليلته أو في اليوم الثاني[٢].

أبو عثمان الحِيري

الشيخ الإمام المحدث الواعظ القدوة، شيخ الإسلام، الأستاذ أبو عثمان، سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور النَّيْسابوري الحِيري الصوفي. هو للخراسانيين نظير الجُنَيْد للعراقيين. (ت ٢٩٨). «السِّيَر».

قال عبد الله الرازي: لما تغير الحال على أبي عثمان وقت وفاته مزق ابنه أبو بكر قميصاً كان عليه، ففتح أبو عثمان عينيه وقال: يا بني، خلاف السنة في الظاهر رياءٌ باطن في القلب[٣].

---

(١) حديث موضوع، كما ذكر ابن القيم في «الزاد» (٤ / ٢٧٥)، وهو في «الضعيفة» برقم (٤٠٩).

(٢) «تاريخ بغداد» (٥ / ٢٦٢).

(٣) «حلية الأولياء» (١٠ / ٢٤٥).

الجُنَيْد

ابن محمد بن الجنيد النَّهاوَنْدي، البغدادي القواريري، أبو القاسم. كان شيخ العارفين، وقدوة السائرين، وعلم الأولياء في زمانه. (ت ٢٩٨). «السِّيَر».

عن أبي بكر العطوي قال: كنت عند الجنيد حين مات، فختم القرآن، ثم ابتدأ من البقرة فقرأ سبعين آية، ثم مات رحمه الله[١].

وعن أبي بكر العطار[٢] قال: حضرتُ الجنيد أبا القاسم عند الموت فشي‌شيء جماعة من أصحابنا، قال: وكان قاعداً يصلي ويثني رجله إذا أراد أن يسجد، فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجله، فثقلت عليه حركتها، فمد رجليه، فرآه بعض أصدقائه ممن حضر ذلك الوقت، يقال له: البسامي ـ وكانت رجلا أبي القاسم تورمتا ـ فقال: ما هذا يا أبا القاسم؟ قال: هذه نعم الله، الله أكبر[٣]. فلما فرغ من صلاته قال له أبو محمد الحريري: يا أبا القاسم، لو اضطجعت! فقال: يا أبا محمد، هذا وقت مِنَّةٍ، الله أكبر. فلم يزل ذلك حاله حتى مات رحمه الله[٤].

وعن أبي محمد الحريري قال: كنت واقفاً على رأس الجنيد وقت وفاته وهو يقرأ القرآن الكريم، فقلت: يا أبا القاسم، ارفق بنفسك، فقال: يا أبا محمد، ما رأيت أحداً أحوج إليه مني في هذا الوقت وهو تطوى صحيفتي[٥].

---

(١) «حلية الأولياء» (١٠ / ٢٦٤)، و«تاريخ بغداد» (٧ / ٢٤٨).

(٢) لعله والذي قبله واحد!

(٣) هذه تكبيرة الإحرام للصلاة.

(٤) «الحلية» (١٠ / ٢٨١).

(٥) «المنتظم» (٧ / ٤٢٢).

ابن البَرْدُون

الإمام الشهيد المفتي، أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن البردون الضَّبّي، مولاهم الإفريقي المالكي، تلميذ أبي عثمان بن الحداد. (ت ٢٩٩). «السِّيَر».

قال الحسين بن سعيد الخراط: لما أُتِيَ به إلى ابن أبي خنزير وقف، فقال له: يا خنزير، فقال ابن البردون: الخنازير معروفة بأنيابها. فغضب وضرب عنقه[١].

وقيل له لما جُرِّد للقتل: أترجع عن مذهبك؟ قال: أَعَنِ الإسلام أرجع؟! ثم صلب[٢].

رُوَيْم

الإمام الفقيه المقرىء الزاهد العابد، أبو الحسن رُوَيْم بن أحمد، وقيل: رُوَيْم بن محمد بن يزيد بن رُوَيْم بن يزيد البغدادي، شيخ الصوفية، ومن الفقهاء الظاهرية، تفقه بداود، وهو رُوَيْم الصغير، وجده رُوَيْم الكبير. كان في أيام المأمون، وقد امتحن الصغير في نوبة غلام خليل، وقال عنه: أنا سمعته يقول: ليس بيني وبين الله حجاب، ففرَّ إلى الشام واختفى زماناً. (ت ٣٠٣). «السِّيَر».

قيل لرويم عند الموت: قل: لا إله إلا الله، فقال: ما أُحسن غيرها[٣].

---

(١) «السير» (١٤ / ٢١٦).
(٢) المصدر السابق.
(٣) «العاقبة» (ص ٨٩).

ابن سُرَيْج

الإمام شيخ الإسلام فقيه العراقيين، أبو العباس أحمد بن عمر بن سُرَيْج البغدادي، القاضي الشافعي، صاحب المصنفات. كان من المُجَدِّدين على رأس الثلاث مئة. (ت ٣٠٦). «السِّيَر».

قال ابن عبد الهادي[١]: قيل له في مرضه: كيف أصبحت؟ فقال:

مريضٌ غابَ عنه أقْرَبوه ... وأَسْلَمهُ المُداوي والحَميمُ

منصور بن إسماعيل

العلامة، فقيه مصر، أبو الحسن التميمي الشافعي الضرير الشاعر، كان إماماً في فقه مذهبه، أديباً شاعراً مجيداً متفنناً، له حظ من كل علم، أصله من رأس العين المشهورة بالجزيرة، قدم مصر وبها توفي، ولم يكن في زمانه مثله فيها. (ت ٣٠٦). «السِّيَر» و«معجم الأدباء».

قال ياقوت[٢]: قال مُعَرِّضاً بأبي عُبَيْد القاضي:

يا شامتاً بي إذا هلكْتُ ... لكلِّ حيٍّ مدىً ووقْتُ

وأنت في غَفْلَةِ المنايا ... تخافُ منها الذي أمِنْتُ

والكأسُ مَلأى وعَنْ قليلٍ ... تَشْرَبُ منها كما شربْتُ

وأنشد عند موته مُعَرِّضاً به أيضاً:

قَضَيْتُ نَحْبي فَسُرَّ قومٌ ... حمقى بهم غَفْلَةٌ ونَوْمُ

كأنَّ يومي عَلَيَّ حَتْمٌ ... وليس للشامتين يَوْمُ

---

(١) «طبقات علماء الحديث» (٢ / ٥٢٠).

(٢) «معجم الأدباء» (١٩ / ١٩٠).

زاد ابن خَلِّكان[1]:

تمــوتُ قَبْلــي ولــو بيــومٍ ونحــن يــوم النُّشــور تَــوْمُ

الحلّاج

الحسين بن منصور بن مَحْمِي، أبو عبد الله، ويقال: أبو مغيث، الفارسي البيضاوي الصوفي، تبرأ منه سائر الصوفية والمشايخ والعلماء لسوء سيرته ومروقه، وكان جده مَحْمِيٌّ مجوسياً. (ت ٣٠٩). «السِّيَر».

قال أبو العباس بن عبد العزيز (قال الذهبي: رجل مجهول): كنت أقرب الناس من الحلاج حين ضُرِب، فكان يقول مع كل سوط: أَحَدٌ أَحَدٌ[2].

وقال عيسى القصّار: آخر كلمة تكلم بها الحسين بن منصور عند قتله: حسب الواحد إفراد الواحد له[3].

وقال السلمي: وحُكِي عنه أنه رُؤِيَ واقفاً في الموقف والناس في الدعاء، وهو يقول: أُنَزِّهك عمّا قَرَفَكَ به عبادُك، وأبرأ إليك مما وحّدك به الموحدون[4].

قال الذهبي[5]: هذا عين الزندقة، فإنه تبرأ مما وحَّد اللهَ به الموحدون الذين هم الصحابة والتابعون وسائر الأمة.

وقال أبو عمر بن حَيُّويَه: لما أخرج الحلاج ليقتل مضيت وزاحمت

---

(١) «وفيات الأعيان» (٥ / ٢٩٢).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٤ / ٣٤٢).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٤ / ٣٤٢).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٤ / ٣٤٢).

(٥) «سير أعلام النبلاء» (١٤ / ٣٤٢).

حتى رأيته، فقال لأصحابه: لا يهولنكم، فإني عائد إليكم بعد ثلاثين يوماً.

قال الذهبي(١): فهذه حكاية صحيحة توضح لك أن الحلاج ممخرق كذاب، حتى عند قتله.

وقال القاضي أبو العلاء الواسطي(٢): لما أُخرج الحسين بن منصور ليقتل أنشد:

طَلَبْتُ المستقرَّ بكل أرضٍ ... فلم أرَ لي بأرضٍ مُسْتَقَرّا
أطَعْتُ مطامعي فاسْتَعْبَدَتْني ... ولو أني قَنِعْتُ لكنتُ حُرّا

قلت: ويروى عنه كلام آخر عند القتل(٣).

محمد بن جرير

ابن يزيد بن كثير، الإمام العلم المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل آمُل طَبَرِسْتان. كان من أفراد الدهر علماً وذكاءً وكثرةَ تصانيف، قَلّ أن ترى العيون مثله. (ت ٣١٠). «السِّيَر».

قال أبو بكر الدينوري: لما كان وقت صلاة الظهر من يوم الإثنين الذي توفي فيه ـ في آخره ـ ابنُ جرير طلب ماء ليجدد وضوءه، فقيل له: تؤخِّر الظهر تجمع بينها وبين العصر. فأبى وصلى الظهر مفردة والعصر في وقتها أتم صلاة وأحسنها.

وحضر وقت موته جماعة، منهم أبو بكر بن كامل، فقيل له قبل

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٤ / ٣٤٦).
(٢) «تاريخ بغداد» (٨ / ١٣٠).
(٣) انظر: «تاريخ الإسلام» (٢٣ / ٣٨ و٤٧).

خروج روحه: يا أبا جعفر، أنت الحجة فيما بيننا وبين الله فيما ندين به، فهل من شيء توصينا به من أمر ديننا، وبينة لنا نرجو بها السلامة في معادنا؟ فقال: الذي أدين الله به وأوصيكم هو ما ثبَّتُّ في كتبي، فاعملوا به وعليه. وكلاماً هذا معناه، وأكثر من التشهد وذكر الله عز وجل، ومسح يده على وجهه، وغمّض بصره بيده، وبسطها وقد فارقت روحه الدنيا[1].

وقال أبو بكر بن كامل: حضرت أبا جعفر حين حضرته الوفاة، فسألته أن يجعل كل مَنْ عاداه في حل، وكنت سألته ذلك لأجل أبي الحسن بن الحسين الصَّوَّاف لأني كنت قرأت عليه القرآن، فقال: كل مَنْ عاداني وتكلم فيّ حِلّ إلا رجلاً رماني ببدعة[2].

وروى المعافى بن زكريا عن بعض الثقات؛ أنه كان بحضرة أبي جعفر الطبري قبل موته، وتوفي بعد ساعة أو أقل منها، فذُكِرَ له دُعَاءٌ، فاستدعى محبرة وصحيفة فكتبه، فقيل له: أفي هذه الحال؟! فقال: ينبغي للإنسان أن لا يَدَعَ اقتباسَ العلم حتى الممات[3].

الزَّجَّاج

إبراهيم بن السَّرِيِّ بن سهل، أبو إسحق النحوي الزجاج صاحب كتاب «معاني القرآن»، كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، جميل المذهب، وله مصنفات حسان في الأدب. (ت ٣١١). «تاريخ الإسلام».

قيل: آخر ما سُمع منه عند موته: اللهم احشرني على مذهب أحمد ابن حنبل[4].

(١) «السير» (١٤ / ٢٧٦).
(٢) «معجم الأدباء» (١٨ / ٨٤).
(٣) انظر: «كنوز الأجداد» (ص ١١٨).
(٤) «معجم الأدباء» (١ / ١٣٠).

قلت: نِعم المذهب ونعم الإمام، وما أسعده بالذّبّ عن كلام الله تعالى، والتمسك بسنة رسوله ﷺ! اللهم أمتنا على الإيمان بك، وعلى سنة رسولك ﷺ.

خَيْر النَّسَّاج

الزاهد الكبير، أبو الحسن البغدادي. (ت ٣٢٢). «السِّيَر».

حكى علي بن هارون الحربي ـ صاحب الجنيد ـ عن غير واحد من أصحابه ممن حضر موته قال: غُشِيَ عليه عند صلاة المغرب، ثم أفاق فنظر إلى ناحية من باب البيت فقال: قف عافاك الله، فإنما أنت عبد مأمور، ما أُمِرْتَ به لا يفوتك، وما أُمِرْتُ به يفوتني، فدعني أمضي لما أُمِرْتُ به ثم امض أنت لما أُمِرْتَ به. فدعا بماء فتوضأ للصلاة وصلى، ثم تمدد وغمض عينيه وتشهد. فمات رحمه الله(١).

أبو الحسن الأشعري

العلامة، إمام المتكلمين، علي بن إسماعيل. كان عجباً في الذكاء وقوة الفهم، ولما برع في معرفة الاعتزال كرهه وتبرأ منه، وصعد للناس فتاب إلى الله تعالى منه، ثم أخذ يرد على المعتزلة ويهتك عِوَارهم. (ت ٣٢٤). «السِّيَر».

قال القشيري: سمعت أبا علي الدقاق: سمعت زاهر بن أحمد الفقيه يقول: مات الأشعري ورأسه في حُجْري، وكان يقول شيئاً في حال نزاعه من داخل حلقه، فأدنيت إليه رأسي، فكان يقول: لعن الله المعتزلة، موّهوا

---

(١) «الحلية» (١٠ / ٣٠٧)، و «وفيات الأعيان» (٢ / ٢٥٢).

ومخرقوا[١].

وقال الذهبي[٢]: رأيت كلمة أعجبتني وهي ثابتة رواها البيهقي، سمعت أبا حازم العَبْدَوي، سمعت زاهر بن أحمد السرخسي يقول: لما قَرُب حضور أجل أبي الحسن الأشعري في داري ببغداد دعاني فأتيته، فقال: اشهد عليّ أني لا أُكَفِّر أحداً من أهل القبلة، لأن الكل يشيرون إلى معبود واحد، وإنما هذا كله اختلاف في العبادات.

الراضي بالله

الخليفة أبو إسحق محمد، وقيل: أحمد، بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن الموفق بن المتوكل، الهاشمي العباسي. (ت ٣٢٩). «السِّيَر».

قال عند موته[٣]:

كـــلّ صفْـــوٍ إلـــى كَـــدَرْ　　كـــلُّ أمـــر إلـــى حَـــذَرْ
ومصيـــــر الشبـــــاب للـ　　ـمـــوت فيـــه أو الكِبَـــرْ
أيهـــا الآمِـــلُ الـــذي　　تـــاه فـــي لُجّـــة الغَـــرَرْ
أيـــن مَـــنْ كـــان قبلنـــا　　درس الشخـــصُ والأثـــرْ
ربّ إنـــي ادَّخَـــرْتُ عنـ　　ـدك أرجـــوه مُـــدَّخَـــرْ
أننـــي مـــؤمـــنٌ بمـــا　　بيّـــنَ الـــوحـــيُ فـــي السُّـــوَرْ
ربّ فـــاغفـــر لـــيَ الخطيـ　　ـئـة يـــا خيـــر مـــن غَفَـــرْ[٤]

(١) «تاريخ الإسلام» (٢٤/ ١٥٧).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٥ / ٨٨).
(٣) «فوات الوفيات» (٣/ ٣٢٢). وانظر: «تاريخ بغداد» (٢/ ١٤٤ ـ ١٤٥).
(٤) زدت هذا البيت من «تاريخ الإسلام» (٢٤ / ٢٦٩).

أبو بكر الشِّبْلي

شيخ الطائفة، أبو بكر الشِّبْلي البغدادي. كان فقيهاً عارفاً بمذهب مالك، وكتب الحديث عن طائفة، وقال الشِّعر، وله ألفاظ وحِكَم وحال وتمكُّن، لكنه كان يحصل له جفاف دِماغ وسُكر، فيقول أشياء يُعْتَذَر عنه، فيها بَأْوٌ لا تكون قدوة. (ت ٣٣٤). «السِّيَر».

قال محمد بن إبراهيم: حضرت وفاة الشبلي فأمسك لسانه وعرق جبينه، فأشار إلى وضوء الصلاة فوضأته، وبقي تخليل لحيته، فقبض على يدي وأدخل إصبعي في لحيته يخللها، فبكيت وقلت: رجل لم يذهب عليه تخليل لحيته في الوضوء عند نزع روحه وإمساك لسانه[١].

وفي «المنتظم»[٢]: عن عبد الله بن علي التميمي قال: سأل جعفر بن نصير بكران الدينوري ـ وكان يخدم الشبلي ـ: ما الذي رأيت منه؟ (يعني عند وفاته) قال: قال لي: علي درهم مظلمة تصدقت عن صاحبه بألوف، فما على قلبي شغل أعظم منه. ثم قال: وضِّئني للصلاة. ففعلت فنسيت تخليل لحيته، وقد أمسك عن لسانه، فقبض على يدي وأدخلها في لحيته، ثم مات. فبكى جعفر وقال: ما تقولون في رجل لم يفته في آخر عمره أدب من آداب الشريعة[٣]؟!

أبو الحسن الكَرْخِي

الشيخ الإمام الزاهد، مفتي العراق، شيخ الحنفية، أبو الحسن،

---

(١) «وفيات الأعيان» (٢ / ٢٧٥).

(٢) (٨ / ٢٣٩).

(٣) وقال بعض العلماء بوجوب تخليل اللحية، لأن الله عز وجل أمر بها رسولَه ﷺ، وأصل الأمر للوجوب. وبسط هذه المسألة ليس هذا موضعه.

عبيد الله بن الحسين بن دَلَّال، البغدادي الكرخي الفقيه. انتهت إليه رئاسة المذهب، وكان من العلماء العباد، ذا تهجد وأوراد وتأله، وصبر على الفقر والحاجة، وزهد تام، ووقع في النفوس، وكان رأساً في الاعتزال. (ت ٣٤٠). «السِّيَر».

قال أبو القاسم بن علان الواسطي: لما أصاب أبا الحسن الكرخي الفالج في آخر عمره، حضرتُه وحضر أصحابُه: أبو بكر الدامغاني، وأبو علي الشّاشي، وأبو عبد الله البصري، فقالوا: هذا مرض يحتاج إلى نفقة وعلاج، والشيخ مُقِلٌّ ولا ينبغي أن نبذله للناس، فكتبوا إلى سيف الدولة بن حمدان، فأحس الشيخ بما هم فيه، فبكى وقال: اللهم لا تجعل رزقي إلا من حيث عَوّدتني. فمات قبل أن يُحْمَل إليه شيء. ثم جاء من سيف الدولة عشرة آلاف درهم، فَتُصُدِّقَ بها عنه[1].

ابن فارس الأصبهاني

الشيخ الإمام المحدث الصالح، مسند أصبهان، أبو محمد عبد الله ابن المحدث جعفر بن أحمد بن فارس الأصبهاني، قارب المئة، وكان من الثقات العباد. (ت ٣٤٦). «السِّيَر».

قال أبو الشيخ[2]: حكى أبو جعفر الخياط قال: حضرتُ موت عبد الله بن جعفر وكنا جلوساً عنده، فقال: هذا ملك الموت قد جاء. وقال بالفارسية: اقبض روحي كما تقبض روح رجل يقول تسعين سنة: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٥ / ٤٢٦ ـ ٤٢٧).

(٢) «طبقات المحدثين بأصبهان» (٤ / ٢٣٧).

أبو بكر النقاش

العلامة المفسِّر، شيخ القراء، أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد، المَوصلي ثم البغدادي النقاش، كان إمام أهل العراق في القراءات والتفسير. (ت ٣٥١). «السِّيَر» و «تاريخ الإسلام».

قال الخطيب[١]: سمعت أبا الحسين بن الفضل القطان يقول: حضرت أبا بكر النقاش وهو يجود بنفسه في يوم الثلاثاء لثلاث خلون من شوال سنة إحدى وخمسين وثلاثمئة، فجعل يحرك شفتيه بشيء لا أعلم ما هو، ثم نادى بعلو صوته: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾[٢]، يرددها ثلاثاً، ثم خرجت نفسه.

المُتَنَبِّي

شاعر الزمان، أبو الطَّيِّب، أحمد بن حسين بن حسن الجُعْفي الكوفي الأديب، بلغ الذّروة في النظم، وأربى على المتقدمين، وسار ديوانه في الآفاق. (ت ٣٥٤). «السِّيَر».

قيل: إنه قال شيئاً في عَضُد الدولة فدسّ عليه من قتله، لأنه لما وفد عليه وصله بثلاثة آلاف دينار، وثلاثة أفراس مُسْرجة مُحلاة، وثياب مفتخرة، ثم دسّ عليه من سأله: أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة؟ فقال: هذا أجزل إلا أنه عطاءُ متكلِّف، وسيف الدولة كان يعطي طبعاً. فغضب عَضُد الدولة، فلما انصرف جهز عليه قوماً من بني ضبّة فقتلوه بعد أن قاتل قتالاً شديداً ثم انهزم، فقال له غلامه: أين قولك:

---

(١) «تاريخ بغداد» (٢/ ٢٠٥).

(٢) الصافات: ٦١.

الخَيْـل والَّيْـل والبَيْـداء تَعْـرِفُني والحَرْب والضَّرْب والقِرْطاس والقَلَمُ

فقال: قتلتني قاتلك الله. ثم قاتل حتى قتل[1].

المُغَفَّلي

الإمام العالم القدوة الحافظ ذو الفنون، أبو محمد أحمد بن عبد الله ابن محمد بن عبد الله بن بشر بن مغفل بن حسان ابن صاحب رسول الله ﷺ عبد الله بن مغفل المزني المغفلي الهروي، الملقب بالباز الأبيض، جمع وصنف وتقدم في معرفة الحديث والعلوم. (ت ٣٥٦). «السِّيَر».

قال الحاكم: سمعت ابنه بشراً يقول: آخر كلمة تكلم بها أن قبض على لحيته ورفع يده اليمنى إلى السماء وقال: ارحم شيبة شيخ جاءك بتوفيقك على الفطرة[2].

ابن حمدان

محمد بن أحمد بن حمدان بن علي بن عبد الله بن سنان، الإمام الحافظ، أبو العباس، أخو الزاهد أبي عمر، ابنا الحافظ أبي جعفر الحيري النيسابوري محدث خُوَارزم. (ت ٣٥٦). «السِّيَر».

قال ابن أرسلان في «تاريخه»: قرأت بخط الحافظ أبي سعيد قال: لما مرض أبو العباس مرضه الذي مات فيه اغتم المسلمون، فرأى صهره أبو العباس الأزهري في المنام؛ أن أبا العباس لاحقٌ بنا، ومن استغفر له غفر له(!). فشاع الخبر في البلد، فحضره أهل البلد أفواجاً، فكان يستغفر لهم.

---

(١) «تاريخ الإسلام» (٢٦ / ١٠٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٦ / ١٨٢ ـ ١٨٣).

ومرض خمسة عشر يوماً، ثم اعتقل لسانه ليلة الجمعة إلا من الهمس بقول: لا إله إلا الله[1].

أبو فِرَاس الحَمْداني

الأمير أبو فراس، الحارث بن سعيد بن حَمْدان التّغلبي الشاعر المُفْلِق، وكان رأساً في الفروسية والجود وبراعة الأدب. كان الصاحب ابن عَبّاد يقول: بُدِيء الشعرُ بملِك، وهو امرُؤُ القيس، وخُتِم بملِك، وهو أبو فراس. (ت ٣٥٧). «السِّيَر».

قال ابن خَلّكان[2]: رأيت في ديوانه أنه لما حضرته الوفاة كان ينشد مخاطباً ابنته:

أَبُنَيَّتِــــــي لا تَجْـــــزَعــــــي ... كـــلُّ الأنـــامِ إلـــى ذَهـــابِ
نُـــوحِـــي عَلَـــيّ بحَسْـــرَةٍ ... مـــن خَلْـفِ سِتْـرِكِ والحجـابِ
قـــولـــــي إذا كلمتِنـــــي ... فعَيِيـــتُ عـــن رَدّ الجـــوابِ
زَيْـــنُ الشّبـــابِ أبـــو فِـــرا ... سِ لـــم يُمَتَّـــعْ بـــالشّبـــابِ

قال ابن خلّكان[3]: وقيل: إن هذا الشعر قاله وهو أسير في أيدي الروم، وكان قد جرح ثم أسر ثم خلص من الأسر، فداه سيف الدولة مع من فودي من أسرى المسلمين.

ابن النابلسي

الإمام القدوة الشهيد، أبو بكر، محمد بن أحمد بن سهل الرملي،

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٦ / ١٩٦).
(٢) «وفيات الأعيان» (٢ / ٦٠).
(٣) «وفيات الأعيان» (٢ / ٦١).

ويعرف بابن النابلسي. (ت ٣٦٣). «السِّيَر».

قال أبو ذر الهَرَوي[١]: سجنه بنو عُبَيْد وصلبوه على السُّنَّة. سمعت الدارقطني يذكره ويبكي ويقول: كان يقول وهو يُسْلَخ: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾[٢].

قال معمر بن أحمد بن زياد الصوفي: أخبرني الثقة أنه سُلِخ من مَفْرِق رأسه حتى بلغ الوجه، فكان يذكر الله ويصبر، حتى بلغ العَضُد فرحمه السلاخ، فوكز السِّكّين في موضع القلب، فقضى عليه[٣].

عَضُدُ الدَّوْلَة

السلطان أبو شجاع، فَنّاخُسْرُو، صاحب العراق وفارس، ابن السلطان ركن الدولة حسن بن بُوَيْه الدَّيْلمي. كان بطلاً شجاعاً مهيباً، نحوياً أديباً عالماً، جباراً عَسُوفاً شديد الوطأة، وكان شيعياً جلداً. (ت ٣٧٢). «السِّيَر».

قال ابن خَلِّكان[٤]: يحكى عنه أنه لما احتُضِر لم يكن لسانه ينطق إلا بتلاوة: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾[٥]. ومات بعلة الصرع.

وفي «المنتظم»[٦]: لما احتُضِر عضد الدولة جعل يتمثل بقول القاسم ابن عبيد الله:

---

(١) «تاريخ الإسلام» (٢٦ / ٣١٠).
(٢) الإسراء: ٥٨.
(٣) «تاريخ الإسلام» (٢٦ / ٣١١).
(٤) «وفيات الأعيان» (٤ / ٥٤).
(٥) الحاقة: ٢٨ و٢٩.
(٦) (٨ / ٤٤٣).

قتلت صناديد الرجال فلم أدع ... عدواً ولم أمهل على ظنه خلقا
وأخليت دور الملك من كل نازل ... فشردتهم غرباً وبددتهم شرقا
فلما بلغت النجم عزاً ورفعة ... وصارت رقاب الخلق أجمع لي رِقّا
رماني الردى سهماً فأخمد جمرتي ... فها أنا ذا في حفرتي عاطلاً ملقى
فأذهبت دنياي وديني سفاهة ... فمن ذا الذي مني بمصرعه أشقى

ثم جعل يقول: ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ * هَّلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴾[1]. فرددها إلى أن توفي.

قال ابن الجوزي[2]: فلما توفي بلغ خبره إلى مجلس بعض العلماء وفيه جماعة من أكابر أهل العلم، فتذاكروا الكلمات التي قالها الحكماء عند موت الإسكندر، وقد رويت لنا من طرق مختلفة الألفاظ، ونحن نذكر أحسنها، وذلك أن الإسكندر لما مات قام عند تابوته جماعة من الحكماء، فقال أحدهما: سلك الإسكندر طريق من فني، وفي موته عبرة لمن بقي.

وقال الثاني: خلّف الإسكندر ماله لغيره، ويُحكم فيه بغير حكمه.

وقال الثالث: أصبح الإسكندر مشتغلاً بما عاين، وهو بالأعمال يوم الجزاء أشغل.

وقال الرابع: كنتَ مثلي حديثاً، وأنا مثلك وشيكاً.

وقال الخامس: إن هذا الشخص كان لكم واعظاً، ولم يعظكم قط بأفضل من مصرعه.

وقال السادس: كان الإسكندر كحلمِ نائمٍ انقضى، أو كظل غمامة انجلى.

---

(١) الحاقة: ٢٨ و٢٩.
(٢) «المنتظم» (٨ / ٤٤٣ ـ ٤٤٤).

وقال السابع: لإن كنتَ أمس لا يأمنك أحد، لقد أصبحت اليوم وما يخافك أحد.

وقال الثامن: هذه الدنيا الطويلة العريضة طويت في ذراعين.

وقال التاسع: أجاهلاً كنت بالموت فنعذرك، أم عالماً به فنلومك.

وقال العاشر: كفى للعامة أسوة بموت الملوك، وكفى للملوك عظة بموت العامة.

وقال بعض من حضر ذلك المجلس الذي أشيع فيه بموت عضد الدولة وتُذكرت فيه هذه الكلمات: فلو قلتم أنتم مثلها لكان ذلك يؤثر عنكم.

فقال أحدهم: لقد وَزَنَ هذا الشخص الدنيا بغير مثقالها، وأعطاها فوق قيمتها، وحسبك أنه طلب الربح فيها، فخسر روحه فيها.

وقال الثاني: مَنْ استيقظ للدنيا فهذا نومه، ومن حلم فيها فهذا انتباهه.

وقال الثالث: ما رأيت غافلاً في غفلته ولا عاقلاً في عقله مثله، لقد كان ينقض جانباً وهو يظن أنه مبرم، ويغرم وهو يظن أنه غانم.

وقال الرابع: مَنْ جد للدنيا هزلت به، ومن هزل راغباً عنها جدت له.

وقال الخامس: ترك هذا الدنيا شاغرة، ورحل بلا زاد ولا راحلة.

وقال السادس: إن ماء أطفأ هذه النار لعظيم، وإن ريحاً زعزعت هذا الركن لعصوف.

وقال السابع: إنما سَلَبَك مَنْ قدر عليك.

وقال الثامن: لو كان معتبراً في حياته لما صار عبرة في مماته.

وقال التاسع: الصاعد في درجاتها إلى سفال، والنازل في درجاتها إلى معال.

وقال العاشر: كيف غفلتَ عن كيد هذا الأمر حتى نفذ فيك، وهلاّ اتخذت دونه جُنة تقيك، إن فيك لعبرة للمعتبرين، وإنك لآية للمستبصرين. اهـ.

أبو العباس الدَّيْبُلي

أحمد بن محمد، الإمام أبو العباس الدَّيْبُلي الشافعي الزاهد الخياط. (ت ٣٧٣). «تاريخ الإسلام».

قال أبو العباس الفسوي[١]: ما كان يصلي إلا في الجماعة، فكنت أصلي به، فصليت به ليلة الأحد المغرب، فقال: تَنَحَّ، فإني أريد الجمع بالعشاء، لا أدري أيش يكون مني. فجمع وأوتر، ثم أخذ في السياق وهو حاضر معنا إلى نصف الليل، فنمت ساعة وقمت، فقال: أي وقت هو؟ قلت: قرب الصبح، قال: حَوِّلني إلى القبلة. وكان أبو سعيد الماليني، فحولناه إلى القبلة، فأخذ يقرأ قدر خمسين آية، ثم قُبِض ومات.

سعيد بن سَلاّم

الإمام القدوة، شيخ الصوفية، أبو عثمان سعيد بن سلاّم المغربي القيرواني، نزيل نَيْسابور. «السِّيَر».

قال الخطيب: وكان من كبار المشايخ، له أحوال مذكورة، وكرامات مشهورة. (ت ٣٧٣). «تاريخ بغداد».

---

(١) انظر: «تاريخ الإسلام» (٢٦/ ٥٣٤ ـ ٥٣٥).

قال السُّلَمي[1]: سمعت أبا عثمان في مرضه يقول: إنما مَثَلي ومَثَل أطبائي كإخوة يوسف ويوسف، كان يوسف مدبَّراً بالقدرة، وإخوته يدبِّرون فيه، وأنَّى يغني تدبير الخلق من تدبير القدرة؟!

قلت: لو قال: وأنَّى يغني تدبير الخلق من تدبير الخالق. فأفعال الله تعالى إنما تنسب إليه لا إلى صفاته، فنقول: دبر الله وشاء الله، ولا نقول: دبرت القدرة، وشاء القدر، أو شاءت الأقدار، كما هو دارج على ألسنة الكثير.

وعن غالب بن علي قال: دخلت على أبي عثمان في مرضه الذي مات فيه، فقيل له: كيف تجد نفسك؟ قال: أجد مولى كريماً رحيماً، إلا أن القدوم عليه شديد.

ثم حكى عن شعوانة أنها قالت عند موتها: إني أكره لقاء الله، فقيل لها: ولِمَ؟ قالت: مخافة ذنوبي[2].

قلت: ما أردأ هذه الكلمة! وقد قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»[3].

وإن صح هذا عنها فلقد خانتها العبارة، ولعلها ـ إن شاء الله ـ إنما قصدت: أكره أن ألقى الله مذنبة، وأحب أن ألقاه تائبة.

أبو بكر الخُوَارِزْمي

محمد بن العباس الخُوَارِزْمي، الشاعر المشهور، ويقال له:

---

(١) «طبقات الصوفية» (ص ٤٨٢).

(٢) «تاريخ بغداد» (٩ / ١١٢ ـ ١١٣).

(٣) متفق عليه.

الطَّبَرْخَزي، وهو ابن أخت أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، وأبو بكر أحد الشعراء المجيدين الكبار المشاهير. كان إماماً في اللغة والأنساب، وكان مشاراً إليه في عصره. (ت ٣٨٣). «وفيات الأعيان».

قيل لأبي بكر الخوارزمي عند موته: ما تشتهي؟ قال: لنظر في حواشي الكتب[١].

أبو طالب المكي

الإمام الزاهد العارف، شيخ الصوفية، أبو طالب محمد بن علي بن عطية، الحارثي، المكي المنشأ، العجمي الأصل، مصنف كتاب «قوت القلوب». (ت ٣٨٦). «السِّيَر» و«تاريخ الإسلام».

قال أبو القاسم بن بِشْران: دخلت على شيخنا أبي طالب المكي فقال: إذا علمت أنه قد خُتِمَ لي بخير فانثر على جنازتي سُكَّراً ولَوْزاً، وقل: هذا حاذق. ثم قال: خذ بيدي إذا احتُضِرْتُ، فإذا قبضتُ على يدك فاعلم أنه قد خُتِمَ لي بخير، وإن لم أقبض فاعلم أنه لم يُخْتَم بخير. فقعدت عنده فلما كان عند موته قبض على يدي قبضاً شديداً، فلما خرجت جنازته نثرت عليه سكراً ولوزاً، وقلت: هذا الحاذق. كما أمرني[٢].

قلت: نسأل الله لنا وله حسن العاقبة، لكن هل هذا شيء مشروع؟!

ابن فارس اللغوي

الإمام العلامة اللغوي المحدث، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا

(١) «ربيع الأبرار» (٣/ ٢٢٧).
(٢) «تاريخ الإسلام» (٢٧/ ١٢٨).

ابن محمد بن حبيب القزويني، المعروف بالرازي، المالكي اللغوي، نزيل هَمَذَان، وصاحب كتاب «المجمل». وكان رأساً في الأدب، بصيراً بفقه مالك، مناظراً متكلماً على طريقة أهل الحق، ومذهبه في النحو على طريقة الكوفيين، جمع إتقان العلم إلى ظرف أهل الكتابة والشعر. (ت ٣٩٥). «السِّيَر».

أنشد يحيى بن علي التبريزي لابن فارس، وذكر أنه قالها قبل وفاته بيومين[(١)]:

يـا ربِّ إن ذنـوبـي أحطْـتَ بهـا ... علماً وبي وبإعلاني وإسراري

أنـا المـوحِّـدُ لكنـي المُقِـرُّ بهـا ... فهب ذنوبي لتوحيدي وإقراري

أبو سعد الإسماعيلي

العلامة، شيخ الشافعية، أبو سعد، إسماعيل بن الإمام شيخ الإسلام أبي بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس، الإسماعيلي الجرجاني الشافعي، صاحب التصانيف. قال السهمي: كان إمام زمانه، مقدماً في الفقه وأصوله والعربية والكتابة والشروط والكلام. (ت ٣٩٦). «السِّيَر».

قال السهمي[(٢)]: توفي ليلة الجمعة وهو ابن ثلاث وستين سنة، ومما أكرمه الله تعالى به ورفع قدره به؛ أنه مات وهو في صلاة المغرب يقرأ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، ففاضت نفسه.

أبو عمر الطُّلَيْطُلي

أحمد بن محمد بن وسيم، كان فقيهاً متفنناً شاعراً لغوياً نحوياً.

---

(١) «المنتظم» (٨/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦).

(٢) انظر: «تاريخ جرجان» (ص ١٤٧ ـ ١٤٨).

(ت٤٠١). «تاريخ الإسلام».

قال الذهبي[١]: غزا مع محمد بن تمام إلى مَكّادة، فلما انهزموا هرب إلى قرطبة، واتبعه أهل طُلَيْطُلَة، فصلبوه ثم رموه بالنَّبْل والحجارة حتى هلك، وهو يتلو سورة ﴿يسٓ﴾، رحمه الله.

ابن الفَرَضي

الإمام الحافظ البارع الثقة، أبو الوليد، عبد الله بن محمد بن يوسف ابن نصر، القرطبي، ابن الفَرَضي، مصنف «تاريخ الأندلس». (ت ٤٠٣). «السِّيَر».

قال الحُمَيْدي: ثنا علي بن أحمد الحافظ[٢]: أخبرني أبو الوليد بن الفرضي قال: تعلقت بأستار الكعبة، وسألت الله الشهادة، ثم انحرفت وفكرت في هول القتل، فندمت وهممت أن أرجع فأستقيل الله ذلك، فاستحييت.

قال الحافظ أبو محمد بن حزم: فأخبرني من رآه بين القتلى ودنا منه فسمعه يقول بصوت ضعيف:

«لاَ يُكْلَمُ أَحَدٌ في سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ، إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَماً، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرِّيحُ رِيحُ المِسْكِ»[٣].

كأنه يعيد على نفسه الحديث الوارد في ذلك.

قال: ثم قضى على إثر ذلك، رحمه الله[٤].

---

(١) «تاريخ الإسلام» (٢٨/ ٣٨).

(٢) هو الإمام ابن حزم الظاهري صاحب «المحلى».

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) «تاريخ الإسلام» (٢٨/ ٨٣ ـ ٨٤).

محمد بن سعيد الحَرّار

محمد بن سعيد بن السَّرِي الأموي القرطبي المالكي الحرار، أبو عبد الله، فقيه. (ت ٤٠٣). «معجم المؤلفين».

قال الذهبي[١]: قتلته البربر في دخولهم قرطبة، وكان استقبلهم شاهراً سيفه يناديهم: إليّ إليّ يا حطب النار، طوبى لي إن كنت من قتلاكم. فقتلوه رحمة الله عليه.

ابن شُهَيْد

العلامة البليغ، جاحظ وقته، أبو عامر أحمد بن أبي مروان عبدِ الملك ابن مروان بن ذي الوزارتين أحمد بن عبد الملك بن عمر بن شُهَيْد، الأشجعي القرطبي الشاعر. كان حامل لواء النظم والنثر بالأندلس. (ت ٤٢٦). «السِّيَر».

قال ابن حزم: كتب إليّ أبو عامر بن شهيد في علّته بهذه الأبيات:

ولما رأيتُ العيش لَوّى برأسه ... وأيقنتُ أن الموت لا شكّ لاحِقي
تَمَنَّيْتُ أني ساكن في غَيَابَةٍ ... بأعلى مَهَبِّ الرِّيح في رأس شاهِقِ
كأني وقد حان ارتحالي لم أَفُزْ ... قديماً من الدنيا بلَمْحَةِ بارِقِ
فمَنْ مُبْلِغٌ عني ابن حزم وكان لي ... يداً في مُلِمّاتي وعند مَضَايِقي
عليك سلامُ الله إني مُفارِقٌ ... وحسبك زاداً من حبيب مُفَارِقِ

في أبيات[٢].

---

(١) «تاريخ الإسلام» (٢٨ / ٨٨).
(٢) «جذوة المقتبس» (ص ١١٨ / رقم ٢٣٢).

ابن سينا

الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، البلخي ثم البخاري، الرئيس أبو علي، صاحب الفلسفة والتصانيف. كان آية في الذكاء، وهو رأس الفلاسفة الإسلاميين الذين مشوا خلف العقول، وخالفوا الرسول. (ت ٤٢٨). «السِّيَر» و «التاريخ».

قال الذهبي(١): وله وهو يجود بنفسه فيما أنشدني المسند بهاء الدين القاسم بن محمود الطبيب:

أقام رجالاً في معارجه مَلْكا ... وأقعد قوماً في غِوايتهم هَلْكا
نعوذ بك اللهم من شر فتنة ... تُطَوِّقُ مَنْ حَلَّت به عِيشة ضَنْكا
رجعنا إليك الآن فاقبل رُجوعَنا ... وقَلِّب قلوباً طال إعراضها عَنْكا
فإن أنت لم تُبِدْ سِقامَ نفوسِنا ... وتشفِ عَمَاياها إذاً فلِمَنْ يُشْكا
فقد آثَرَتْ نفسي لِقاكَ وقَطَعَتْ ... عليك جُفُوني مِن مدامعها سِلْكا

أبو نصر الواعظ

عبد الله بن أبي الفضل عمر بن أبي سعد الزاهد الهروي. (ت ٤٣٤). «تاريخ الإسلام».

قال الذهبي(٢): توفي بنيسابور قاصداً للحج، عقد مجلساً في قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ**﴾(٣)، فمرض عقيب المجلس، ومات رحمه الله.

---

(١) «تاريخ الإسلام» (٢٩/ ٢٣١ ـ ٢٣٢).
(٢) «تاريخ الإسلام» (٢٩/ ٤٠٤)، وانظر: (٣٠/ ٤٥).
(٣) النساء: ١٠٠.

الشريف المُرْتَضى

العلامة، نقيب العلوية، أبو طالب[1]، علي بن حسين بن موسى، القرشي العلوي الحسيني الموسوي البغدادي المتكلم الرافضي المعتزلي، من ولد موسى الكاظم، وهو المتهم بوضع كتاب «نهج البلاغة»[2]، ومن طالعه جزم بأنه مكذوب على الإمام علي رضي الله عنه، وتواليف المرتضى كثيرة، وفيها سب أصحاب رسول الله ﷺ، فنعوذ بالله من علم لا ينفع. (ت ٤٣٦). «السِّيَر» و «ميزان الاعتدال».

عن أبي القاسم بن بَرْهان قال: دخلت على الشريف المرتضى أبي القاسم العلوي في مرضه الذي توفي فيه، فإذا قد حَوَّل وجهه إلى الجدار، فسمعته يقول: أبو بكر وعمر وَلِيَا فعدلا، واستُرْحما فرحِما، أفأنا أقول: ارتدّا بعد أن أسلما؟! قال: فقمت وخرجت، فما بلغت عتبة الباب حتى سمعت الزعقة عليه[3].

أبو العلاء المَعَرّي

الشيخ العلامة شيخ الآداب، أبو العلاء أحمد بن عبد الله التَّنُوخي المَعَري الأعمى اللغوي الشاعر، صاحب التصانيف المشهورة والزندقة المأثورة. كان عجباً من الذكاء المفرط والاطلاع الباهر على اللغة وشواهدها. (ت ٤٤٩). «السِّيَر» و «تاريخ الإسلام».

قيل: إنه لما مات أوصى أن يكتب على قبره:

---

(١) وفي كثير من المصادر: «أبو القاسم».
(٢) وقيل: المتهم به أخوه الشريف الرضي.
(٣) «معجم الأدباء» (١٣ / ١٥٢)، و «سير أعلام النبلاء» (١٨ / ١٢٦).

هــــذا جَنـــــاه أبـــــي علـــــيّ   ومـــــا جَنَيْـــــتُ علـــــى أحـــــد

قال الإمام الذهبي[1]: الفلاسفة يَعُدّون اتخاذ الولد وإخراجه إلى الدنيا جناية عليه، ويظهر لي من حال هذا المخذول أنه متحير لم يجزم بنحلة، اللهم فاحفظ علينا إيماننا.

رئيس الرؤساء

وزير القائم بأمر الله، الصدر المعظم، رئيس الرؤساء، أبو القاسم علي بن الحسن بن الشيخ أبي الفرج ابن المُسلمة. استكتبه الخليفة القائم بأمر الله ثم استوزره، وكان عزيزاً عليه إلى الغاية، هو لقّبه رئيس الرؤساء، ورفع قدره، وكان من خيار الوزراء. (ت ٤٥٠). «السِّيَر» و«تاريخ الإسلام».

قال أبو الفضل محمد بن عبد الملك الهَمَذاني في «تاريخه»: إن البَسَاسِيري حبس رئيس الرؤساء ثم أخرجه وعليه جُبَّة صوف وطَرْطُور أحمر، وفي رقبته مِخْنَقَةُ جُلُود، وهو يقرأ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ...﴾ الآية، وهو يرددها.

وطيف به على جمل، ثم نُصِب له خشبة بباب خراسان وخِيطَ عليه جلد ثور سُلِخ في الحال، وعُلِّق في فَكَّيه كُلاّبان من حديد، وعُلِّق على الخشبة حياً، ولبث إلى آخر النهار يضطرب، ثم مات رحمه الله[2].

وفي «البداية والنهاية»[3]: وكان آخر كلامه أن قال: الحمد لله الذي

(١) «السير» (١٨ / ٣٦).
(٢) «تاريخ الإسلام» (٣٠ / ٢٥٠).
(٣) (١٢ / ٧٩).

أحياني سعيداً وأماتني شهيداً.

قال الذهبي: قلت: ما أتت على البساسيري سنة حتى قُتِل وطِيفَ برأسه!

طُغْرُلْبَك

محمد بن ميكائيل بن سَلْجُوق بن دُقَاق، السلطان الكبير، ركن الدين، أبو طالب، أول ملوك السلجوقية؛ كان هؤلاء القوم قبل استيلائهم على المماليك يسكنون فيما وراء النهر في موضع بينه وبين بخارى مسافة عشرين فرسخاً، وهم أتراك. (ت ٤٥٥). «السِّيَر» و «وفيات الأعيان».

قال ابن خَلِّكان[١]: لما حضرته الوفاة قال: إنما مثلي مثل شاة تشد قوائمها لجز الصوف، فتظن أنها تذبح فتضطرب، حتى إذا أطلقت تفرح، ثم تشد للذبح، فتظن أنه لجز الصوف فتسكن فتذبح، وهذا المرض الذي أنا فيه هو شد القوائم للذبح. فمات منه، رحمه الله تعالى.

الكُنْدُرِي

الوزير الكبير، عميد الملك، أبو نصر محمد بن منصور بن محمد وزير السلطان طُغْرُلْبَك. كان متعصباً لمذهبه[٢]، يقع في الشافعي، معتزلياً. (ت ٤٥٦). «السِّيَر» و «تاريخ الإسلام».

وكان من رجال الدهر جوداً وسخاءً وكفاية وشهامة وفضلاً وإفضالاً وأدباً. «الأنساب».

---

(١) «وفيات الأعيان» (٥ / ٦٧).

(٢) يعني: الحنفي.

قال ابن خَلِّكان[1]: لما أَحَسَّ بالقتل دخل الحجرة وأخرج كفنه وودع عياله وأغلق باب الحجرة واغتسل وصلى ركعتين، وأعطى الذي هم بقتله مائة دينار نيسابورية وقال: حقي عليك أن تكفني في هذا الثوب الذي غسلته بماء زمزم. وقال لجلاده: قل للوزير نظام الملك: بئس ما فعلت، علَّمْتَ الأتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان، ومن حفر مَهْواة وقع فيها، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة. ورضي بقضاء الله المحتوم.

وقيل: إنه قال للتركي الذي جاء لقتله: قل للسلطان ألْب أرسلان: ما أسعدني بدولة آل سَلْجُوق! أعطاني طُغْرُلْبَك الدنيا، وأعطاني ألْب أرسلان الآخرة[2].

وقال أبو رجاء: أنشد عميد الملك عند قتله:

إنْ كَانَ بالنَّاسِ ضِيقٌ عن مُنَافَسَتِي ... فالمَوْتُ قد وَسَّعَ الدُّنْيَا عَلَى النَّاسِ
مَضَيْتُ والشَّامِتُ المَغْبُونُ يَتْبَعُنِي ... كُلٌّ لِكَأْسِ المَنَايا شَارِبٌ حَاسِي[3]

عبد العزيز الكَتّاني

الإمام الحافظ المفيد الصدوق، محدث دمشق، أبو محمد عبد العزيز ابن أحمد بن محمد بن علي بن سليمان التميمي، الدمشقي الكتاني الصوفي. (ت ٤٦٦). «السِّيَر».

قال القاضي أبو بكر بن العربي: قال لنا أبو محمد بن الأكفاني:

---

(١) «وفيات الأعيان» (٥/ ١٤٢).
(٢) «تاريخ الإسلام» (٣٠/ ٤٢٥).
(٣) «تاريخ الإسلام» (٣٠/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥).

دخلنا على الشيخ أبي محمد عبد العزيز الكتاني في مرض موته، فقال: أنا أشهدكم أني قد أجزت لكل من هو مولود الآن في الإسلام يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله[(١)].

قال الذهبي: روى عنه بهذه الإجازة غير واحد، منهم محفوظ بن صَصْرى التَّغْلِبي.

أبو حكيم الخَبْري

إمام الفرضيين، العلامة أبو حكيم عبد الله بن إبراهيم الخبري الشافعي. انتهت إليه الإمامة في الفرائض وفي الأدب. (ت ٤٧٦). «السِّيَر».

قال ابن ناصر: كان جدي أبو حكيم يكتب المصاحف، فبينما هو ذات يوم قاعد مستند يكتب وضع القلم، واستند وقال: والله إن هذا موت مهني، موت طيب. ثم مات[(٢)].

إمام الحرمين

الإمام الكبير، شيخ الشافعية، إمام الحرمين، أبو المعالي عبد الملك ابن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حَيُّويَه الجُوَيْني، ثم النَّيْسابوري، ضياء الدين الشافعي، صاحب التصانيف. (ت ٤٧٨). «السِّيَر».

حكى أبو عبد الله الحسن بن العباس الرُّسْتُمِي فقيه أصبهان قال:

---

(١) «تاريخ الإسلام» (٣١/ ٢٠٤).

(٢) «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (١/ ٢٥٤).

حكى لنا أبو الفتح الطبري الفقيه قال: دخلت على أبي المعالي في مرضه فقال:

اشهدوا أني قد رجعت عن كل مقالة تخالف السلف، وأني أموت على ما تموت عليه عجائز نَيْسابور[١].

المعتصم بن صُمَادح

السلطان أبو يحيى التُّجِيبي الأندلسي، الملقب بالمعتصم، محمد بن معن بن محمد بن أحمد بن صُمَادح. كان فيه خير ودين وعدل وتواضع وعقل تام. (ت ٤٨٤). «السِّيَر» و «تاريخ الإسلام».

قال ابن بسام في «الذخيرة»[٢]: وكان بين المعتصم وبين الله سريرة أسلفت له عند الحِمام يداً مشكورة، فمات وليس بينه وبين حلول الفاقرة به إلا أيام يسيرة في سلطانه وبلده وبين أهله وولده، حدثني من لا أرد خبره، عن أروى بعض مسانّ حظايا أبيه، قالت: إني لعنده وهو يوصي بشأنه، وقد غُلب على أكثر يده ولسانه، ومعسكر أمير المسلمين (تعني: يوسف بن تاشفين) يومئذ بحيث نعد خيماتهم ونسمع اختلاط أصواتهم، إذ سمع وجبة من وجباتهم، فقال: لا إله إلا الله، نُغِّص علينا كل شيء حتى الموت. قالت أروى: فدمعت عيني، فلا أنسى طرفاً إلي يرفعه، وإشارة لي بصوت لا أكاد أسمعه:

ترفَّقْ بدمعك لا تفنه ... فبين يديك بكاء طويل

***

(١) «تاريخ الإسلام» (٣٢/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦).

(٢) انظر: «وفيات الأعيان» (٥ / ٤٤).

نِظام المُلك

الوزير الكبير، نظام الملك، قِوام الدين، أبو علي الحسن بن علي بن إسحق الطوسي، عاقل سائس خبير سعيد متدين محتشم، عامر المجلس بالقراء والفقهاء. وكان فيه خير وتقوى، وميل إلى الصالحين، وخضوع لموعظتهم، يُعجبه من يبين له عيوب نفسه، فينكسر ويبكي. (ت ٤٨٥). «السِّيَر».

قال الذهبي[1]: قتل صائماً في رمضان، أتاه باطني في هيئة صوفي يناوله قصة، فأخذها منه، فضربه بالسكين في فؤاده فتلف، وقتلوا قاتله، وذلك ليلة جمعة بقرب نُهَاوَنْدَ.

قال: وكان آخر قوله: لا تقتلوا قاتلي، قد عفوت، لا إله إلا الله.

وعن الإمام عبد الرحيم بن الشافعي القزويني قال: دخل أبو علي القومساني على نظام الملك أبي علي الوزير في مرضه يعوده: فأنشأ يقول:

إذا مَرِضْنا نَوَيْنا كُلَّ صالحةٍ ... فإنْ شُفينا فمِنّا الزَّيْغُ والزَّلَلُ
نرجو الإله إذا خِفْنا ونُسْخِطُهُ ... إذا أمِنَّا فما يزكو لنا عَمَلُ

فبكى نظام الملك وقال: هو كما يقول[2].

ابن الحَطّاب

الإمام المحدث الفقيه أبو العباس، أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن الحطاب، الرازي الشافعي، نزيل مصر. (ت ٤٩١). «السِّيَر».

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٩ / ٩٥).

(٢) «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٣ / ١٦).

قال ابنه: قال أبي في سكرة الموت: ما لي في الدنيا حسرة إلا أني مشيت في ركاب الشيوخ، وسافرت إليهم باليمن والشام ومصر، وها أنا أموت ولم يُؤْخَذْ عني ما سمعته على الوجه الذي أردت[1].

ابن جَهِير

الوزير الكامل عميد الدولة أبو منصور، محمد بن الوزير الكبير الملك فخر الدولة محمد بن محمد بن جَهِير. كان خبيراً سائساً شجاعاً شهماً تياهاً فصيحاً أديباً بليغاً. (ت ٤٩٣). «السِّيَر» و «تاريخ الإسلام».

قال الذهبي في «تاريخ الإسلام»[2]: قال الحسن بن عبد الواحد بن الحصين: آخر ما سُمع منه التشهد والرجوع إلى الله.

وقال في «السِّيَر»[3]: كان بكِبْرِه يُضرب المثل، ولكنه في النكبة ذَلّ وخارت نفسه وأناب إلى الله، وآخر ما سُمع منه الشهادة، سامحه الله.

محمد بن عبد الله الشِّيْرَجي

محمد بن عبد الله بن يحيى، أبو البركات بن الوكيل، الخبازُ المقرىء الشِّيْرَجي، أحد الفضلاء بالكَرْخ. (ت ٤٩٩). «تاريخ الإسلام».

قال أبو المُعَمَّر المبارك بن أحمد: دخلت عليه مع المُؤْتَمَن الساجي في مرضه، فقال له المؤتمن: يا شيخنا، بلغنا عنك أشياء! فقال: ذلك صحيح، وأنا قد رجعت إلى الله، وتبت من ذلك الاعتقاد[4].

---

(١) «تاريخ الإسلام» (٣٤/ ٨٣).
(٢) (٣٤/ ١٦٨).
(٣) (١٩/ ١٧٦).
(٤) «تاريخ الإسلام» (٣٤/ ٣٠٦)، و «معرفة القراء الكبار» (ص ٣٧٢).

قلت: أظنه الاعتزال، فقد قال الذهبي[١]: قال ابن ناصر: كان رجلاً صالحاً، اتهم بالاعتزال، ولم يكن يذكره ولا يدعو إليه.

أبو حامد الغزالي

الشيخ الإمام البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان، زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي، صاحب التصانيف والذكاء المفرط. (ت ٥٠٥). «السِّيَر».

قلت: وعليه مؤاخذات، ذكرها العلماء، فمن أحب فليرجع إلى مصادر ترجمته.

قال محمد بن محمد الخُزَيْمي على منبره ببغداد: سمعت مَنْ حضر موت حجة الإسلام الغزالي، وسأله بعض أصحابه: أوصني، فقال: عليك بالإخلاص. وجعل يكرره حتى زُهِقت روحه[٢].

ابن عقيل

الإمام العلامة البحر، شيخ الحنابلة، أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادي الظَّفَري، الحنبلي المتكلم، صاحب التصانيف، وكان يتوقد ذكاءً، وكان بحر معارف، وكنز فضائل، لم يكن له في زمانه نظير على بدعته[٣]، وعلق كتاب «الفنون»، وهو أزيد من أربع مئة

---

(١) «تاريخ الإسلام» (٣٤/ ٣٠٦)، و«معرفة القراء الكبار» (ص ٣٧٢).

(٢) «طبقات الفقهاء الشافعية» (١/ ٢٥١).

(٣) قال الذهبي في «معرفة القراء الكبار»: «وأخذ علم الكلام عن أبي علي بن الوليد وأبي القاسم بن التَّبَّان، ومن ثم حصل فيه شائبةُ تجهمٍ واعتزالٍ وانحرافٍ عن السنة».

مجلد. (ت ٥١٣). «السِّيَر».

قال ابن الجوزي[١]: حدثني بعض الأشياخ: أنه لما احتُضِر ابن عقيل بكى النساء، فقال: قد وَقَّعْتُ عنه خمسين سنة، فدعوني أتهنّأ بلقائه.

قال ابن الجوزي: توفي بكرة الجمعة ثاني عشر جمادى الأولى.

إبراهيم الغَزِّي

أبو إسحق، وقيل: أبو القاسم، وقيل: أبو مَدْيَن، إبراهيم بن يحيى ابن عثمان بن محمد[٢]، الكلبي الأشهبي الغَزِّي الشاعر المشهور. (ت ٥٢٤). «تاريخ ابن عساكر» و «وفيات الأعيان».

نُقِل عنه أنه كان يقول لما حضرته الوفاة: أرجو أن يغفر الله لي لثلاثة أشياء: كَوْني من بلد الإمام الشافعي، وأني شيخ كبير، وأني غريب. رحمه الله تعالى وحقق رجاءه[٣].

قلت: رحمة الله ومغفرته واسعة، فعسى أن يغفر له ويرحمه لضعفه، وغربته، ومحبته للإمام الشافعي.

المِيْهَنِي

شيخ الشافعية، مجد الدين، أبو الفتح أسعد بن أبي نصر بن الفضل القرشي العُمَري، صاحب التعليقة البديعة. (ت ٥٢٧). «السِّيَر».

قال ابن خَلِّكان[٤]: قال السمعاني في «الذيل»: سمعت أبا بكر محمد

---

(١) «المنتظم» (١٠ / ١٦٥)، وانظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٣ / ١٦٢).

(٢) وفي «تاريخ ابن عساكر»: «إبراهيم بن عثمان بن محمد».

(٣) «وفيات الأعيان» (١ / ٦٠).

(٤) انظر: «وفيات الأعيان» (١ / ٢٠٧).

ابن علي بن عمر الخطيب يقول: سمعت فقيهاً من أهل قَزْوين ـ وكان يخدم الإمام أسعد في آخر عمره بهمذان ـ قال: كنا في بيته وقت أن قرب أجله، فقال لنا: اخرجوا من ههنا، فخرجنا، فوقفت على الباب وتسمَّعْت، فسمعته يلطم وجهه ويقول: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[1]، وجعل يبكي ويلطم وجهه ويردّد هذه الكلمة إلى أن مات، رحمه الله تعالى.

ابن أبي الصَّلْت

العلامة الفيلسوف، الطبيب، الشاعر المجود، أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الداني، صاحب الكتب. (ت ٥٢٨). «السِّيَر».

قال ابن خَلِّكان[2]: نظم أبياتاً وأوصى أن تكتب على قبره، وهي آخر شيء قاله، وهي:

سَكَنْتُكِ يـا دار الفَنَـاء مُصَـدِّقـاً ... بـأنِّـي إلـى دارِ البَقـاء أصيـرُ
وأعْظَمُ ما في الأمْرِ أنِّيَ صائرٌ ... إلى عادلٍ في الحُكْم ليسَ يجورُ
فيا ليت شعري كيف ألقاه عندها ... وزادي قليـلٌ والـذنـوب كثيـرُ
فـإنْ أكُ مَجْـزيّـاً بـذَنْبي فـإنّني ... بشـرِّ عقـابِ المُـذْنِبيـنَ جَـديـرُ
وإنْ يـكُ عَفْـوٌ منه عنِّي ورحمة ... فثَـمَّ نعيـمٌ دائـمٌ وسُـرُورُ

ولما اشتد مرض موته قال لولده عبد العزيز:

عَبْـدَ العـزيـزِ خليفتـي ... ربُّ السمـاءِ عليـكَ بَعْـدِي
أنـا قـد عَهِـدْتُ إليـك مـا ... تَـدْرِيـه فـاحْفَـظْ فيـه عَهْـدي

---

(١) الزمر: ٥٦.
(٢) «وفيات الأعيان» (١ / ٢٤٦).

فلئـــن عملـــتَ بـــه فـــإنـ ـــك لا تـــزال حليـــف رُشْـــدِ
ولئـــنْ نَكَثْـــتَ لقـــد ضللـ ـت وقد نصحتك حَسْبَ جَهْدِي

ابن الخَبَّازَة

محمد بن عبد الله بن أحمد بن حبيب العامري الواعظ، أبو بكر ابن الخَبّازة، كان فقيهاً محدثاً واعظاً صوفياً، عارفاً بمعاني الحديث، رحل في طلبه، وكتب كثيراً، شرح أحاديث كتاب الشهاب القُضاعي. (ت ٥٣٠). «توضيح المشتبه».

قال ابن الجوزي[١]: لما احتُضِر قال له أصحابه: أوصنا، فقال: أوصيكم بثلاث: بتقوى الله، ومراقبته في الخلوة، واحذروا مصرعي هذا، عشت إحدى وستين سنة، وما كأني رأيت الدنيا.

ثم قال لبعض أصحابه: انظر هل ترى جبيني يعرق؟ قال: نعم، فقال: الحمد لله، هذه علامة المؤمن. يريد بذلك قول رسول الله ﷺ: «المُؤْمِنُ يَمُوتُ بِعَرَقِ الجَبِينِ»[٢].

ثم بسط يده عند الموت وقال:

ها قد بسطت يدي إليك فردها بـالفضـل لا بشمـاتـة الأعـداء

قال ابن الجوزي: وهذا البيت لأبي نصر القشيري تمثل به شيخنا هذا، وقال: أرى المشايخ بين أيديهم أطباق وهم ينتظرونني. ثم مات.

* * *

---

(١) «المنتظم» (١٠ / ٢٩٥).

(٢) أخرجه النسائي (٤ / ٦)، وابن ماجه (١٤٥٢)، وغيرهما من حديث بريدة رضي الله عنه، وصححه شيخنا رحمه الله تعالى.

أبو المعالي الغَزّال

أحمد بن منصور بن المؤمَّل، سمع أبا الحسين بن النقور، وأبا نصر الزيني، وغيرهما، وحدث، وكان خيراً، يسقي الأدوية بالمارستان العَضُدي. (ت ٥٣٤). «المنتظم».

قال ابن الجوزي[1]: وكان يعبر الرؤيا، أتاه رجل يوم الجمعة الثامن والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة (يعني: سنة ٥٣٤) فقال: رأيت البارحة في النوم كأنك قدمت في هذا الموضع (وأشار إلى خربة مقترنة بالمارستان). ففكر ساعة ثم قال: ترحموا عليّ، ثم مضى فصلى الجمعة في جامع المنصور، ورجع إلى المارستان فوصل قريباً من الموضع الذي عينه صاحب المنام، فسقط ومات فجأة.

قاضي المَرَسْتان

الشيخ الإمام المتفنن الفَرَضي العدل، مُسْنِد العصر، القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي الخزرجي السَّلَمي الأنصاري البغدادي النَّصري؛ من محلة النصرية، الحنبلي البَزّاز، المعروف بقاضي المَرَسْتَان. (ت ٥٣٥). «السِّيَر».

قال ابن الجوزي[2]: رأيته بعد ثلاث وتسعين صحيح الحواس لم يتغير فيها شيء، ثابت العقل، يقرأ الخط الدقيق من بعد، ودخلنا عليه قبل موته بمديدة فقال: قد نزلتْ في أُذني مادّة وما أسمع. فقرأ علينا من حديثه، وبقي على هذا نحواً من شهرين، ثم زال ذلك وعاد إلى الصحة، ثم مرض،

---

(١) «المنتظم» (١٠ / ٣٢١).

(٢) انظر: «المنتظم» (١٠ / ٣٢٨)، و «تاريخ الإسلام» (٣٦ / ٣٩٣).

فأوصى أن يُعَمَّق قبره زيادة على ما جرت به العادة، وأن يكتب على قبره(!): ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ * أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾[١]، وبقي ثلاثة أيام لا يفتر من تلاوة القرآن، إلى أن توفي قبل الظهر ثاني رجب.

الأنماطي

الشيخ الإمام الحافظ المفيد الثقة المُسْنِد بقية السلف، أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن بن بُنْدار البغدادي الأنماطي. قال ابن الجوزي: كنت أقرأ عليه وهو يبكي، فاستفدتُ ببكائه أكثر من استفادتي بروايته، وانتفعت به ما لم أنتفع بغيره. (ت ٥٣٨). «السِّيَر».

قال ابن الجوزي[٢]: دخلت عليه في مرضه وقد ضنى جسمه وهو ساكن صابر، فقال لي: إن الله سبحانه لا يُتَّهَم في قضائه.

شيخ الشيوخ

الشيخ الصالح، أبو البركات، إسماعيل بن أبي سعد أحمد بن محمد ابن دُوْسْت، الصوفي، شيخ الشيوخ ببغداد. (ت ٥٤١). «تاريخ الإسلام» و «السِّيَر».

قال الذهبي[٣]: قال ابن النجار: سمعت ابن سُكَيْنَة يقول: لما حَضَرَتْ جدي الوفاة كنت حاضراً، وأولاده حوله، وهو في السّياق، فقالت له والدتي: يا سيدي، ما تَجِدُ؟ فما قدر على النُّطق، فكتب على يدها:

---

(١) صٓ: ٦٧ و٦٨.

(٢) «الثبات عند الممات» (ص ٥٧).

(٣) «تاريخ الإسلام» (٣٧/ ٥٧).

﴿رَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾[1].

سعيدة بنت زاهر

ابن طاهر بن محمد، أم خلف الشَّحّاميّة، صالحة عالمة. (ت ٥٤٧). «تاريخ الإسلام».

قال الذهبي[2]: قال ابن السمعاني: وقيل إنها لما مرضت كانت تقرأ سورة الكهف، فلما بلغت إلى قوله: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾[3] ماتت، وذلك في سابع رمضان.

الشِّلْبي

العلامة ذو الفنون، أبو محمد عبد الله بن عيسى بن عبد الله بن أحمد ابن سعيد الأندلسي، من بيت علم ووزارة وقضاء. قال السمعاني: وجدته بحراً لا يُنْزَف في الحديث والفقه والأدب والنحو. (ت ٥٤٨). «السِّيَر» و «بغية الوعاة».

قال السيوطي[4]: ولما أتاه الموت أنشد:

الحمــدُ للَّــهِ ثُــمّ الحمــدُ للَّــهِ   كم ذا عن الموتِ من ساهٍ ومن لاهي
ماذا يرى المرءُ ذو العينين من عُجْبٍ   عند الخروج من الدُّنيا إلى اللَّهِ

* * *

---

(١) الواقعة: ٨٩.
(٢) «تاريخ الإسلام» (٣٧/ ٢٧١).
(٣) الكهف: ١٠٧.
(٤) «بغية الوعاة» (٢/ ٥١).

خُوَارَزْم شاه

صاحب خوارَزم، الملك أتْسِز بن محمد بن أنُوشْتِكِين. (ت ٥٥١). «السِّيَر».

قال الذهبي[١]: كان أتْسِز عادلاً عافاً عن أموال الرعية، مُحَبّباً إليهم، خَيِّراً ذا إحسان.

قال: أصابه فالج فعالجوه بكل ممكن فلم يبرأ، فأعطوه حرارات عظيمة بغير أمر الطبيب، فاشتد مرضه وخارت قواه، ومات في جمادى الآخرة، وكان يقول عند الموت: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۞ هَّلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾[٢].

أبو الوقت

الشيخ الإمام الزاهد الخَيّر الصوفي، شيخ الإسلام، مُسْنِد الآفاق، أبو الوقت عبد الأول بن الشيخ المحدث المعمّر أبي عبد الله عيسى بن شعيب ابن إبراهيم بن إسحق، السِّجْزي، ثم الهَرَوي المالِيني. (ت ٥٥٣). «السِّيَر».

قال يوسف بن أحمد الشيرازي: قال لي: تدفنني تحت أقدام مشايخنا بالشُّونيزيَّة. ولما احتُضِر سندته إلى صدري، وكان مستهتراً بالذكر[٣]، فدخل عليه محمد بن القاسم الصوفي وأكبّ عليه، وقال: يا سيدي، قال النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ الجَنَّةَ»[٤]،

---

(١) «تاريخ الإسلام» (٣٨/ ٤٦ ـ ٤٧).
(٢) الحاقة: ٢٨ و٢٩.
(٣) أي: مُولَعاً به.
(٤) أخرجه أبو داود (٣١١٦) وغيره من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وقد تقدم (صفحة ١٩).

فرفع طرفه إليه وتلا: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾(١). فدهش إليه هو ومن حضر من الأصحاب، ولم يزل يقرأ حتى ختم السورة، وقال: الله الله الله. وتوفي وهو جالس على السجادة(٢).

وقال ابن الجوزي(٣): عزم في هذه السنة(٤) على الحج، فهيّأ ما يحتاج إليه، فمات.

قال: وحدثني أبو عبد الله محمد بن الحسين التكريتي الصوفي قال: أسندته إليّ، فمات، فكان آخر كلمة قالها: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾(٥).

محمد بن يحيى الزَّبِيْدي

الإمام القدوة العابد الواعظ، أبو عبد الله محمد بن يحيى بن علي بن مسلم بن موسى بن عمران القرشي اليمني الزَّبيدي، نزيل بغداد، وجَدُّ المشايخ الرواة، كان له معرفة بالنحو والأدب، وكان صبوراً على الفقر متعففاً. (ت ٥٥٥). «السِّيَر» و «تاريخ الإسلام».

قال الذهبي(٦): قال ابن عساكر: قال ولده إسماعيل: كان أبي في كل يوم وليلة من أيام مرضه يقول: الله الله، نحواً من خمسة عشر ألف مرة، وما زال يقولها حتى طُفِيء.

---

(١) يس: ٢٦ و ٢٧.
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢٠ / ٣٠٨ ـ ٣٠٩).
(٣) «المنتظم» (١٠ / ٤٣٣).
(٤) سنة توفي (٥٥٣).
(٥) يس: ٢٦ و٢٧.
(٦) «سير أعلام النبلاء» (٢٠ / ٣١٨).

قلت: ذكر الله عز وجل بالاسم المفرد لا أصل له، كما بين ذلك شيخ الإسلام رحمه الله تعالى(١).

الوزير ابن هُبَيْرة

الوزير الكامل، الإمام العالم العادل، عون الدين، يمين الخلافة، أبو المظفر يحيى بن محمد بن هُبَيْرة بن سعيد بن الحسن بن جَهْم، الشيباني الدُّوري العراقي الحنبلي، صاحب التصانيف. كان من أعيان الفقهاء الصالحين، جم الفضائل، وافر الحرمة، كبير الشأن، دائم العدل، مات مسموماً شهيداً ببغداد. (ت ٥٦٠). «السِّيَر» و «دول الإسلام».

وقيل(٢): إن سبب موته كان بلغماً ثار بمزاجه، فسُقِيَ مسهلاً فقصر عن استفراغه، فدخل إلى بغداد راكباً متحاملاً إلى المقصورة لصلاة الجمعة، فصلى بها وعاد إلى داره، فلما كان وقت صلاة الصبح عاوده البلغم، فوقع مغشياً عليه، فصرخ الجواري، فأفاق فَسَكَّتَهُنَّ، وبلغ الخبر ولده عز الدين أبا عبد الله محمداً، وكان ينوب عنه في الوزارة، فبادر إليه، فلما دخل عليه قال له: قد بث أستاذ الدار عضد الدين أبو الفرج المعروف بابن المسلمة جماعة ليستعلم ما هذا الصياح، فتبسم الوزير على ما هو عليه من تلك الحال وأنشد:

وكَمْ شامتٍ بي عند مَوْتي جهالةً ... بظلمٍ يسلُّ السَّيْفَ بعد وفاتي
ولـو علـم المسكيـنُ مـاذا ينـالـه ... من الضرِّ بعدي مات قبل مماتي

ثم تناول مشروباً فاستفرغ به، ثم استدعى بماء فتوضأ للصلاة وصلى

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٢٢٩)، وانظر: (١٠ / ٥٦٢).
(٢) انظر: «وفيات الأعيان» (٦ / ٢٤١).

قاعداً، فسجد فأبطأ عن القعود من السجود، فحركوه فإذا هو ميت.

ظَهير الدين الرُّوذْرَاوَرِيّ

الوزير العادل، ظهير الدين، أبو شجاع محمد بن الحسين بن محمد الروذراوري الأصل، الأهوازي المولد. قرأ الفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وقرأ الأدب، وكان كثير التلاوة والتهجد، ويكتب المصاحف، ويجلس للمظالم فينصف المظلوم، ويؤدي عن المحبوس. (ت ٥٦١). «السِّيَر» و «وفيات الأعيان».

قال السمعاني: سمعت من أثق به يقول: إن الوزير أبا شجاع وقت أن قرب أمره وحان ارتحاله من الدنيا حمل إلى مسجد النبي ﷺ، فوقف عند الحظيرة وبكى وقال: يا رسول الله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا**﴾[1]، ولقد جئتك معترفاً بذنوبي وجرائمي أرجو شفاعتك. وبكى ورجع، وتوفي من يومه[2].

قلت: هذه الآية خاصة بحياة النبي ﷺ، فيجيؤونه ﷺ فيطلبون منه أن يستغفر لهم الله عز وجل، فيستشفعون بدعائه لهم، وأما بعد موته ﷺ فلا يشرع هذا أبداً.

عبد الله بن الحسين بن رَوَاحة

ابن إبراهيم بن رواحة، أبو محمد الأنصاري الحموي. كان شاعراً،

---

(١) النساء: ٦٤.

(٢) «وفيات الأعيان» (٥ / ١٣٦).

له يد بيضاء في القراءات، وتهجد في الخلوات. (ت ٥٦١). «تاريخ دمشق».

قال ابن عساكر(١): آخر ما قاله:

إلهي ليس لي مولىً سواكا ... فهب من فضل فضلك لي رضاكا

وإلا ترضى عني فاعف عني ... لعلي أن أحوز به حماكا

فقد يهب الكريم وليس يرضى ... فأنت تحكم في ذا وذاكا

ابن الخشاب

الشيخ الإمام العلامة المحدث، إمام النحو، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر، البغدادي ابن الخشاب، مَنْ يُضرب به المثل في العربية، حتى قيل: إنه بلغ رتبة أبي علي الفارسي. قرأ كثيراً، وحصل الأصول، وفاق أهل زمانه في علم اللسان، وكانت له معرفة تامة بالحديث والهندسة والفلسفة وغير ذلك. (ت ٥٦٧). «السِّيَر» و «تاريخ الإسلام».

قال ابن الجوزي(٢): دخلت عليه في مرض موته وهو ساكن غير منزعج، فقال لي: عند الله أحتسب نفسي.

ابن قُرْقُول

أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديس بن القائد الحَمْزي، صاحب كتاب «مطالع الأنوار» الذي وضعه على مثال كتاب

---

(١) «تاريخ دمشق» (٢٧ / ٤٠٥).

(٢) «الثبات عند الممات» (ص ٥٧)، و «المنتظم» (١٠ / ٥٠٧).

«مشارق الأنوار» للقاضي عياض. كان من الأفاضل، وصحب جماعة من علماء الأندلس. (ت ٥٦٩). «وفيات الأعيان».

لما حضرته الوفاة تلا سورة الإخلاص، وجعل يكررها بسرعة، ثم تشهد ثلاث مرات، وسقط على وجهه ساجداً فوقع ميتاً، رحمه الله تعالى(١).

الملك الصالح إسماعيل

ابن الملك الصالح نورِ الدين، أبو الفتح بن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي التركي. (ت ٥٧٧). «تاريخ الإسلام».

وكان حليماً كريماً، عفيف اليد والفرج واللسان، ملازماً للدين، لا يُعرف له شيء مما يتعاطاه الملوك والشباب من شرب خمر أو غيره، حسن السيرة في رعيته عادلاً فيهم، توفي وعمره نحو تسع عشرة سنة. «الكامل» لابن الأثير.

قال الذهبي(٢): ذكر العفيف بن سُكَّرة اليهودي ـ لا رحمه الله ـ، وكان يطببه قال: قلت له: يا مولانا، والله شفاؤك في قَدَح خمر، وأنا أحمله إليك سراً، ولا تعلم والدتك ولا اللآلا ولا أحد، فقال: كنت أظنك عاقلاً، نبينا ﷺ يقول:

«إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءَ أُمَّتِي فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْهَا»(٣)، وتقول لي أنت

---

(١) «وفيات الأعيان» (١ / ٦٢ ـ ٦٣).

(٢) «تاريخ الإسلام» (٤٠ / ٢٣٦ ـ ٢٣٧).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» في «كتاب الطب» (رقم ٢٣٤٨٢)، والطبراني في «الكبير» (٩ / ٣٤٥ / رقم ٩٧١٤)، عن ابن مسعود موقوفاً عليه، وقال الحافظ في «الفتح» (١٠ / ٧٩): «سنده صحيح على شرط الشيخين»، وأخرجه البخاري (١٠ / ٧٨=

هذا، وما يؤمِّنني أن أشربه وأموت وهو في جوفي؟!

قال ابن الأثير[1]: ولما اشتد مرضه وصف له الأطباء شرب الخمر للتداوي، فقال: لا أفعل حتى أستفتي الفقهاء، فاستفتى فأفتاه فقيه من مدرسي الحنفية بجواز ذلك، فقال له: أرأيت إن قدر الله تعالى بقرب الأجل أيؤخره شرب الخمر؟ فقال له الفقيه: لا، فقال: والله لا لقيت الله سبحانه وقد استعملت ما حرم علي. ولم يشربها.

قال ابن الأثير: فلما أيس من نفسه أحضر الأمراء وسائر الجنود، ووصاهم بتسليم البلد لابن عمه عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي، واستحلفهم على ذلك، فقال له بعضهم: إن عماد الدين ابن عمك أيضاً، وهو زوج أختك، وكان والدك يحبه ويؤثره، وهو تولى تربيته، وليس له غير سِنْجار، فلو أعطيته البلد لكان أصلح، وعز الدين له من البلاد من الفرات إلى هَمَذان، ولا حاجة به إلى بلدك. فقال له: إن هذا لم يغب عني، ولكن قد علمتم أن صلاح الدين قد تغلب على عامّة بلاد الشام سوى ما بيدي، ومتى سلّمتُ حلب إلى عماد الدين يعجز عن حفظها، وإن ملكها صلاح الدين لم يبق لأهلنا معه مقام، وإن سلمتها إلى عز الدين أمكنه حفظها بكثرة عساكره وبلاده. فاستحسنوا قوله وعجبوا من جودة فطنته مع شدة مرضه وصغر سنه، ثم مات.

نجم الدين

الفقيه أبو العلاء بن شرف الإسلام أبي البركات عبدِ الوهاب بن الشيخ

= ـ فتح) معلقاً من قول ابن مسعود أيضاً، ولفظه عندهم: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءَكُمْ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ».

(١) «الكامل في التاريخ» (١١ / ٤٧٢ ـ ٤٧٣).

أبي الفرج عبد الواحد بن محمد الأنصاري الخَزْرَجي السَّعدي العُبَادي الشيرازي ثم الدمشقي الحنبلي، والد الناصح. (ت ٥٨٦). «طبقات الحنابلة» و «تاريخ الإسلام».

قال ولده ناصح الدين عبد الرحمن: لما مرض مرض الموت رآني وقد بكيت، فقال: أيش بك؟ فقلت: خير، فقال: لا تحزن علي؛ أنا ما توليت قضاء ولا شحنكية ولا حبست ولا ضربت ولا دخلت بين الناس ولا ظلمت أحداً، فإن كان لي ذنوب فبيني وبين الله عز وجل، ولي ستون سنة أفتي الناس، والله ما حابيت في دين الله تعالى(١).

السلطان صلاح الدين الأيوبي

السلطان الكبير، الملك الناصر، صلاح الدين، أبو المظفر، يوسف ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب، الدُّوِيْني، ثم التكريتي المولد، روى الحديث، وملك البلاد، ودانت له العباد، وافتتح الفتوحات، وكسر الفرنج مرات، وجاهد في سبيل الله بنفسه وماله، وكان خليقاً للإمارة، مهيباً شجاعاً حازماً مجاهداً، كثير الغزو، عالي الهمة، وأقام في السلطنة أربعاً وعشرين سنة. (ت ٥٨٩). «السِّيَر» و «تاريخ الإسلام».

قال الذهبي(٢): ذكر أبو جعفر القرطبي إمام الكلاّسة: إنني انتهيت في القراءة إلى قوله تعالى: ﴿ **هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ** ﴾(٣)، فسمعت صلاح الدين وهو يقول: صحيح. وكان ذهنه قبل

---

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» (١ / ٣٦٨).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢١ / ٢٨٨).

(٣) الحشر: ٢٢.

ذلك غائباً، ثم مات.

قال الذهبي[1]: وهذه يقظة عند الحاجة.

ابن الجوزي

الشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر، شيخ الإسلام، مفخر العراق، جمال الدين، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي، الواعظ، صاحب التصانيف. (ت ٥٩٧). «السِّيَر».

قال سبطه: جلس جدي تحت تربة أم الخليفة عند معروف الكرخي، وكنت حاضراً، فأنشد أبياتاً قطع عليها المجلس، وهي:

اللَّـهَ أسـألُ أن يُطَـوِّل مُـدّتـي ... لأنـال بـالإنعـام مـا فـي نِيَّتـي

لي هِمّة في العلم ما إنْ مِثْلُها ... وهي التي جنت النحول هي التي

خُلِقَتْ من العِلْق العظيم إلى المُنى ... دُعِيَتْ إلـى نيـل الكمـال فَلَبَّتِ

كم كان لي من مجلسٍ لو شُبِّهَتْ ... حـالاتُـه لتشبهـتْ بـالجَنَّـةِ

أشتـاقُـهُ لمـا مَضَـتْ أيـامُـه ... عُطْـلاً وتُعْـذَرُ نـاقـةٌ إن حَنَّـتِ

يـا هَـلْ لِلَيْـلاتٍ بِجَمْـعٍ عَـوْدَةٌ ... أم هل على وادي مِنىً من نَظْرَةِ

قد كان أحلى من تصاريف الصّبا ... ومـن الحمـام مُغَنِّيـاً فـي الأيْكَـةِ

فيـه البَـدِيهَـاتُ التـي مـا نـالهـا ... خلـقٌ بغيـر مُخَمّـر ومُبَيَّـتِ

في أبيات. ونزل فمرض خمسة أيام، وتوفي ليلة الجمعة بين العشاءين، الثالث عشر من رمضان، سنة سبع وتسعين وخمس مئةٍ، في

(١) «تاريخ الإسلام» (٤١ / ٣٥٣).

داره بقَطُفْتا.

وحكت لي أمي أنها سمعته يقول قبل موته: أيش أعمل بطواويس؟! ـ يرددها ـ، قد جبتم لي هذه الطواويس![1].

وذكر بعضهم أنه كان ينشد حال احتضاره[2]:

يا كثير العفو عَمَّنْ كَثُرَ الذنبُ لديه
جاءك المذنبُ يرجو الصفحَ عن جُرْمِ يديه
أنا ضيفٌ وجزاء الضيف إحسانٌ إليه

عبد الغني المقدسي

الإمام العالم، الحافظ الكبير، الصادق القدوة العابد الأثري المُتَّبِع، عالم الحفاظ، تقي الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، الجَمَّاعيلي، ثم الدمشقي المنشأ، الصالحي، الحنبلي، صاحب «الأحكام الكبرى» و«الصغرى». (ت ٦٠٠). «السِّيَر».

قال الحافظ الضياء المقدسي: وسمعت الحافظ أبا موسى (يعني: ابن الحافظ عبد الغني) قال: مرض والدي رحمه الله في ربيع الأول سنة ستمئة مرضاً شديداً منعه من الكلام والقيام، واشتد به مدة ستة عشر يوماً، وكنت كثيراً ما أسأله: ما تشتهي؟ فيقول: أشتهي الجنة، أشتهي رحمة الله تعالى. لا يزيد على ذلك.

فلما كان يوم الإثنين جئت إليه، وكان عادتي أبعث من يأتي كل يوم

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢١ / ٣٧٨ ـ ٣٧٩).

(٢) آخر مقدمة كتاب «التحقيق في أحاديث الخلاف»، ولم أعثر عليها فيما قاله عند احتضاره، وإنما ذكر سبطه أنه أوصى أن تكتب على قبره، والله أعلم.

بكرة بماء حار من الحمام يغسل أطرافه، فلما جئنا بالماء على العادة مدّ يده، فعرفت أنه يريد الوضوء، فوضأته وقت صلاة الفجر، ثم قال: يا عبد الله، قم فصل بنا وخفف. فقمت فصليت بالجماعة، وصلى معنا جالساً، فلما انصرف الناس جئت فجلست عند رأسه وقد استقبل القبلة، فقال لي: اقرأ عند رأسي سورة (يسٓ). فقرأتها، فجعل يدعو الله وأنا أُؤمن، فقلت: ههنا دواء قد عملناه تشربه؟ فقال: يا بني، ما بقي إلا الموت. فقلت: ما تشتهي شيئاً؟ قال: أشتهي النظر إلى وجه الله تعالى. فقلت: ما أنت عني راض؟ قال: بلى والله، أنا عنك راض وعن إخوتك، وقد أجزت لك ولإخوتك ولابن أختك إبراهيم.

قال: وسمعت أبا موسى يقول: أوصاني أبي عند موته: لا تضيعوا هذا العلم الذي تعبنا عليه (يعني الحديث). فقلت: ما توصي بشيء؟ قال: ما لي على أحد شيء، ولا لأحد علي شيء. قلت: توصيني بوصية؟ قال: يا بني، أوصيك بتقوى الله والمحافظة على طاعته. فجاء جماعة يعودونه، فسلموا عليه فرد عليهم، وجعلوا يتحدثون، ففتح عينيه وقال: ما هذا الحديث؟ اذكروا الله تعالى، قولوا: لا إله إلا الله. فقالوها، ثم قاموا، فجعل يذكر الله ويحرك شفتيه بذكره ويشير بعينيه، فدخل رجل فسلم عليه وقال له: ما تعرفني يا سيدي؟ فقال: بلى. فقمت لأناوله كتاباً من جانب المسجد، فرجعت وقد خرجت روحه(١).

فخر الدين الرازي

العلامة الكبير، ذو الفنون، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستاني الأصولي المفسر، كبير الأذكياء والحكماء

---

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢ / ٢٨ ـ ٢٩).

والمصنفين. اشتغل على أبيه الإمام ضياء الدين خطيب الرَّيّ، وانتشرت تواليفه في البلاد شرقاً وغرباً، وكان يتوقد ذكاءً، وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنة، والله يعفو عنه، فإنه توفي على طريقة حميدة، والله يتولى السرائر. (ت ٦٠٦). «السِّيَر».

عن محمود بن عمر الرازي قال: سمعت الإمام فخر الدين يوصي بهذه الوصية لما احتُضِر لتلميذه إبراهيم بن أبي بكر الأصبهاني: يقول العبد الراجي رحمة ربه، الواثق بكرم مولاه؛ محمد بن عمر بن الحسن الرازي، وهو أول عهده بالآخرة، وآخر عهده بالدنيا، وهو الوقت الذي يلين فيه كل قاسي، ويتوجه إلى مولاه كل آبق.

وهي وصية طويلة، وفيها:

وأقول: ديني متابعة الرسول محمد ﷺ، وكتابي القرآن العظيم، وتعويلي في طلب الدين عليهما، اللهم يا سامع الأصوات، ويا مجيب الدعوات، ويا مقيل العثرات، أنا كنت حسن الظن بك، عظيم الرجاء في رحمتك، وأنت قلت: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»[1]. وأنت قلت: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[2]. فهب أني ما جئتُ بشيء، فأنت الغني الكريم، فلا تخيب رجائي، ولا ترد دعائي، واجعلني آمناً من عذابك؛ قبل الموت، وبعد الموت، وعند الموت، وسهل علي سكرات الموت، فإنك أرحم الراحمين[3].

وفيها: لقد تأمّلتُ الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ

---

(١) تقدم (صفحة ٢٢).

(٢) النمل: ٦٢.

(٣) «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٤ / ٢٨٨ ـ ٢٨٩).

﴿ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[1]، ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ﴾[2]، وأقرأ في النفي: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[3]. ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي[4].

أبو عمر المقدسي

الإمام العالم الفقيه المقرىء المحدث البركة شيخ الإسلام، أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي الجمّاعيلي الحنبلي الزاهد، واقف المدرسة. كان قدوة صالحاً عابداً قانتاً لله ربانياً خاشعاً مخلصاً، عديم النظير، كبير القدر، كثير الأوراد والذكر والمروءة والفتوة والصفات الحميدة، قل أن ترى العيون مثله. (ت ٦٠٧). «السِّيَر».

عن آسية بنت محمد، وهي التي كانت تلازم أبا عمر في مرضه، قالت: مات وهو عاقد على أصابعه. يعني يُسَبِّح[5].

قال الضياء: سمعت آسية بنت محمد بن خلف تقول: لما كان اليوم الذي توفي فيه سيدي وصانا فيه واستقبل القبلة وقال: اقرؤوا ﴿يسٓ﴾. وكان يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[6]، اللهم ثبتكم على الكتاب والسنة[7].

وفي «ذيل طبقات الحنابلة»[8]: ووصاهم بتقوى الله ومراقبته.

---

(١) طه: ٥.
(٢) فاطر: ١٠.
(٣) الشورى: ١١.
(٤) «سير أعلام النبلاء» (٢١ / ٥٠١).
(٥) انظر: «تاريخ الإسلام» (٤٣ / ٢٦٧).
(٦) البقرة: ١٣٢.
(٧) «تاريخ الإسلام» (٤٣ / ٢٧٥).
(٨) (٢ / ٥٩).

ابن بَكْروس

إبراهيم بن الفقيه علي بن أبي بكر محمد بن المبارك بن أحمد بن بَكْروس، الفقيه أبو محمد الحنبلي المُعَدَّل، عني بالحديث أتم عناية، وبرع وأفتى وناظر، ثم انخلع من ذلك وصار صاحب خبر بباب النُّوبي، وتغيرت أحواله، وأساء السيرة بكثرة الأذى والمصادرة والجنايات للناس. (ت ٦١١). «الذيل على طبقات الحنابلة» و «تاريخ الإسلام».

ذكر القادسي: أنه أنشد قبل موته مستشهداً لغيره:

قضيتُ نَحْبِي فَسُرَّ قومٌ ... بهم غفلة ونومُ

قد كان يومي عليّ حَتْمٌ ... أليس للشّامِتين يومُ

فقرأ سورة ﴿يسٓ﴾، فلما بلغ إلى قوله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[1]، جعل يكررها إلى أن مات[2].

الظاهر

سلطان حلب، الملك الظاهر، غياث الدين، أبو منصور، غازي بن السلطان صلاح الدين الأيوبي. كان كريماً معطاءً، له عقل وغور ودهاء وفكر صائب. (ت ٦١٣). «السِّيَر».

قال ابن واصل: لما اشتد به المرض قيل: إنه كان يفيق ويتشهد ويقول: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾، اللهم بك أستجير، وبرحمتك أثق[3].

---

(١) يس: ٥٣.

(٢) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢ / ٧٠).

(٣) «تاريخ الإسلام» (٤٤ / ١٦١).

العماد المقدسي

الشيخ الإمام العالم الزاهد القدوة الفقيه، بركة الوقت، عماد الدين، أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي الجَمّاعيلي، أخو الحافظ عبد الغني. توفي فجأة، وكان صلى المغرب بالجامع، وكان صائماً. (ت ٦١٤). «السِّيَر».

قال الضياء: توفي رحمه الله ليلة الخميس، وكان صلى تلك الليلة المغرب بالجامع، ثم مضى إلى البيت، وكان صائماً، فأفطر على شيء يسير.

قال: وحكي عنه أنه لما جاءه الموت جعل يقول: يا حي يا قيوم، لا إله إلا أنت، برحمتك أستغيث فأغثني. واستقبل القبلة وتشهد ومات رحمه الله[1].

فخر الدين بن عساكر

الشيخ الإمام العالم القدوة المفتي، شيخ الشافعية، فخر الدين أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الدمشقي الشافعي. قال القوصي: كان كثير البكاء سريع الدموع، كثير الورع والخشوع، وافر التواضع والخضوع، كثير التهجد قليل الهجوع، مبرزاً في علمي الأصول والفروع. (ت ٦٢٠). «السِّيَر».

قال أبو شامة: أخبرني من حضره قال: صلى الظهر، وجعل يسأل عن العصر، وتوضأ ثم تشهد وهو جالس وقال:

رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، لقّنني الله حجتي،

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢ / ١٠٤).

وأقالني عثرتي، ورحم غربتي، وآنس وحدتي.

ثم قال: وعليكم السلام. فعلمنا أنه حضرت الملائكة، ثم انقلب ميتاً[١].

المُوَفَّق

الشيخ الإمام القدوة العلامة المجتهد شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي الجمّاعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، صاحب «المغني». (ت ٦٢٠). «السِّيَر».

قال الضياء: سمعت أختاي؛ زينب وآسية تقولان: لما جاء خالنا الموتُ هللنا فهلل، وجعل يستعجل في التهليل حتى توفي، رحمه الله[٢].

فخر الدين ابن تيمية

الشيخ الإمام العلامة المفتي المفسر الخطيب البارع عالم حَرّان وخطيبها وواعظها، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله ابن تيمية الحراني الحنبلي. (ت ٦٢٢). «السِّيَر».

قال ابن رجب[٣]: قرأت بخط ولده: لما مات الوالد كان في الصلاة؛ لأني ذكّرته بصلاة العصر، وأخذته إلى صدري، فكبر وجعل يحرك حاجبه

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢٢ / ١٨٩).
(٢) «تاريخ الإسلام» (٤٤ / ٤٩٤).
(٣) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢ / ١٥٨).

وشفتيه بالصلاة حتى شخص بصره، رحمه الله تعالى.

جِنْكِزخان

ملك التتار وسلطانهم الأول، الذي خرب البلاد، وأفنى العباد، واستولى على المماليك، وليس للتتار ذكر قبله، إنما كانت طوائف المغول بادية بأراضي الصين فقدموه عليهم، فهزم جيوش الخطا واستولى على ممالكهم، ثم على تركستان وإقليم ما وراء النهر، ثم إقليم خراسان وبلاد الجبل وغير ذلك، وأذعنت بطاعته جميع التتار، وأطاعوه في كل شيء، ولم يكن يتقيد بدين الإسلام ولا بغيره، وقَتْلُ المسلم أهون عنده من قتل البرغوث، وله شجاعة مفرطة وعقل وافر ودهاء ومكر، وأول مظهره كان في سنة تسع وتسعين وخمس مئة. (ت ٦٢٤). «السِّيَر».

لما احتُضِر أوصى أولاده بالاتفاق وعدم الافتراق، وضرب لهم في ذلك الأمثال، وأحضر بين يديه نشاباً وأخذ سهماً أعطاه لواحد منهم فكسره، ثم أحضر حزمة ودفعها إليهم مجموعة، فلم يطيقوا كسرها، فقال: هذا مثلكم إذا اجتمعتم واتفقتم، وذلك مثلكم إذا انفردتم واختلفتم[١].

قلت: ونظم هذا المثل الشاعر فقال:

تأبى العصي إذا اجتمعن تكسراً وإذا افترقن تكسرت آحادا[٢]

المعظم

السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى بن محمد العادل، الحنفي

---

(١) «البداية والنهاية» (١٣ / ١٢١).

(٢) وانظر: (صفحة ١٦٧).

الفقيه، صاحب دمشق. قال الضياء الحافظ: كان المعظم شجاعاً فقيهاً، يشرب المسكر، وأسس ظلماً كثيراً، وخَرَّب بيت المقدس. (ت ٦٢٤). «السِّيَر».

قال ابن الأثير[١]: كان حسن الاعتقاد، يقول كثيراً: إن اعتقادي في الأصول ما سطّره أبو جعفر الطحاوي، ووصَّى عند موته بأن يكفن في البياض، ولا يجعل في أكفانه ثوب فيه ذهب، وأن يدفن في لحد، ولا يُبنى عليه بناء، بل يكون قبره في الصحراء تحت السماء.

ويقول في مرضه: لي عند الله تعالى في أمر دمياط[٢] ما أرجو أن يرحمني به.

الأشرف

صاحب دمشق، السلطان الملك الأشرف، مظفر الدين أبو الفتح موسى شاه أرمن بن العادل وأخو المعظم. (ت ٦٣٥). «السِّيَر».

قال أبو المظفر بن الجوزي: كنت أغشى الأشرف في مرضه لما أحس بوفاته، فقلت له: استعد للقاء الله فما يضرك؟ قال: لا والله، بل ينفعني. ففرق البلاد، وأعتق مئتي نفس من مملوك وجارية، ووقف دار فَرُّخْشاه التي يقال لها: دار السعادة، وبستان النَّيْرَب على ابنته، وأوصى لها بجميع الجواهر[٣].

قال: وكان آخر كلامه «لا إله إلا الله»[٤].

---

(١) «الكامل» (١٢ / ٤٧٢).

(٢) راجع «الكامل» لابن الأثير (١٢ / ٣٢٦، وما بعدها).

(٣) «تاريخ الإسلام» (٤٦ / ٢٧١).

(٤) «تاريخ الإسلام» (٤٦ / ٢٧٣).

وقال ابن واصل: وقد تاب الأشرف في مرضه، وأظهر الابتهال والاستغفار والذكر إلى أن توفي تائباً وختم له بخير[1].

الكامل

السلطان الكبير الملك الكامل ناصر الدنيا والدين، أبو المعالي وأبو المظفر محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وأخو المعظم والأشرف، وكان أجل الثلاثة وأرفعهم رتبة. (ت ٦٣٥). «السِّيَر».

قال الشريف العماد البُصْرَوي: حكى لي الخادم قال: طلب مني الكامل طُسْتاً يتقيأ فيه فأحضرته، وجاء الناصر داود فوقف على الباب ليعوده، فقلت: داود على الباب، فقال: ينتظر موتي؟! وانزعج، وخرجت، فنزل داود إلى دار سامة، ثم دخلت إلى السلطان، فوجدته قد مات وهو مكبوب على المِخَدَّة[2].

المسعود أقسيس بن محمد

صاحب اليمن، الملك المسعود أقسيس بن السلطان الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب. كان شهماً شجاعاً زَعْراً ظلوماً، وقمع الزيدية والخوارج. (ت ٦٢٦). «السِّيَر».

قال الذهبي[3]: كانت أثقاله على ما نقل أبو المظفر في خمس مئة مركب، ومعه ألف خادم، ومئة قنطار عنبر وعود، ومئة ألف ثوب، ومئة صندوق مالاً، فقدم مكة وقد أصابه فالج، ولما احتُضِر قال:

---

(١) «تاريخ الإسلام» (٤٦ / ٢٧٢).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢٢ / ١٣٠).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢٢ / ٣٣١).

والله ما أرضى من مالي كفناً. ثم بعث إلى فقير فقال: تصدق عليّ بكفن.

ابن الفارض

شاعر الوقت، شعره في الذروة لا يلحق شأوه. شرف الدين عمر بن علي بن مُرْشِد الحَمَوي ثم المصري، صاحب الاتحاد[1] الذي قد ملأ به التائية، فإن لم يكن في تلك القصيدة صريح الاتحاد الذي لا حيلة في وجوده فما في العالم زندقة ولا ضلال. (ت ٦٣٢). «السِّيَر».

قال شيخ الإسلام[2]: حدثني الشيخ رشيد الدين بن المعلم، عن الشيخ إبراهيم الجعبري؛ أنه حضر ابن الفارض عند الموت وهو ينشد:

إن كان منزلتي في الحب عندكم ... ما قد لقيت فقد ضيعت أيامي
أمنيّة ظفرتْ نفسي بها زمناً ... واليوم أحسبها أضغاث أحلامِ

قال شيخ الإسلام[3]: ذلك أنه كان يتوهم أنه هو الله، وأنه ما ثَمّ مرد إليه ومرجع إليه غير ما كان هو عليه، فلما جاءته ملائكة الله تنزع روحه من جسمه، وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب، تبين له أن ما كان عليه أضغاث أحلام من الشيطان.

الناصر داود

السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبو المفاخر داود بن السلطان

(١) يعني: وحدة الوجود.
(٢) «مجموع الفتاوى» (٢ / ٢٤٦ و٢٦٧).
(٣) «مجموع الفتاوى» (٢ / ٢٦٨).

الملك المعظم عيسى بن العادل. (ت ٦٥٦). «السِّيَر».

حكى المظفر غازي ولد الناصر بعد مرض والده وشكايته، فقال: فلما كان في آخر النهار قال: ما بقي فيّ رجاء، فتهيأ في تجهيزي. فبكيت وبكى الحاضرون، فقال: لا تكن إلا رجلاً، لا تعمل عمل النساء. وأوصاني بأهله وأولاده، ثم قمت في الليلة في حاجة فحدثني بعض من تركته عنده من أهله؛ أنه أفاق مرعوباً فقال: بالله تقدموا إلي فإني أجد وحشة. فسئل: مم ذلك؟ فقال: أرى صفاً عن يميني فيهم أبو بكر وسعد وصورهم جميلة وثيابهم بيض، وصفاً عن يساري صورهم قبيحة، فيهم أبدان بلا رؤوس، هؤلاء يطلبوني وهؤلاء يطلبوني، وأنا أريد أروح إلى أهل اليمين، وكلما قال لي أهل الشمال مقالتهم قلت: والله ما أجيء إليكم خلوني. ثم أغفى إغفاءة ثم استيقظ فقال: الحمد لله خلصت منهم[١].

العز الإِرْبِلِي الضرير

العلامة المتفنن الفيلسوف الأصولي، عز الدين حسن بن محمد بن أحمد بن نجا الإِرْبِلِيّ، الضرير، الرافضي، نزيل دمشق. كان باهراً في علوم الأوائل، أقرأ في بيته مدة، وكان يقرىء الفلاسفة والمسلمين والذمة، وله هيبة وصولة، إلا أنه كان يخل بالصلوات، وطويته خبيثة، وكان قذراً لا يتوقى النجاسات، ابتلي بأمراض وعُمِّرَ، وكان أحد الأذكياء. (ت ٦٦٠). «السِّيَر».

قال عز الدين بن أبي الهيجا: لازمت العز الضرير يوم موته، فقال: هذه البِنْية قد تحللت وما بقي يُرْجى بقاؤها. واشتهى أرز بلبن فعُمِل له

(١) انظر: «تاريخ الإسلام» (٤٨ / ٢٤٩).

وأكل منه، فلما أحس بشروع خروج الروح منه قال: قد خرجت الروح من رجلي، ثم قال: قد وصلت إلى صدري، فلما أراد المفارقة بالكلية تلا هذه الآية: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(١)، ثم قال: صدق الله العظيم، وكذب ابن سينا. ثم مات(٢).

العفيف التِّلمساني

سليمان بن علي بن عبد الله بن علي، الأديب الشاعر، أحد زنادقة الصوفية، قال بعضهم(٣): هو لحم خنزير في صحن صيني. (ت٦٩٠). «شذرات الذهب».

قال الشيخ برهان الدين بن الفاشوشة الكتبي: دخلت عليه يوم مات فقلت له: كيف حالك؟ قال: بخير، من عرف الله كيف يخاف(٤)؟ والله مذ عرفته ما خفته، وأنا فرحان بلقائه(٥).

قلت: بئس ما قال، وبئست الخاتمة، فإن من عرف الله خافه، وقد بينت في كتابي «الخوف من الله» كيف أن معرفة الله تعالى من موجبات الخوف منه سبحانه، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(٦).

فمن كان بالله أعرف كان له أخشى. كما قال شيخ الإسلام وغيره.

ونبه على ذلك النبي ﷺ بقوله: «وَاللَّهِ إِنِّي أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ

---

(١) الملك: ١٤.
(٢) «فوات الوفيات» (١ / ٣٦٢).
(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢ / ٤٧٢).
(٤) في «فوات الوفيات» (٢ / ٧٢): «من عرف الله كيف يخافه».
(٥) «شذرات الذهب» (٥ / ٤١٣).
(٦) فاطر: ٢٨.

خَشْيَةً»[1].

قلت: ويحكى عنه عند الموت خلاف ما تقدم من دعوى، فقال شيخ الإسلام[2]: حدثني بعض أصحابنا، عن بعض مَن أعرفه وله اتصال بهؤلاء عن الفاجر التلمساني؛ أنه وقت الموت تغير واضطرب، قال: دخلت عليه وقت الموت فوجدته يتأوه، فقلت له: مِمّ تتأوه؟ فقال: من خوف الفوت، فقلت: سبحان الله! ومثلك يخاف الفوت وأنت تُدْخِل الفقير إلى الخلوة فتوصله إلى الله في ثلاثة أيام؟! فقال ما معناه: زال ذلك كله، وما وجدت لذلك حقيقة!

شيخ الإسلام

الشيخ الإمام العلامة، الحافظ الناقد، الفقيه المجتهد، المفسر البارع، شيخ الإسلام، علم الزهاد، نادرة العصر، تقي الدين أبو العباس أحمد بن المفتي شهاب الدين عبد الحليم بن الإمام المجتهد شيخ الإسلام مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني، أحد الأعلام، برع في الرجال وعلل الحديث وفقهه وفي علوم الإسلام وعلم الكلام وغير ذلك، وكان من بحور العلم، ومن الأذكياء المعدودين، والزهاد الأفراد، والشجعان الكبار، والكرماء الأجواد، أثنى عليه الموافق والمخالف، وسارت بتصانيفه الركبان، لعلها ثلاث مائة مجلد. (ت ٧٢٨). «تذكرة الحفاظ».

قال الإمام عمر بن علي البزار[3]: أخبرني غير واحد ممن كان حاضراً

---

(١) متفق عليه.
(٢) «مجموع الفتاوى» (٢ / ٢٦٨).
(٣) «الأعلام العلية» (ص ٥١).

بدمشق حين وفاته رضي الله عنه قال: إن الشيخ قدس الله روحه مرض أياماً يسيرة، وكان إذ ذاك الملك شمس الدين الوزير بدمشق المحروسة، فلما علم بمرضه استأذن في الدخول عليه لعيادته، فأذن الشيخ له، فلما جلس عنده أخذ يعتذر له عن نفسه، ويلتمس منه أن يحلله مما عساه أن يكون وقع منه في حقه من تقصير أو غير ذلك، فأجابه الشيخ رضي الله عنه؛ بأني قد أحللتك وجميع من عاداني وهو لا يعلم أني على الحق. وقال ما معناه: إني قد أحللت السلطان المعظم الملك الناصر من حبسه إياي لكونه فعل ذلك مقلداً غيره معذوراً، ولم يفعله لحظ نفسه، بل لِما بلغه مما ظنه حقاً من مبلغه، والله يعلم أنه بخلافه، وقد أحللت كل واحد مما بيني وبينه إلا من كان عدواً لله ورسوله.

قال: ثم إن الشيخ رضي الله عنه بقي إلى ليلة الإثنين العشرين من ذي القعدة الحرام، وتوفي إلى رحمة الله تعالى ورضوانه في بكرة ذلك اليوم، وذلك من سنة ثمان وعشرين وسبعمئة، وهو على حاله مجاهداً في ذات الله تعالى صابراً محتسباً، لم يجبن ولم يهلع ولم يضعف ولم يتتعتع، بل كان إلى حين وفاته مشتغلاً بالله عن جميع ما سواه.

وأخبر أخوه زين الدين عبد الرحمن: أنه ختم هو والشيخ منذ دخلا القلعة ثمانين ختمة، وشرعا في الحادية والثمانين، فانتهيا إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ * فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[1]، فشرع حينئذ الشيخان الصالحان: عبد الله بن المحب الصالحي، والزرعي الضرير ـ وكان الشيخ يحب قراءتهما ـ فابتدآ من «سورة الرحمن» حتى ختما القرآن[2].

---

(١) القمر: ٥٤ و٥٥.

(٢) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢ / ٤٠٦).

قال ابن رجب: وكانت وفاته في سحر ليلة الإثنين.

فخر الدين البعلي

أبو بكر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن محمد ابن نصر البعلي ثم الدمشقي، الحنبلي الفقيه المحدث. (ت ٧٣٢). «الذيل على طبقات الحنابلة».

قال ابن رجب[١]: أخبرني بعض أقاربه وكان يخدمه في مرضه الذي توفي فيه، قال: آخر ما سمعت عند موته أن قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ قَوْلِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»[٢]. ثم مات.

المِزِّي

أبو الحجاج يوسف بن الزَّكي عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الملك القضاعي الكَلْبي الدمشقي. (ت ٧٤٢).

قال الإمام الذهبي[٣]: هو الإمام الأوحد العالم الحجة المأمون، شرف المحدثين، عُمدة النقاد، شيخنا وصاحب مُعضلاتنا، بارك الله في عمره وحسناته، ورفع في عليين درجاته، شرع في طلب الحديث وله عشرون سنة، فسمع ورحل، وبرع في فنون الحديث؛ معانيه ولغاته، وفقهه وعلله، وصحيحه وسقيمه، ورجاله، فلم نر مثله في معناه، ولا هو رأى مثل نفسه، مع الإتقان والصدق وحسن الخَطّ والديانة وحسن الأخلاق،

---

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢ / ٤٢٠).

(٢) تقدم مراراً، انظر: (صفحة ٣٣٨).

(٣) نقلاً عن «طبقات علماء الحديث» لابن عبد الهادي (٤ / ٢٧٨ ـ ٢٧٩).

والسمت الحسن، والهدي الصالح، والتصون والخير، والاقتصاد في المعيشة واللباس، والملازمة للأشغال والسماع، مع العقل التام والرزانة والفهم وصحة الإدراك.

قال الحافظ ابن كثير(١): تمرض أياماً يسيرة مرضاً لا يشغله عن شهود الجماعة وحضور الدروس وإسماع الحديث، فلما كان يوم الجمعة حادي عشر صفر أسمع الحديث إلى قريب وقت الصلاة، ثم دخل منزله ليتوضأ ويذهب للصلاة، فاعترضه في باطنه مغص عظيم، ظن أنه قولنج وما كان إلا طاعون، فلم يقدر على حضور الصلاة، فلما فرغنا من الصلاة أُخبرت أنه منقطع، فذهبت إليه فدخلت عليه فإذا هو يرتعد رعدة شديدة من قوة الألم الذي هو فيه: فسألته عن حاله فجعل يكرر: الحمد لله. ثم أخبرني بما حصل له من المرض الشديد، وصلى الظهر بنفسه، ودخل إلى الطهارة، وتوضأ على البركة وهو في قوة الوجع، ثم اتصل به هذا الحال إلى الغد من يوم السبت.

فلما كان وقت الظهر لم أكن حاضره إذ ذاك، لكن أخبرتنا بنته زينب زوجتي؛ أنه لما أذن الظهر تغير ذهنه قليلاً، فقالت: يا أبة، أذن الظهر، فذكر الله وقال: أريد أن أصلي. فتيمم وصلى ثم اضطجع، فجعل يقرأ آية الكرسي حتى جعل لا يفيض بها لسانه، ثم قُبضتْ روحه بين الصلاتين، رحمه الله.

ابن عبد الهادي

الشيخ الإمام العالم العلامة الناقد، البارع في فنون العلوم، شمس

---

(١) «البداية والنهاية» (١٤/ ١٩١ ـ ١٩٢).

الدين محمد بن الشيخ عماد الدين أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي، لم يبلغ الأربعين[1] وحصل من العلوم ما لا يبلغه الشيوخ الكبار، وتفنن في الحديث والنحو والتصريف والفقه والتفسير والأصلين والتاريخ والقراءات، وله مجاميع وتعاليق مفيدة كثيرة، وكان حافظاً جيداً لأسماء الرجال وطرق الحديث، عارفاً بالجرح والتعديل، بصيراً بعلل الحديث، حسن الفهم له، جيد المذاكرة، صحيح الذهن، مستقيماً على طريقة السلف، واتباع الكتاب والسنة، مثابراً على فعل الخيرات. (ت ٧٤٤). «البداية والنهاية».

قال الحافظ ابن كثير[2]: مرض قريباً من ثلاثة أشهر بقرحة وحمى سل، ثم تفاقم أمره، وأفرط به إسهال، وتزايد ضعفه إلى أن توفي يوم الأربعاء عاشر جمادى الأولى قبل أذان العصر، فأخبرني والده أن آخر كلامه أن قال:

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين.

الذَّهبي

الإمام العلامة الحافظ البارع المقرىء المتقن، المحدث الكبير، الناقد البصير، المؤرخ الشهير، إمام وقته، وحافظ زمانه، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني ثم الدمشقي المعروف بالذهبي، له التصانيف الكثيرة، وقد بلغت فيما قيل أكثر من مئتي مؤلف؛ من كتب وأجزاء ورسائل ومختصرات ومعاجم وغيرها. (ت ٧٤٨).

---

(١) ولد سنة خمس أو ست وسبعمئة. «تذكرة الحفاظ» (٤ / ١٥٠٨).

(٢) «البداية والنهاية» (١٤ / ٢١٠).

قال تلميذه تاج الدين السبكي[1]: توفي في ليلة الإثنين ثالث ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبعمئة، بالمدرسة المنسوبة لأم الصالح في قاعة سكنه، ورآه الوالد رحمه الله قبل المغرب وهو في السياق، وقال له: كيف تجدك؟ فقال: في السياق، ثم سأله: أدخل وقت المغرب؟ فقال له الوالد: ألم تصل العصر؟ فقال: بلى، ولكن لم أصل المغرب إلى الآن. وسأل الوالد رحمه الله عن الجمع بين المغرب والعشاء تقديماً، فأفتاه بذلك، ففعله، ومات بعد العشاء قبل منتصف الليل.

*****

(١) «طبقات الشافعية الكبرى» (٥ / ٦٣).

ملحق (١ ـ ٣)

١ ـ في أقوال جماعة ترجمت لعامتهم باختصار.

٢ ـ في أقوال جماعة لم أذكر تاريخ وفياتهم.

٣ ـ في أقوال جماعة لم أترجم لهم بشيء وبعضهم من المجاهيل.

ملحق (١)

في أقوال جماعة ذكرت تاريخ وفياتهم وترجمت لعامتهم باختصار أو حولت على مصادر ترجمتهم

عبد الرحمن بن معاذ بن جبل، قال ابن الأثير في «أُسد الغابة»: لا شك أن له صحبة، وقال الذهبي في «تجريد أسماء الصحابة»: لا صحبة له. (ت ١٨).

عن شهر بن حوشب قال: طُعِنَ[١] عبد الرحمن بن معاذ بن جبل، فدخل عليه أبوه فقال له: كيف تجدك أي بني؟ قال له: يا أبه، ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾[٢]. فقال له معاذ: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[٣][٤].

* * *

كعب بن زهير الشاعر. (ت ٢٦). ترجمته في «الأعلام» للزركلي.

قال عند موته:

---

(١) أي: أصابه الطاعون.

(٢) البقرة: ١٤٧، ويونس: ٩٤.

(٣) الصافات: ١٠٢.

(٤) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٥٤).

فمن للقوافي بعدنا من يقيمها إذا ما ثوى كعب وفَوَّزَ جرول(١)

* * *

هُدْبة بن الخَشْرم العذري، من بني عامر بن ثعلبة، شاعر فصيح. (ت نحو ٥٠). ترجمته في «الأعلام».

روى ابن أبي الدنيا، عن أبيه قال: لما قُدِّم هُدبة بن الخشرم العذري ليُقتل ومعه أبواه يبكيان التفت إليهما فقال:

أبليـانـي اليـوم صبـراً منكمـا إن حـزنـاً منكمـا بـادٍ لشـرِّ

لا أرى ذا المـوت إلا هيِّنـا إن بعـد المـوت دار المستقـرِّ

اصبـر اليـوم فـإنـي صـابـر كـل حـي لفنـاءٍ وقـدْرِ(٢)

وقال المبرد(٣): لما حُمِل هُدْبة بن خَشْرَم العُذْري إلى معاوية (وكان قد قتل زيادة بن زيد العذري) تقدم معه عبد الرحمن أخو زيادة بن زيد، فادَّعى عليه، فقال له معاوية: ما تقول؟ قال: أتحب أن يكون الجواب شعراً أو نثراً؟ قال: بل شعراً فإنه أمتع، فقال هدبة:

فلمـا رأيـت أنمـا هـي ضـربـةٌ من السيف أو إغضاءُ عينٍ على وِتْرِ

عمـدتُ لأمـرٍ لا يُعَيِّـرُ والـدي خَـزَايَتُـهُ ولا يُسَـبُّ بـه قبـري

في أبيات.

إلى أن قال: ثم أقبل على أبويه، فقال:

---

(١) (جرول): هو الحطيئة الشاعر. انظر: (صفحة ١٤٠). وانظر زيادة على هذا البيت: «الشعر والشعراء» (ص ٩١).

(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ٢٦٦)، ورويت عنه أبيات غير هذه في «مختصر تاريخ دمشق» (٢٧ / ٧١).

(٣) انظر: «الكامل» (٢ / ٣٦٢ ـ ٣٦٥).

أَبْلِيَانِ اليومَ صبراً منكما ... إنّ حزناً منكما اليومَ لَشَرْ
ما أظنّ الموتَ إلا هَيِّناً ... إنّ بعد الموت دار المُسْتَقَرْ

ثم قال:

أذا العرشِ إني عائذٌ بك مؤمنٌ ... مُقِرٌّ بزَلّاتي إليك فقيرُ
وإني وإن قالوا أمير مُسَلَّطٌ ... وحُجّابُ أبوابٍ لهنَّ صَريرُ
لأعلمُ أنّ الأمر أمرك إن تَدِنْ ... فربٌّ وإن تَغْفِرْ فأنت غَفورُ

ثم قال لابن زيادة: أثبتْ قدميك وأجِدِ الضربة، فإني أيتمتك صغيراً، وأرملت أمك شابة.

* * *

الربيع بن زياد الحارثي الأمير. (ت ٥٣). «المنتظم» و «تاريخ الإسلام».

قال ابن الجوزي: وكان عامل زياد على خراسان، فبقي سنتين وأشهراً ومات، وكان الربيع قد خرج يوم جمعة فقال: اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك عاجلاً، فأمن الناس، فخرج فسقط وحُمل إلى بيته واستخلف ابنه.

وفي رواية: استخلف خليد بن عبد الله الحنفي، وأقره زياد(١).

وقال أبو أحمد الحاكم في «الكنى»: لما بلغ الربيع بن زياد مقتل حُجْر بن عدي دعا فقال: اللهم إن كان للربيع عندك خير فاقبضه إليك وعَجِّل. فزعموا أنه لم يبرح من مجلسه حتى مات، رحمه الله(٢).

* * *

---

(١) «المنتظم» (٤ / ٨٢).

(٢) «تاريخ الإسلام» (٤ / ٢٠٦).

سليمان بن صُرَد الخزاعي الصحابي، والمُسَيِّب بن نَجَبَة الفَزَاري صاحب علي رضي الله عنه. (ت ٦٥). ترجمتهما في «تاريخ الإسلام».

قلت: قُتِلا في وقعة عين الوردة. وفيها خطب سليمان بن صرد الناس وحرضهم على الجهاد، فاقتتل الناس قتالاً عظيماً جداً، ثم ترجل سليمان بن صرد وكسر جفن سيفه ونادى: يا عباد الله، من أراد الرواح إلى الجنة والتوبة من ذنبه والوفاء بعهده فليأت إلي. فترجل معه ناس كثيرون وكسروا جفون سيوفهم، وحملوا حتى صاروا في وسط القوم، وقتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة حتى خاضوا في الدماء، وقُتِل سليمان بن صرد أمير العراقيين، رماه رجل يقال له: يزيد بن الحصين بسهم فوقع، ثم وثب ثم وقع ثم وثب ثم وقع وهو يقول: فزت ورب الكعبة.

فأخذ الراية المسيب بن نجبة، فقاتل بها قتالاً شديداً وهو يقول:

قد علمتْ ميالة الذوائب ... واضحة اللبات والترائبِ
أني غداة الروع والتغالب ... أشجع من ذي لبدة مواثبِ
قصّاع أقران مخوّف الجانبِ

ثم قاتل قتالاً شديداً، فقضى ابن نجبة نحبه(١).

* * *

سالم بن أبي الجعد الغطفاني الأشجعي الكوفي. (ت ١٠٠ أو قبلها). «تقريب التهذيب».

عن سلمة بن كهيل قال: دخلت على سالم بن أبي الجعد وهو يجود بنفسه، فنظر إليّ ثم قال: لا أفلح من ندم(٢).

* * *

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٨ / ٢٥٣، وما بعدها).
(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ٢٩٩).

الجنيد بن عبد الرحمن بن عَمرو بن الحارث المري الدمشقي، أمير خراسان. (ت ١١٥).

عن ضمرة بن ربيعة قال: جاء مؤذن الجنيد بن عبد الرحمن إليه في مرضه الذي مات فيه، فسلم عليه بالإمارة، فقال: يا ليتها لم تُقَل لنا[١].

* * *

أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني. (ت ١١٨). «المنتظم».

عن يزيد بن عبد ربه قال: عدت أبا بكر بن أبي مريم وهو في النزع فقلت له: رحمك الله لو جرعت جرعة ماء! فقال بيده: لا. ثم جاء الليل فقال: أذّن؟ فقلت: نعم، فقطرنا في فمه قطرة ماء ثم مات[٢].

* * *

حبيب بن عيسى بن محمد العجمي، أبو محمد الفارسي. (ت ١١٩). ترجمته في «السِّيَر».

عن عبد الواحد بن زيد؛ أن حبيباً أبا محمد جزع جزعاً شديداً عند الموت، فجعل يقول بالفارسية: أريد أن أسافر سفراً ما سافرته قط، أريد أن أسلك طريقاً ما سلكته قط، أريد أن أزور سيداً ومولىً ما رأيته قط، أريد أن أشرف على أهوال ما شاهدت مثلها قط، أريد أن أدخل تحت التراب فأبقى تحته إلى يوم القيامة، ثم أوقف بين يدي الله فأخاف أن يقول لي: حبيب، هات تسبيحة واحدة سبحتني في ستين سنة لم يظفر بك الشيطان فيها! فماذا أقول وليس لي حيلة؟! أقول: يا رب، هو ذا قد أتيتك مقبوض اليدين إلى عنقي.

---

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ٣٤٢).

(٢) «المنتظم» (٤ / ٦٥٧).

قال عبد الواحد: هذا عَبَدَ الله ستين سنة منشغلاً به ولم يشتغل من الدنيا بشيء قط، فأي شيء حالنا؟! واغوثاه بالله![1].

وعن كثير بن يسار قال: دخلنا على حبيب أبي محمد وهو بالموت فقال: أريد أن آخذ طريقاً لم أسلكه قط، فلا أدري ما يصنع بي. قلت: أبشر يا أبا محمد، أرجو أن لا يفعل بك إلا خيراً. قال: ما يدريك؟ ليت تلك الكِسْرة التي أكلناها لا تكون سُمّاً علينا[2].

ويروى أنه قيل له في مرض الموت: ما هذا الجزع الذي ما كنا نعرفه منك؟! فقال: سفري بعيد بلا زاد، ويُنْزَل بي في حفرة من الأرض مُوحِشة بلا مؤنس، وأقدم على ملك جبار قد قدم إليّ العذر[3].

* * *

زياد بن عبد الله النُّمَيري البصري، روى عن أنس بن مالك. «تاريخ الإسلام». (وفيات ١٢١ ـ ١٣٠).

عن سهيل القُطَعي قال: قال زياد النميري لما حضرته الوفاة: لولا ما حضرني من هذا الأمر ما تكلمت بهذا أبداً، والله لقد صدع ذكر الموت قلبي، حتى لقد خشيت أن يقتلني ذلك الهم، فلا تنسني مما كنت في القدوم عليك. قال: ثم شخص ببصره فمات[4].

* * *

كثير بن زياد البُرساني، أبو سهل الأزدي. «تهذيب التهذيب» و «تاريخ الإسلام». (وفيات ١٢١ ـ ١٣٠).

---

(١) «المنتظم» (٤ / ٦٦٣)، و «طبقات الأولياء» (ص ١٥٠ ـ ١٥١).
(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ٣٥٠).
(٣) «طبقات الأولياء» (ص ١٥٠).
(٤) «كتاب المحتضرين» (رقم ٢٠٧).

عن عبد الله بن شَوْذَب قال: قيل لأبي سهل كثير البصري حين حضره الموت: أوصنا. قال: بيعوا دنياكم بآخرتكم تربحوهما جميعاً، ولا تبيعوا آخرتكم بدنياكم فتخسروهما والله جميعاً[١].

* * *

إبراهيم بن ميمون المروزي الصائغ. (ت ١٣١). «تقريب التهذيب».

عن سفيان قال: قال إبراهيم الصائغ حين أمر به أبو مسلم فقُتِل: اللهم إن كنتُ أتيتُ أمراً لا ينبغي لي أن آتيه فاغفره لي. فقالوا لأبي مسلم: ما رأينا أحداً أجزع عند الموت منه. فقال أبو مسلم: انظر إلى هؤلاء ما أقل عقولهم! إنما كره أن يعين على نفسه بشيء[٢].

* * *

إبراهيم بن عبد الله بن حسن العلوي، ظهر بالبصرة وحارب المنصور. (ت ١٤٥).

قال ابن الجوزي[٣]: التقى عيسى [بن موسى] وإبراهيم فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم أصحاب عيسى، فاعترضهم نهر فرجعوا، فاقتتلوا قتالاً شديداً إلى أن جاء سهم غابر لا يدرون من رمى به، فوقع في حلق إبراهيم، فنحوه عن موضعه، وقال: أنزلوني. فأنزلوه وهو يقول: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[٤]، أردنا أمراً وأراد الله غيره. فأُنزل وهو مثخن، واجتمع عليه أصحابه يقاتلون دونه، فشدوا عليهم، فخلصوا إليه فحزوا رأسه، فأتوا به عيسى، فسجد وبعث إلى أبي جعفر، فقال: والله لقد كنت لهذا كارها،

---

(١) «وصايا العلماء» (ص ٨٦) و«تهذيب التهذيب».
(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ٣٢٣).
(٣) «المنتظم» (٥ / ١٤٥).
(٤) الأحزاب: ٣٨.

ولكني ابتليت بك وابتليت بي .

***

عبد الله بن عامر الأسلمي، أبو عامر المدني، كان من قراء القرآن. (ت ١٥٠ أو ١٥١). «تهذيب الكمال».

قال ابن أبي حازم: لما نُزِل بعبد الله بن عامر بن عبد الله بن أوس بكى، فاشتد بكاؤه، فأرسل أهله إلى أبي حازم؛ أن أخاك قد جزع عند الموت فأْته فعزه وصبره. قال ابن أبي حازم: فأتيته مع أبي، فقال له أبي: يا عامر، ما الذي يبكيك؟ فوالله ما بينك وبين أن ترى السرور إلا فراق هذه الدنيا، والذي تبكي منه للذي كنت تدأب له وتنصب. فأخذ عامر بجلدة ذراعه ثم قال: يا أبا حازم، ما صبر هذه الجلدة على نار جهنم؟ فخرج أبي يبكي لكلامه، وأُذن لصلاة الظهر فقام يريد المسجد، فسقط وتوفي وهو صائم ما أفطر(١).

***

جعفر بن سليمان الضُّبَعي، أبو سليمان البصري، صدوق زاهد، لكنه كان يتشيع. (ت ١٧٨). «تقريب التقريب».

عن أزهر قال: دخلنا على جعفر بن سليمان نعوده في مرضه فقال: ما أكره لقاء ربي(٢).

***

عبد الله بن غانم. (ت ١٩٠ أو ١٩٦). ترجمته في «ترتيب المدارك».

---

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ٢٣٣).

(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ٢٩١).

قال القاضي أبو الفضل: ودخل على ابن غانم أبو الوليد المهدي اللغوي في مرضه الذي مات فيه، فقال له: رفع الله ضجعتك من هذه العلة إلى إفاقة وراحة، وأعاد عليك ما عودك من الصحة والسلامة، فطالما صححت وعوفيت أصلحك الله، فاصبر لحكم ربك فإن الله يحب أن يُشكر على نعماه. فقال ابن غانم: هو الموت والغاية التي إليها نهاية الخلق وما لا بد منه، فصبر يؤجر صاحبه عليه خير من جزع لا يقي عنه. ثم تمثل:

فهــل مــن خــالــدٍ إمّــا هَلَكْنــا وهل بالموت يا لَلناس عارُ[1]

* * *

الغازي بن قيس. (ت ٢٣٠). ترجمته في «ترتيب المدارك».

قال لما حضرته الوفاة:

الحمــدُ للــهِ ثــم الحمــدُ للــهِ كم ذا عن الموت من ساهٍ ومن لاهِ
ماذا يرى المرء والعينان من عُجْبٍ عند الخروج من الدنيا إلى اللهِ[2]

* * *

يعقوب بن سِوَاك الخُتُّلي الزاهد، صاحب بشر الحافي. (ت بعد ٢٧٠). ترجمته في «تاريخ الإسلام».

لما احتُضِر قال له ابنه محمد: يا أبت، إذا قضيت نحبك أدفنك عند أخيك بشر؟ فقال: إذا متّ فادفني عند أبي وأمي، فإن أحب أن يجمعنا الله في القيامة فسيجمعنا. قال: يا أبت، فأُكَفِّر عنك بشيء؟ قال: لا، فإني ما حلفت بالله عز وجل على حق ولا على باطل[3].

* * *

(١) «ترتيب المدارك» (١ / ٣٢٥).
(٢) «ترتيب المدارك» (١ / ٣٤٨ - ٣٤٩). وانظر: (صفحة ٣٣٧).
(٣) «المنتظم» (٧ / ٢٠٦).

يوسف بن الحسين بن علي، أبو يعقوب الرازي، من مشايخ الصوفية. (ت ٣٠٤). ترجمته في «تاريخ بغداد».

عن أبي عبد الله الخنقاباذي قال: حضرنا يوسف بن الحسين الرازي وهو يجود بنفسه، فقيل له: يا أبا يعقوب، قل شيئاً. فقال: اللهم إني نصحت خلقك ظاهراً، وغششت نفسي باطناً، فهب لي غشي لنفسي لنصحي لخلقك. ثم خرجت روحه(١).

***

أبو محمد المُرْتَعِش، عبد الله بن محمد، وقيل: جعفر. (ت ٣٢٨). ترجمته في «السِّيَر».

عن أبي عبد الله الرزاز قال: حضرت وفاة المرتعش في مسجد الشونيزية سنة ثمان وعشرين وثلاثمئة، فقال: انظروا ديوني. فنظروا فقالوا: بضعة عشر درهماً. فقال: انظروا خريقاتي. فلما قربت منه قال: اجعلوها في ديوني، وأرجو أن الله يعطيني الكفن. ثم قال: سألت الله ثلاثاً عند موتي فأعطانيها: سألته أن يميتني على الفقر، وسألته أن يجعل موتي في هذا المسجد فقد صحبت فيه أقواماً، وسألته أن يكون حولي من آنس به وأحبه. وغمض عينيه ومات بعد ساعة، رحمة الله عليه(٢).

***

أبو الحسن الكانشي. (ت ٣٤٧). ترجمته في «ترتيب المدارك».

سُمِعَ وهو يقرأ عند خروج نفسه: ﴿ **إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ** ﴾(٣)، وسُمِعَ في نزعه يقول: لا يا عدو الله، حتى يَرُدُّوا الرِّداء. فقيل له: ما هذا؟

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٤ / ٣١٨).
(٢) «المنتظم» (٨ / ١٨٥).
(٣) القمر: ٥٤.

قال: إبليس عند رأسي يقول: نجوت مني[1].

* * *

أبو حفص عمر بن عبد الله بن يزيد، المعروف بابن الإمام، الصوفي. (ت ٣٥٠). ترجمته في «ترتيب المدارك».

قال بعضهم: لما حضرته الوفاة قال: قد بُشِّرْتُ. قلت: بماذا؟ قال: أما تقرأ: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾ الآية[2][3].

* * *

أبو محمد الأصيلي، عبد الله بن إبراهيم بن محمد. (ت ٣٩٢). ترجمته في «ترتيب المدارك».

كان آخر ما سُمِعَ منه لما احتُضِر: اللهم إنك قد وعدت بالجزاء عند كل مصيبة، ولا مصيبة علي أعظم من نفسي، فأحسن جزائي عنها يا أرحم الراحمين. ثم خَفَتَ[4].

* * *

عبد الصمد بن عمر بن إسحاق، أبو القاسم الدينوري الواعظ الزاهد. (ت ٣٩٧). ترجمته في «البداية والنهاية».

قال ابن كثير[5]: لما حضرته الوفاة جعل يقول: سيدي، لهذه الساعة خبّأتك.

* * *

---

(١) «ترتيب المدارك» (٢ / ٣٧٣).
(٢) التوبة: ٢١، ونصها: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾.
(٣) «ترتيب المدارك» (٢ / ٣٧٤).
(٤) «ترتيب المدارك» (٢ / ٦٤٨).
(٥) «البداية والنهاية» (١١ / ٣٣٨).

محمد بن الحسن البرداني، الفقيه الزاهد، أبو سعد. (ت ٤٩٦). ترجمته في «الذيل على طبقات الحنابلة».

قال ابن الخشاب: أنشدني أبو بكر هبة الله بن أحمد الحفار، أنشدني أبو سعد البرداني عند موته:

إنَّ مَنْ يَأْمُرُ بِالصَّبْرِ مِنَ الصَّبْرِ نَفَرْ
إنَّ في الصَّدْرِ مِنَ الصَّبْرِ كَأَيْنَاتٍ تُصَرْ

قال: أنشدنيهما، ثم فاضت نفسه رحمه الله(١).

* * *

أبو منصور هبة الله بن أبي الوفاء بن عقيل. (ت ٤٨٨). وله نحو أربع عشرة سنة. ترجمته في «الذيل على طبقات الحنابلة».

قال أبو الوفاء: قال لي ابني لما تقارب أجله: يا سيدي، قد أنفقتَ وبالغتَ في الأدوية والطب والأدعية، ولله تعالى فِيّ اختيار، فدعني مع اختياره.

قال: فوالله ما أنطق الله سبحانه وتعالى ولدي بهذه المقالة إلا وقد اختاره للحظوة.

* * *

محمد بن محمد بن علي بن الفضل، أبو الفتح الخزيمي الفُرَاوي، الواعظ. (ت ٥١٤). ترجمته في «طبقات الشافعية» لابن الصلاح.

قال ابن الجوزي(٢): احتُضِر الخزيمي بالرَّيّ، فأدركه حين نزعه قلق شديد، فقيل له: ما هذا الانزعاج العظيم؟ فقال: الورود على الله شديد.

* * *

---

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» (١ / ٩٣).
(٢) «المنتظم» (١٠ / ١٧٢).

السلطان محمد شاه بن محمود بن محمد بن مَلِكْشاه. (ت ٥٥٤). ترجمته في «تاريخ الإسلام».

قال ابن كثير[١]: وقبل وفاته بأيام أمر أن يعرض عليه جميع ما يملكه ويقدر عليه وهو جالس في المنظرة، فركب الجيش بكماله وأحضرت أمواله كلها ومماليكه حتى جواريه وحظاياه، فجعل يبكي ويقول: هذه العساكر لا يدفعون عني مثقال ذرة من أمر ربي، ولا يزيدون في عمري لحظة. ثم ندم وتأسف على ما كان منه إلى الخليفة المقتفي وأهل بغداد وحصارهم وأذيتهم، ثم قال: وهذه الخزائن والأموال والجواهر لو قبلهم ملك الموت مني فداءً لجدت بذلك جميعه له، وهذه الحظايا والجواري والمماليك لو قبلهم فداءً مني لكنت بذلك سمحاً له. ثم قال: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾[٢]. ثم فرّق شيئاً كثيراً من ذلك من تلك الحواصل والأموال.

* * *

سعد بن عثمان بن مرزوق بن حُمَيد القرشي الزاهد، أبو الخير بن الفقيه أبي عَمرو، المصري الحنبلي. (ت ٥٩٢). «تاريخ الإسلام».

ذكر ابن النجار: أنه كان قد قرأ في الصلاة التي توفي فيها: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾[٣][٤].

* * * * *

---

(١) «البداية والنهاية» (١٢/ ٢٤٠ ـ ٢٤١).

(٢) الحاقة: ٢٨ و٢٩.

(٣) الواقعة: ٨٨ و٨٩.

(٤) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٣/ ٣٨٧). وانظر: «تاريخ الإسلام» (٤٢/ ٩١).

ملحق (٢)
في أقوال جماعة لم أذكر تاريخ وفياتهم

همدان مولى علي رضي الله عنه.

عن هُشَيْم بن أبي ساسان، حدثني أُمَيّ الصيرفي، سمعت عبد الملك ابن عمير يقول: أتيت الحجاج وهو يقول لرجل: أنت همدان مولى علي؟ تعال سُبّه. قال: ما ذاك جزاؤه مني؛ رباني وأعتقني. قال: فما كنت تسمعه يقرأ من القرآن؟ قال: كنت أسمعه في قيامه وقعوده وذهابه ومجيئه يتلو: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً ﴾ الآية[١]. قال: فابرأ منه. قال: أما هذه فلا، سمعته يقول: تعرضون على سبي فسبوني، وتعرضون على البراءة مني فلا تبرؤوا مني، فإني على الإسلام. قال: أما ليقومن إليك رجل يتبرأ منك ومن مولاك، يا أدهم بن مُحْرِز قم فاضرب عنقه. فقام يتدحرج كأنه جُعَلٌ وهو يقول: يا ثارات عثمان. فما رأيت رجلاً أطيب نفساً بالموت منه، فضربه فندر رأسه.

قال الذهبي[٢]: إسناده صحيح.

* * *

---

(١) الأنعام: ٤٤. وتمامها: ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾.

(٢) «تاريخ الإسلام» (٦/ ٤٠). وانظر: «تاريخ دمشق» (٧/ ٤٦٦).

حَلْحَلَةُ الفَزَاري، وسعيد بن أبان بن عيينة بن حِصن الفَزَاري.

قال المبرد[1]: إن عبد الملك لما أحضرهما ليقيد منهما قال لحَلْحَلَة: صبراً حَلْحَل؟ فقال: إي والله:

أَصْبَرُ من ذي ضاغطٍ عَرَكْرَكِ   ألقى بَواني زَوْره لِلْمَبْرَكِ

ثم قال لابن الأسود الكلبي: أجِدِ الضربةَ، فإني والله ضربت أباك ضربة أَسْلَحَتْهُ فعددت النجوم في سَلحته.

ثم قال عبد الملك لسعيد بن أبان: صبراً سعيد؟ فقال: إي والله:

أصْبَرُ من عَوْدٍ بِجَنْبَيْهِ الجُلَبْ   قد أثّرَ البِطانُ فيه والحَقَبْ

* * *

المعلى بن عبد الرحمن الواسطي، قال الدارقطني: ضعيف كذاب. وقال أبو حاتم: متروك الحديث. وذهب ابن المديني إلى أنه كان يضع الحديث. ترجمته في «ميزان الاعتدال».

عن أبي داود السجستاني قال: سمعت يحيى بن معين وسئل عن المعلى بن عبد الرحمن، فقال: أحسن أحواله عندي أنه قيل له عند موته ألا تستغفر الله؟! فقال: ألا أرجو أن يُغفر لي وقد وضعت في فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه سبعين حديثاً؟[2](!).

* * *

عبد الله بن مرزوق، أبو محمد. ترجمته في «صفة الصفوة».

عن سلامة وصي عبد الله بن مرزوق قال: قال عبد الله بن مرزوق في مرضه: يا سلامة، إن لي إليك حاجة. قال: قلت: ما هي؟ قال: تحملني

(١) «الكامل» (٢ / ٣٦١ ـ ٣٦٢).
(٢) «الضعفاء الكبير» للعقيلي (٤ / ٢١٥).

فتطرحني على تلك المزبلة، لعلي أموت عليها فيرى مكاني فيرحمني(!).

رحمه الله[1].

***

عمر بن حسين بن عبد الله الجُمَحي، أبو قدامة المكي. «تقريب التهذيب».

عن ابن وهب قال: حدثني مالك بن أنس قال: كان عمر بن حسين من أهل الفضل والفقه والمشورة في الأمور والعبادة، وكانت القضاة تستشيره. قال مالك: ولقد أخبرني من حضره عند الموت فسمعه يقول: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾[2]. فقلت لمالك: أتراه قال هذا لشيء عاينه؟ قال: نعم[3].

***

المغيرة بن حكيم الصنعاني. ترجمته في «تهذيب الكمال».

عن عبد العزيز بن أبي رَوَّاد قال: دخلت على المغيرة بن حكيم في مرضه الذي مات فيه، فقلت: أوصني. قال: اعمل لمثل هذا المضجع[4].

***

نافع بن علقمة الكناني، خال مروان بن الحكم، وكان عاملاً لعبد الملك بن مروان على مكة. ترجمته في «العقد الثمين» للفاسي.

عن عكرمة بن خالد؛ أنه دخل على نافع بن علقمة الكناني وهو أمير

---

(١) «صفة الصفوة» (٢ / ٣١٧).

(٢) الصافات: ٦١.

(٣) «كتاب المحتضرين» (رقم ٣١٧).

(٤) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٦٤ و٢٨١).

على مكة يعوده، فرآه ثقيلاً، فقال له: اتق الله وأكثر ذكره. فولى بوجهه إلى الجدار، فلبث ساعة ثم أقبل علي فقال: يا خالد، ما أُنكر ما تقول، ولوددت أني كنت عبداً مملوكاً لبني فلان من بني كنانة (أشقى أهل بيت من كنانة) وأني لم أَلِ من هذا العمل شيئاً قط[١].

وقال عوانة: قال نافع بن علقمة حين حُضر: ليت القرابة التي كانت بيني وبين مروان كانت بيني وبين رجل من الزنج ولم أدخل في شيء من هذا الأمر[٢].

❊ ❊ ❊

عبد الله بن شداد. ترجمته في «السِّيَر»[٣].

عن حماد عن أبيه قال: قال أبو عدنان: لما حضرت عبد الله بن شداد الوفاةُ دعا ابنه محمداً فأوصاه وقال له: يا بني، أرى داعي الموت لا يقلع، ويحق أن من مضى لا يرجع، ومن بقي فإليه ينزع، يا بني، ليكن أولى الأمور بك تقوى الله في السر والعلانية، والشكر لله، وصدق الحديث والنية، فإن للشكر مزيداً، والتقوى خير زاد، كما قال الحطيئة:

ولستُ أرى السعادة جَمْعَ مالٍ ... ولكنَّ التقي هو السعيدُ

وتقوى الله خَيْرُ الزّاد ذُخْراً ... وعند الله للأتقى مزيدُ

وما لا بُدّ أن يأتي قريبٌ ... ولكنَّ الذي يمضي بعيدُ[٤]

❊ ❊ ❊

---

(١) «كتاب المتمنين» (رقم ٥٤ و١٤٧).

(٢) «التعازي والمراثي» (ص ٢٣٠ ـ دار صادر).

(٣) انظر: (صفحة ١٨٥).

(٤) «الأغاني» (٢ / ١٦٧ ـ ١٦٨).

عبد الكريم بن أبي العَوْجاء، خال معن بن زائدة، زنديق مُعَثَّر، قتله محمد بن سليمان العباسي الأمير بالبصرة. «ميزان الاعتدال».

قال أبو أحمد بن عدي: لما أُخِذ لِتُضْرَب عنقه قال: لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث، أُحَرِّم فيها الحلال، وأُحَلِّل الحرام.

*****

ملحق (٣)
في أقوال جماعة لم أترجم لهم بشيء وبعضهم من المجاهيل

● عن حميد بن هلال قال: كان منا رجل يقال له: الأسود بن كلثوم، وكان إذا مشى لا يجاوز بصره قدميه، فكان يمر بالنسوة وفي الجدر يومئذ قصر، ولعل إحداهن أن تكون واضعة ثوبها أو خمارها، فإذا رأينه راعهن ثم يقلن: كلا، إنه الأسود بن كلثوم. فلما قدم غازياً قال: اللهم إن نفسي هذه تزعم في الرخاء أنها تحب لقاءك، فإن كانت صادقة فارزقها ذلك، وإن كانت كاذبة فاحملها عليه وإن كرهت، فأطعم لحمي سباعاً وطيراً. فانطلق في خيل، فدخلوا حائطاً، فنذر بهم العدو، فجاؤوا فأخذوا بثلمة في الحائط، فنزل الأسود عن فرسه فضربها حتى غارت، فخرج فأتى الماء، فتوضأ ثم صلى، قال: يقول العجم: هكذا استسلام العرب إذا استسلموا. ثم تقدم فقاتل حتى قتل. قال: فمر عظم الجيش بعد ذلك بذلك الحائط، فقيل لأخيه: لو دخلت فنظرت ما بقي من عظام أخيك ولحمه. قال: لا، دعا أخي بدعوات فاستجيبت له، فلست أعرض في شيء من ذلك(١).

● قال بعض الصالحين: دخلنا على مغيرة الخراز وهو مريض فقلنا له: كيف تجدك؟ فقال: أجدني موقراً بالآثام. قلنا: فما تشتكي؟ قال: الحسرة على طول الغفلة. قلنا: فما تشتهي؟ قال: الإنابة إلى ما عند الله،

---

(١) «الحلية» (٢ / ٢٥٤ ـ ٢٥٥).

والنقلة عما يكرهه الله. قال: فبكا القوم جميعاً.

وقيل له: فما تشتهي؟ قال: ليلة طويلة أصليها كلها[1].

● وقال عبد الله بن عتبة: عدت رجلاً مريضاً فلما قعدت عنده قلت له: كيف تجدك؟ فقال:

خرجتُ من الدنيا وقامتْ قيامتي ... غداة أقلَّ الحاملون جنازتي
وعَجَّل أهلي حفر قبري وصَيَّروا ... خُروجي وتعجيلي أجَلَّ كرامتي
كأنهمُ لم يعرفوا قط صحبتي ... غداة أتى يومي عليَّ وساعتي[2]

● ولما حضرت عبد الله بن علي الوفاة قال: ما أغفلني أمس عن مصرعي اليوم[3].

● وقال أبو سليمان الداراني: دخلت على عابد وقد حضره الموت وهو يبكي، فقلنا له: ما يبكيك رحمك الله؟ فأنشأ يقول:

وحُق لمثلي بالبكا عند موته ... وما ليَ لا أبكي وأجَلي قد اقتربْ
ولي عملٌ في اللوح أحصاه خالقي ... فإن لم يَجُدْ بالعفو صِرْتُ إلى العطبْ[4]

● وقال عبد الله بن العلاء: شهدت أعرابياً قد نزل به الموت، فشخص ببصره ثم قال:

كل آتٍ فإنه سوف يأتي ... أنت يا موت هادم اللَّذَّاتِ
رحم الله أعظماً باليات ... أصبحتْ في عساكر الأمواتِ[5]

---

(١) «العاقبة» للإشبيلي (ص ٦١).
(٢) «العاقبة» (ص ٦٢).
(٣) «العاقبة» (ص ٦٩).
(٤) «العاقبة» (ص ٦٩).
(٥) «العاقبة» (ص ٦٩).

● ومرض أعرابي فقيل له: إنك تموت، فقال: وإذا مت فأين يُذهب بي؟ فقالوا: إلى الله تعالى. قال: فما كراهتي أن يُذهب بي إلى من لا يُرى خير إلا من عنده[١].

● واحتُضِر بعض الصالحين فبكت امرأته، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: عليك أبكي. قال: إن كنت باكية فابكي على نفسك، فأما أنا فقد بكيت على هذا اليوم منذ أربعين سنة[٢].

● وقيل لآزاد مَرْد بن الهِرْبِذ حين احتُضِر: ما حالك؟ فقال: ما حال من يريد سفراً بعيداً بلا زاد، وينزل حفرة من الأرض موحشة بلا مؤنس، ويقدم على ملك جبار قد قدّمَ إليه العذر بلا حجة؟![٣].

● وعن ثابت البناني قال: كان رجل عاملاً للعمال فجمع ماله فجعله في سارية، فلما حضرته الوفاة أمر به فنثر بين يديه، فجعل يقول: يا ليتها كانت بعراً، يا ليتها كانت بعراً[٤].

● قال الذهبي في «السِّيَر»[٥] في ترجمة سالم بن حامد: نائب دمشق للمتوكل، كان ظلوماً عسوفاً، شد عليه طائفة من أشراف العرب فقتلوه بباب دار الإمارة يوم جمعة سنة بضع وثلاثين ومئتين، فبلغ المتوكل فتنمّر وقال: من للشام في صولة الحجاج؟ فندب أفريدون التركي، فسار في سبعة آلاف فارس، ورخص له المتوكل في بذل السيف ضحوتين وفي نهب البلد، فنزل ببيت لِهْيا[٦]، فلما أصبح قال: يا دمشق، أيش يحل بك اليوم

---

(١) «العاقبة» (ص ٨٦).
(٢) «العاقبة» (ص ٨٩).
(٣) «عيون الأخبار» (٢/ ٣١٠).
(٤) «حلية الأولياء» (٢/ ٣٢٥).
(٥) (١١/ ١٦٢).
(٦) قرية بغوطة دمشق.

مني؟! فقُدِّمَتْ له بغلة دهماء ليركبها، فضربته بالزوج على فؤاده فقتلته.

● وعن يحيى بن عون قال: دخلت مع سحنون على ابن القصّار وهو مريض، فقال: ما هذا القلق؟ قال له: الموت والقدوم على الله. قال له سحنون: ألست مصدقاً بالرسل، والبعث والحساب، والجنة والنار، وأن أفضل هذه الأمة أبو بكر ثم عمر، والقرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الله يُرى يوم القيامة، وأنه على العرش استوى، ولا تخرج على الأئمة بالسيف وإن جاروا. قال: إي والله. فقال: مُتْ إذا شئت، مُتْ إذا شئت[١].

● قال صالح[٢]: لما صدر أبي ومحمد بن نوح إلى طَرَسوس رُدّا في أقيادهما، فلما صار إلى الرقة حملا في سفينة، فلما وصلا إلى عانة توفي محمد وفك قيده، وصلى عليه أبي[٣].

وقال حنبل: قال أبو عبد الله: ما رأيت أحداً على حداثة سنه وقدر علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح، إني لأرجو أن يكون قد خُتم له بخير، قال لي ذات يوم: يا أبا عبد الله، الله الله! إنك لست مثلي، أنت رجل يقتدى بك، قد مد الخلق أعناقهم إليك؛ لما يكون منك، فاتق الله واثبت لأمر الله. أو نحو هذا، فمات وصليت عليه ودفنته. (أظن قال: بعانة)[٤].

● وعن المُفَضَّل بن المُهَلَّب؛ أن ملك اليمن حضرته الوفاة، فقالوا: من تدع للبلاد والعباد؟ فقال: أيها الناس، لا تجهلوا، فإنكم في مُلْكِ مَنْ لا يبالي صغيراً أخذ منكم أم كبيراً[٥].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٢ / ٦٧).
(٢) هو ابن أحمد بن حنبل.
(٣) «السير» (١١ / ٢٤٢).
(٤) «السير» (١١ / ٢٤٢).
(٥) «كتاب المحتضرين» (رقم ٣٣١).

وعن الحسن؛ أن ملكاً نزل به الموت فأطاف به أهل مملكته، فقالوا: لمن تدع الغنى والمال؟ فقال: أيها القوم، لا تجهلوا، فإنكم في مُلْكِ مَن لا يبالي أصغير أخذه أم كبير[1].

● قال ابن أبي الدنيا[2]: حدثني مفضل بن غسان، عن أبيه قال: احتُضِر النضر بن عبد الله بن حازم، فقيل له: أبشر، فقال: والله ما أبالي أمتّ أم ذُهِب بي إلى الأُبُلَّة[3]، والله ما أخرج من سلطان ربي إلى غيره، ولا نقلني من حال قط إلى حال إلا كان ما نقلني إليه خيراً مما نقلني عنه.

● وعن حزم بن مهران، عن الحسن أو غيره قال: عاد نفر من الصدر الأول رجلاً فوجدوه في الموت، فقال له بعض القوم: ما عندك في مصرعك هذا؟ قال: الرضا والتسليم لأمر الله. قال: فما برح القوم حتى قضى، قال الحسن: عرف والله أن مَوْئلَهُما إلى خير[4].

● وعن عبيد الله بن محمد التيمي قال: حدثني بعض أشياخنا؛ أن رجلاً من علية هذه الأمة حضرته الوفاة، فجزع جزعاً شديداً وبكا بكاءً كثيراً، فقيل له في ذلك فقال: ما أبكي إلا على أن يصوم الصائمون لله ولستُ فيهم، ويصلي له المصلون ولست فيهم، ويذكر الذاكرون ولست فيهم، فذاك الذي أبكاني[5].

● وعن محمد بن قيس؛ أن رجلاً من أهل المدينة نزل به الموت فجزع، فقيل له: أتجزع؟ فقال: ولم لا أجزع؟ فوالله إن كان رسول أمير

---

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ١١٥).
(٢) «حسن الظن بالله» (رقم ٤١).
(٣) بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة. «معجم البلدان».
(٤) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٥٠).
(٥) «كتاب المحتضرين» (رقم ١٩٢).

المدينة ليأتيني فأفزع لذلك، فكيف برسول رب العالمين؟!(١).

● وعن عمر بن أبي خليفة قال: لما حضر أبي(٢) الموت بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكاني والله لَبْثُ الوجوه في التراب إلى يوم البعث(٣).

● وعن بشر بن منصور قال: حضر رجلاً من الصالحين الموت فبكى، فقيل له: علام تبكي؟ فإنما هي الدنيا التي تعرفونها! فقال: ليس عليها أبكي، ولكني والله أبكي على فراق الذكر ومجالس أهله(٤).

● وعن معتمر بن سليمان، عن أبيه(٥) قال: دخلت على رجل من أصحابي وهو في الموت، فرأيت من جزعه شيئاً ساءني، فقلت له: ما هذا الجزع؟ فقال: وما لي لا أجزع؟! ومن أحق بذلك مني؟! والله لو أتتني المغفرة من الله للحقني الحياء من الله فيما أفضيت به إليه(٦).

● وعن أبي إسحق السبيعي قال: قيل لرجل من عبد القيس: أَوْص. قال: أُنذركم سَوْفَ(٧).

● وعن قيس بن أبي حازم قال: دخلنا على سعد بن مسعود (يعني: وهو في الموت) فقال: ما أدري ما تقول؟ غير أنه ليت ما في تابوتي نار. فلما مات نظروا فإذا فيه ألف أو ألفان(٨).

---

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ٢١٩).
(٢) هو حَجّاج بن عَتّاب، كما في «تهذيب الكمال» (٢١ / ٣٢٠).
(٣) «كتاب المحتضرين» (رقم ٢٠٥).
(٤) «كتاب المحتضرين» (رقم ٢٠٦).
(٥) هو سليمان التيمي، تقدم (صفحة ٢٢٥).
(٦) «الزهد» لابن المبارك (٢ / ٨٦٢ / رقم ١١٤٨).
(٧) «كتاب المحتضرين» (رقم ٢٣٩).
(٨) «كتاب المحتضرين» (رقم ٢٤٣).

● ولما احتُضِر أبو بكر الواسطي قيل له: أوصنا، فقال: احفظوا مراد الحق فيكم[1].

● وعن محمد بن العباس قال: لما اشتد الأمر بحسن الفلاس طلب ماء، فشرب وقال: لقد أعطاني ما يتنافس فيه المتنافسون[2].

● وعن عبد الله بن سلمة بن معبد الفراء قال: حضرت رجلاً الوفاةُ في فلاة من الأرض، وحضره ناس من الأعراب، فلما أحس بالموت جعل يقول لهم: وجهوني وجهوني[3]. قالوا: إلى أين نوجهك؟ فبكى ثم قال:

إلـى البيـت الـذي مـن كـل فـجٍ ... إليـه وجـوه أصحـاب القبـورِ

قال: فبكى والله القوم جميعاً، ثم وجهوه إلى القبلة فمات[4].

● وعن عبد الجبار بن أبي نصر قال: قال رجل لسلمة الأسواري وهو في الموت: كيف تراك يرحمك الله؟ فبكى ثم قال:

أُرانـي أصيـر فـي القبـر وحـدي ... طائر القلب ليس لي من نصير

قال: فأبكى والله القوم جميعاً[5].

● وعن ابن شُبْرُمة قال: مرض رجل من بني يربوع فاشتد مرضه، قال: وبنتان له عند رأسه، فنظر إليهما فقال:

ألا ليت شِعْري عن بنتيَّ بعدما ... يُوَسَّدُ لي في قبلة اللحد مضجعُ

وعن وصل أقوام أتى الموت دونهم ... أيـرعـون ذاك الـوصـل أم تتقطَّـعُ

---

(١) «الثبات عند الممات» (ص ٩٦).

(٢) «الثبات عند الممات» (ص ٥٥).

(٣) نبه شيخنا في «أحكام الجنائز» إلى أنه لم يصح في التوجيه نحو القبلة حديث، ثم قال: بل كره سعيد بن المسيب توجيهه إليها. وراجع دليل ذلك (مسألة ١٣).

(٤) «كتاب المحتضرين» (رقم ٢٥٧).

(٥) «كتاب المحتضرين» (رقم ٢٥٨).

وما يحفظ الأموات إلا محافظٌ   مـن القـوم داعٍ لـلأمـانـة مَقْنَـعُ

فمات، فوالله ما عاد أحد على وُلْده بشيء[1].

● وعن عمر بن بكير النحوي، عن شيخ من طَيِّء قال: احتُضِر رجل من بني ضَبَّة فنظر إلى بُني له يدرج عند رأسه، فأقبل على أمه فقال: يا هذه!

إنـي لأخشـى أن أمـوت فتنكحـي   ويُقْذَفُ في أيدي المراضع مَعْمَرُ

فحـالـت سـتـورٌ دونـه ووليـدة   ويشغلهـا عنـه خَلُـوقٌ ومِجْمَـرُ

قالت: كلا. قال: بلى. قال: ومات، فما إلا أن انقضت عدتها فتزوجت شاباً من الحي، فرُئي مَعْمَرٌ كما وصف[2].

● وعن الحسن بن عبد الرحمن قال: احتُضِر رجل من جهينة، فأتاه جيرانه وإخوانه، فنظر إليهم حوله فاغرورقت عيناه ثم قال:

غـداً يكثـر البـاكـون منـا ومنكـمُ   وتزداد داري من دياركم بعدا[3]

● وعن إسحق بن السري قال: دخلنا على عبد الله بن يعقوب في اليوم الذي مات فيه وعنده متطبب ينعت له دواء، فقال عبد الله متمثلاً:

إن عيشـاً يكـون آخـرَهُ المـوتُ   لعيـــشٌ مُعَجَّـــلُ التنغيـــصِ

ومات من يومه[4].

● وعن يعقوب بن إسحاق: أنه حضر رجلاً يموت، فقيل له: قل: لا إله إلا الله. فقال:

أنا إن متّ فالهوى حشو قلبي   فبـداء الهـوى يمـوت الكـرام(!)

---

(1) «كتاب المحتضرين» (رقم ٢٧٢).

(2) «كتاب المحتضرين» (رقم ٢٧٣).

(3) «كتاب المحتضرين» (رقم ٣٠٣).

(4) «كتاب المحتضرين» (رقم ٣٠٥).

ثم قال: يا من لا يموت، ارحم من يموت. ثم لم يلبث أن مات[١].

● وعن عيسى بن جابان قال: أمر بشر بن مروان برجل يُقتل، فلما شُدّ بالحبال وقام الذي يقتله بكى، ثم تلا هذه الآية: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾[٢]. قال: وضربت عنقه على تلك الحال[٣].

● وعن أم إسحق بنت عيسى بن جعفر قالت: حضرتُ عيسى بن جعفر وهو يموت، فأُغمي عليه فخرجنا نصرخ، فأقبل صبّاح الطبري مولاه يُسَكِّننا، فأفاق فقال: دعهن. ثم قال متمثلاً:

قد كن يخبأن الوجوه تستراً فاليوم حين برزن للنظّارِ
يلطمن حُرّات الوجوه على فتىً سهل الخليقة طيب الأخبار[٤]

● وعن أبي حميدة قال: رأيت رجلاً غرق في نهر بَلْخ وهو يقول: ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾[٥]. حتى مات[٦].

● وعن زيد بن جدعان قال: حضر رجلاً من الأنصار الموتُ، قال لابنه: يا بني، إني موصيك بوصية فاحفظها عني، فإنك خليق ألا تحفظها على غيري: اتق الله، إن استطعت أن يكون اليوم خيراً منك أمس، وغداً خيراً منك اليوم؛ فافعل، وإياك والطمع، فإنه عدو حاضر، وعليك باليأس، فإنك لم تيأس من شيء إلا استغنيت عنه، وكل شيء يعتذر منه، فإنه لن يعتذر من خير، وإذا عثر عاثر من الناس فاحمد الله أن لا تكونه،

---

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ٣٠٦).
(٢) العنكبوت: ٢١.
(٣) «كتاب المحتضرين» (رقم ٣١٢).
(٤) «كتاب المحتضرين» (رقم ٣١٤)، وانظر: (رقم ٣١٥).
(٥) يسٓ: ٣٨.
(٦) «كتاب المحتضرين» (رقم ٣٢٠).

وإذا قمت إلى صلاتك فصل صلاة مودع وأنت ترى أنك لن تصلي بعدها أبداً[١].

● وعن عبد الله بن أبي نوح قال: دخلت بالشام على مريض أعوده، وكان يُذكر عنه خير، فقلت: كيف تجدك؟ قال: أجد الآخرة أقرب إلي من الدنيا، وغداً تقوم علي القيامة، وإني أستغفر الله من خللي وزللي. فلما كان الغد مات[٢].

● وعن إبراهيم بن عبد الرحمن قال: لما احتُضِر محمد بن عباد دخل عليه نفر من قومه كانوا يحسدونه، فلما خرجوا قال متمثلاً:

تمنَّى رجالٌ أن أموت فإن أمت ... فتلك سبيل لست فيها بأوْحَدِ
فما عَيْشُ مَنْ يبقى خلافي بضائري ... وما موت من يمضي أمامي بمُخَلِّدي
فقل للذي يبقى خلاف الذي مضى ... تهيّأ لأخرى مثلها فكأن قَدِ[٣]

● وعن أحمد بن مُعَذل قال: دخلت على أختي وهي مريضة فقلت: يا أخية، كيف تجدينك؟ قالت: أجدني ضعيفة ومولاي قويّ، وفي قوته ما يقوى به ضعفي، وأجدني فقيرة ومولاي غني، وفي غَنائه ما يُسَدّ به فقري[٤].

● وعن أبي إسحاق المروزي قال: احتُضِر رجل بالمدينة فقال: لا تغرنكم الدنيا فقد غرتني[٥].

● وقال العتبي: سئل أعرابي عن حاله عند موته، فقال: أجدني

---

(١) «كتاب المحتضرين» (رقم ٣٢١).
(٢) «كتاب المحتضرين» (رقم ٣٢٤).
(٣) «كتاب المحتضرين» (رقم ٣٣٠).
(٤) «كتاب المحتضرين» (رقم ٣٦٣).
(٥) «كتاب المحتضرين» (رقم ٣٦٨).

مأخوذاً بالثُّقْلة، محجوباً بالمُهْلة، أفارق ما جمعت، وأقدم على ما ضيّعت، فيا حيائي من كريم قدّم المعذرة، وأطال النَّظِرَة، إن لم يتداركني بالمغفرة. ثم قضى[(١)].

● واحتُضِر عابدٌ فقال: ما تأسفي على دار الأحزان والهموم والخطايا والذنوب، وإنما تأسفي على ليلة نمتها، ويوم أفطرته، وساعة غَفَلْت فيها عن ذكر الله[(٢)].

● وقيل لأعرابي في مرضه: ما الذي تجد؟ قال: أجد ما لا أشتهي، وأشتهي ما لا أجد[(٣)].

● وقيل لبعضهم وقد احتُضِر: أيّ شيء تشتكي؟ قال: تمام العِدّة، وانقضاء المُدّة[(٤)].

● وعن إسماعيل بن إبراهيم قال: أخذ هارون الرشيد زنديقاً فأمر بضرب عنقه، فقال له الزنديق: لم تضرب عنقي يا أمير المؤمنين؟ قال: أُريح العباد منك. قال: فأين أنت من ألف حديث وضعتها على رسول الله ﷺ، كلها ما فيها حرف نطق به رسول الله ﷺ. قال: فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحق الفزاري وعبد الله بن المبارك ينخلانها فيخرجانها حرفاً حرفاً؟![(٥)].

* * * *

---

(١) «زهر الآداب» (ص ١١٣١).
(٢) «ربيع الأبرار» (١ / ٦١).
(٣) «بهجة المجالس» (٣ / ٣٧٣).
(٤) «بهجة المجالس» (٣ / ٣٧٢).
(٥) «تاريخ ابن عساكر» (٧ / ١٢٧).

استدراك[1]

وصية نوح ﷺ عند الموت

عن عبد الله بن عمرو قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ، فجاء رجل من أهل البادية عليه جبّة سيجان[2]، حتى قام على رأس النبي ﷺ، فقال: إن صاحبكم قد وضع كل فارس (أو قال: يريد أن يضع كل فارس) ويرفع كل راع! فأخذ النبي ﷺ بمجامع جبّته فقال: «أَلَا أَرَى عَلَيْكَ لِبَاسَ مَنْ لَا يَعْقِلُ». ثم قال:

«إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحاً ﷺ لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الوَصِيَّةَ: آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ: آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كَفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كَفَّةٍ، لَرَجَحَتْ بِهِنَّ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ، وَالأَرْضِينَ السَّبْعَ، كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً، لَقَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ (وفي رواية: كَانَتَا حَلْقَةً فَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِمَا لَفَصَمَتْهَا ـ أَو لَقَصَمَتْهَا ـ)، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ؛ فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ كُلُّ شَيْءٍ. وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالكِبْرِ» الحديث[3].

* * * * * *

---

(١) موضع هذا الاستدراك من الكتاب قبل (صفحة ١٤).

(٢) جمع ساج، وهو الطيلسان الأخضر.

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (رقم ٥٤٨)، وأحمد (٢ / ١٦٩ - ١٧٠ و٢٢٥)، والرواية الثانية له، وغيرهما، وصحح إسناده الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١ / ١١٩)، وهو في «السلسلة الصحيحة» برقم (١٣٤).

خاتمـة

وبعد؛ أخي القارىء، فقد عرفت من أقوال المحتضرين عند الموت ما أثار في قلبك الخوف من أن تكون من الذين يختم لهم بالسوء، والرغبة في أن تكون من الذين يختم لهم بالحسنى، إنك لترجو عند الموت حيث الشدة الشديدة، والسكرة العظيمة، والآلام المتتابعة؛ أن يكون قولك: لا إله إلا الله.

إنك لتتمنى أن تقول كما قال فلان: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾.

أو كما قال غيره: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾.

أو كما قال الآخر: ﴿لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ﴾.

أو تتمنى أن يكون قولك: «رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً».

إنك صرت بعد مطالعة هذا الكتاب ـ إن شاء الله ـ تتمنى أن لا يختم لك بالحسرة على مفارقة شهوات الدنيا، والبكاء على زينتها الخسيسة، بل أمنيتك أن يكون حالك إن بكيت على شيء تفارقه؛ البكاء على قيام الليل، وصيام النهار، والجهاد في سبيل الله تعالى، وعلى مجالس العلم النافع والذكر لله تعالى.

هكذا فليكن حالك يا أخي قبل فوات الأوان، اجعل ذكر الموت على بالك لا تغفل عنه أبداً، واعلم أن نسيانك له وغفلتك عنه سبب لترك الطاعة، والوقوع في المعصية، والانهماك في حطام الدنيا الفاني، وبحسبه يكون التوغل في الدنيا والنسيان للآخرة، وعندها يقسو القلب ويعلوه الران، فلا تنجع فيه الموعظة، ولا تنفعه الذكرى، كما قال الله سبحانه:

﴿ ۞أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾.

فهذا تحذير شديد من طول الأمل الموجب لقسوة القلب الجالبة لكل شر.

هذا، والاستعداد للموت على وجهين، كما نبّه عليه ابن أسد رحمه الله:

قال: الاستعداد على وجهين:

أحدهما: واجب: وهو الذي تأسف على فواته النادمون عند الموت، وهو أن يتوب العبد توبة طاهرة عن الذنوب والخطايا، بأن لو قيل له: إنك تموت الساعة ما وجد عنده ذنباً يحتاج إلى التوبة منه فيسأل النظرة من أجله، فإن كان يجد عنده ذنباً يحتاج إلى التوبة منه فليس مستعداً للقاء ربه، لأنه لا يؤامر في إخراج روحه، والموت يأتيه بغتة، فإن جاءه الموت وذلك الذنب عنده لم يأمن أن يغضب الله عليه، وكيف يكون مستعداً للقاء الله مَنْ هو مقيم على ما يغضب الله، ولا يأمن أن يأتيه الموت وهو أغفل ما كان، والموت آتيه لا محالة.

فللخوف من لقاء الله على ما يكره بادر الخائفون بالتوبة قبل أن يسبقهم الموت إلى أرواحهم، فيحال بينهم وبين التوبة والإنابة إلى ربهم،

ويندمون ندماً لا يُقبل، ولا تُقال عثراتهم، فلذلك بادروا بالتوبة حذراً وإشفاقاً من بغتة الموت على غِرَّة، فهذا هو الاستعداد الذي أوجبه الله عز وجل على خلقه.

والوجه الثاني من الاستعداد هو نافلة: كبذل المجهود من القلب والبدن، وبذل ما يملك من الدنيا إلا ما كان أولى به حبسه، حتى لو قيل له: إنك تموت غداً ما كان عنده مستزاد في عمله.

فهذا الاستعداد يستحق الله عز وجل من خلقه أكثر منه، لأن حقه لا يُؤدَّى، ونعمته لا تُكافأ، وعظمته لا عِدْل لها.

ولن يبعث على الاستعداد للموت وقطع التسويف مثل قصر الأمل. اهـ.

فصل

ولقد حثنا رسول الله ﷺ على قصر الأمل في أحاديث كثيرة، منها:

ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«هٰذا ابْنُ آدَمَ، وَهٰذا أَجَلُهُ»، ووضع يده عند قفاه، ثم بسطها فقال: «وَثَمَّ أَمَلُهُ، وَثَمَّ أَمَلُهُ، وَثَمَّ أَمَلُهُ».

أخرجه الترمذي (٢٣٣٤) وغيره، وهو في «صحيح الجامع» برقم (٦٨٦٠)، وأخرجه البخاري في «صحيحه» (١١ / ٢٣٦ ـ فتح) من طريق أخرى عن أنس بن مالك قال: خط النبي ﷺ خطوطاً فقال:

«هٰذا الأَمَلُ، وَهٰذا أَجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إِذْ جَاءَهُ الخَطُّ الأَقْرَبُ».

وقيل لحكيم: ما أبعد الأشياء من الناس؟ قال: الأمل. فقيل: وما أقرب الأشياء منهم؟ فقال: الأجل.

وقيل: لو ظهرت الآجال لافتُضحت الآمال.

وقيل: يا بن آدم، لو رأيت ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك.

(فائدة): قال الإمام ابن الجوزي: إن لم تستطع قصر الأمل فاعمل عمل قصير الأمل، ولا تمس حتى تنظر فيما مضى من يومك، فإن رأيت زلة فامحها بتوبة، أو خرقاً فارقعه باستغفار، وإذا أصبحت فتأمل ما مضى في ليلك، وإياك والتسويف فإنه أكبر جنود إبليس.

وخــذ لــك منــك علــى مهلــةٍ ومُقْبــل عيشــك لــم يــدبــرِ
وخــف هجمــة لا تقيــل العثــار وتطوي الورود على المصدرِ
ومثّــل لنفســك أي الــرعيــل يضمـك فـي حلْبـة المحشـرِ

ثم صوّر لنفسك قصر العمر، وكثرة الأشغال، وقوة الندم على التفريط عند الموت، وطول الحسرة على البدار بعد الفوت.

وصوّر ثواب الكاملين وأنت ناقص، والمجتهدين وأنت متكاسل.

ولا تخل نفسك من موعظة تسمعها، وفكرة تحادثها بها، فإن النفس كالفرس المتشيطن، إن أهملت لجامه لم تأمن أن يرمي بك، وقد والله دنستك أهواؤك، وضيعت عمرك.

فالبدار البدار في الصيانة، قبل تلف الباقي بالصبابة، فكم تعرقل في فخ الهوى جناح حازم، وكم وقع في بئر بوارٍ مخمورٌ، ولا حول ولا قوة إلا بالله. اهـ.

وما أجمل ما نبه إليه حيث قال: من أظرف الأشياء إفاقة المحتضر عند موته، فإنه ينتبه انتباهاً لا يوصف، ويقلق قلقاً لا يُحد، ويتلهف على زمانه الماضي، ويود لو تُرِك كي يتدارك ما فاته، ويصدق في توبته، على مقدار يقينه بالموت، ويكاد يقتل نفسه قبل موتها بالأسف.

ولو وُجدت ذرة من تلك الأحوال في أوان العافية حصل كل مقصود من العمل بالتقوى.

فالعاقل مَن مثّل تلك الساعة، وعمل بمقتضى ذلك، فإن لم يتهيأ تصوير ذلك على حقيقته تخايله على قدر يقظته، فإنه يكف كف الهوى، ويبعث على الجد، فأما من كانت تلك الساعة نصب عينيه كان كالأسير لها. اهـ.

وعن قتادة قال: كان العلاء بن زياد يقول: لِيُنْزِلْ أحدكم نَفْسَهُ أنه قد حضره الموت، فاستقال ربه فأقاله، فليعمل بطاعة الله عز وجل.

وللإلبيري معبراً عن هذه الحال متوهماً نزول الموت قبل حلوله:

كأني بنفسي وهي في السَّكَراتِ ... تعالج أن ترقى إلى اللّهواتِ
وقد زُمّ رَحْلي واسْتَقَلَّتْ ركائبي ... وقد آذنتني بالرحيل حُداتي
إلى منزلٍ فيه عذابٌ ورحمةٌ ... وكمْ فيه من زَجْرٍ لنا وعِظَاتِ
ومِنْ أَعْيُنٍ سالتْ على وَجَناتها ... ومن أوْجُهٍ في التُرْبِ مُنْعَفِراتِ
ومِنْ واردٍ فيه على ما يَسُرُّهُ ... ومِنْ واردٍ فيه على الحسراتِ
ومِنْ عاثرٍ ما إن يُقالُ له لَعاً ... على ما عَهِدْنا قَبْلُ في العثراتِ
ومِنْ مَلِكٍ كان السُّرورُ مِهادَهُ ... مع الآنسات الخُرَّدِ الخَفِرَاتِ
غداً لا يَذُودُ الدُّودَ عن حُرِّ وجهِهِ ... وكان يَذُودُ الأُسْدَ في الأجَماتِ
وعُوِّضَ أُنْساً من ظباء كِناسِهِ ... وأرآمه بالرُّقْشِ والحشراتِ
وصار ببَطْنِ الأرض يَلْتَحِفُ الثَّرى ... وكان يَجُرُّ الوشْيَ والحَبَراتِ
ولم تُغْنِه أنصارُه وجنودُه ... ولم تحمه بالبيض والأَسَلاتِ
ومما شجاني والشّجون كثيرةٌ ... ذنوبٌ عِظامٌ أَسْبَلَتْ عَبَراتي

وأقلقنـي أنـي أمـوت مُفَـرِّطـاً على أنني خُلِّفْتُ بَعْدَ لِداتـي
وأغْفَلْـتُ أمـري بعـدهـم مُتَثَبِّطـاً فيـا عجبـاً منـي ومـن غَفَـلاتـي
إلى الله أشْكو جَهْل نَفْسي فإنها تميل إلى الرَّاحات والشهواتِ
ويـا رُبَّ خِـلٍّ كُنْـتُ ذا صِلَـةٍ لـه يرى أن دَفْني من أجلِّ صلاتي
وكنـت لـه أُنْسـاً وشمسـاً مُنِيـرةً فـأفْـرَدَنـي فـي وحْشَـةِ الظُّلُمـاتِ
سأضْرِبُ فُسْطاطي على عَسْكَرِ البِلى وأرْكُـزُ فيـه للنُّـزول قنـاتـي
وأركبُ ظهراً لا يؤوب براكبٍ ولا يُمْتَطـى إلا إلـى الهلكـاتِ
وليـس يُـرى إلا بسـاحـة ظـاعـنٍ إلى مَصْرَعِ الفرحات والترحاتِ
يُسَيِّـرُ أدْنـى النـاسِ سَيْـراً كَسَيْـرِهِ بـأرْفَـعِ مَنْعِـيٍّ مـن السَّـرَواتِ
فَطَوْراً تَراهُ يحمل الشُّمَّ والرُّبا وطَـوْراً تـراه يَحْمِـلُ الحَصَيـاتِ
ورُبَّ حصاةٍ قَدْرُها فَوْقَ يَذْبُلٍ كمَقْبول ما يُرْمى من الجمراتِ
وكـلُّ صغيـرٍ كـان للـه خـالصـاً يُرَبِّي على ما جاء في الصدقاتِ
وكـلُّ كبيـرٍ لا يكـون لـوجهـهِ فمِثْـلُ رمـادٍ طـار فـي الهبـواتِ
ولكنه يُرْجى لمن مات مُحْسِناً ويُخْشَى على من مات في غَمَراتِ
وما اليومَ يَمتازُ التفاضلُ بينهم ولكنْ غداً يَمتازُ في الدرجاتِ
إذا رُوِّعَ الخـاطـي وطـار فـؤادُهُ وأُفْـرِخَ رَوْعُ البَـرِّ فـي الغُـرُفـاتِ
ومـا يعـرف الإنسـانُ أيـن وفـاتُـهُ أفي البَرِّ أم في البحر أم بفَلاةِ
فيا إخوتي مهما شَهِدْتُم جنازتي فقوموا لربّي واسألوه نجاتي
وجِدُّوا ابْتِهالاً في الدُّعاءِ وأخلصوا لعـل إلهـي يَقْبَـلُ الـدَّعَـواتِ
وقولوا جميلاً إن علمتم خلافه وأغْضوا على ما كان من هَفَواتي
ولا تَصِفـونـي بـالـذي أنـا أهلـه فأشقى وحَلّوني بخير صفاتي

ولا تتناسَوني فقِدْماً ذكرتكم ... وواصلتكم بالبِرِّ طول حياتي
وبالرّغْمِ فارَقْتُ الأحِبَّةَ منكمُ ... ولمَّا تُفارِقْني بكم زَفَراتي
وإن كنتُ مَيْتاً بين أيديكم لقىً ... فرُوحِيَ حَيٌّ سامعٌ لنُعاتي(!)
أناجيكمُ وَحْياً وإن كُنْتُ صامِتاً ... ألا كلكم يوماً إليَّ سياتي
وليس يقوم الجسم إلا بروحهِ ... هو القُطْبُ والأعْضاءُ كالأدواتِ
ولا بُدَّ يوماً أن يَحُورَ بعَيْنِهِ ... ليُجْزَى على الطّاعاتِ والتَّبِعاتِ
وإلّا أكنْ أهلاً لفضلٍ ورحمةٍ ... فرَبِّيَ أهْلُ الفَضْلِ والرَّحَماتِ
فما زِلْتُ أرجو عفوه وجنانَهُ ... وأحْمَدُهُ في اليُسْرِ والأزَماتِ
وأسْجُدُ تعظيماً له وتذلُّلاً ... وأعبده في الجَهْرِ والخَلَواتِ
ولسْتُ بمُمْتَنٍّ عليه بطاعتي ... له المَنُّ بالتيسير للحسناتِ

وعن الحسن قال: دخل عامر بن عبد الله على رجل يعوده، فرآه كأنه جزع من الموت فقال: أتجزع من الموت؟ والله ما الموت فيما بعده إلا كركضة عَنْزٍ!

هذا، وبالله التوفيق، وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

وكتب
محمد شومان

* * * * *

فهرس الآيات التي قيلت عند الموت

* * * * *

فهرس الأعلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(ز)

(س)

(ش)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(م)

(ن)

(ي)

* * * * *

فهرس أهم مراجع الكتاب

أحكام الجنائز ـ الألباني .
أخبار القضاة ـ وكيع .
إرواء الغليل ـ الألباني .
الاستيعاب ـ ابن عبد البر .
أسد الغابة ـ ابن الأثير .
الإصابة ـ ابن حجر .
الأعلام ـ الزركلي .
الأعلام العلية ـ البزار .
الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني .
الأمالي ـ الزجاجي .
الأمالي ـ القالي .
الأنساب ـ السمعاني .
البداية والنهاية ـ ابن كثير .
بغية الوعاة ـ السيوطي .
بهجة المجالس ـ ابن عبد البر .
تاريخ الإسلام ـ الذهبي .
تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري .
تاريخ بغداد ـ الخطيب البغدادي .
تاريخ الثقات ـ العجلي .
تاريخ جرجان ـ السهمي .
تاريخ خليفة بن خياط .
تاريخ دمشق ـ ابن عساكر .
التبصرة ـ ابن الجوزي .
تجريد أسماء الصحابة ـ الذهبي .
تخريج المشكاة ـ الألباني .
تذكرة الحفاظ ـ الذهبي .
ترتيب المدارك ـ القاضي عياض .
التعازي والمراثي ـ المبرد .
تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير .
تقريب التهذيب ـ ابن حجر .
تلخيص المستدرك ـ الذهبي .
تنوير البصائر ـ مرعي الكرمي .
التهجد ـ الإشبيلي .
تهذيب الأسماء واللغات ـ النووي .
تهذيب التهذيب ـ ابن حجر .
تهذيب الكمال ـ المزي .
توضيح المشتبه ـ ابن ناصر الدين .
تيسير الكريم الرحمن ـ ابن سعدي .

الثبات عند الممات ـ ابن الجوزي .
جامع البيان ـ ابن جرير .
جامع المسانيد والسنن ـ ابن كثير .
جذوة المقتبس ـ ابن حزم .
الجرح والتعديل ـ ابن أبي حاتم .
الجواب الكافي ـ ابن القيم .
الجواهر المضية في طبقات الحنفية ـ محيي الدين القرشي .
حسن الظن بالله ـ ابن أبي الدنيا .
حلية الأولياء ـ أبو نعيم .
دول الإسلام ـ الذهبي .
ديوان أبي العتاهية .
ديوان الإلبيري .
ديوان لبيد .
الذيل على طبقات الحنابلة ـ ابن رجب .
ربيع الأبرار ـ الزمخشري .
الرعاية ـ المحاسبي .
زاد المعاد ـ ابن القيم .
الزهد ـ أحمد بن حنبل .
الزهد والرقائق ـ ابن المبارك .
زهر الآداب ـ القيرواني .
سرير المنايا ـ محمد شومان .
السلسلة الصحيحة ـ الألباني .
السلسلة الضعيفة ـ الألباني .
سنن ابن ماجه .
سنن أبي داود .
سنن الترمذي .
سنن النسائي .
سير أعلام النبلاء ـ الذهبي .
سيرة أحمد بن طولون ـ البلوي .
السيرة النبوية ـ ابن هشام .
شذرات الذهب ـ ابن العماد .
شرح صحيح مسلم ـ النووي .
الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة .
الشمائل المحمدية ـ الترمذي .
صحيح ابن حبان .
صحيح البخاري .
صحيح الجامع الصغير ـ الألباني .
صحيح سنن ابن ماجه ـ الألباني .
صحيح سنن أبي داود ـ الألباني .
صحيح سنن الترمذي ـ الألباني .
صحيح سنن النسائي ـ الألباني .
صحيح مسلم .
صفة الصفوة ـ ابن الجوزي .
صيد الخاطر ـ ابن الجوزي .
الضعفاء الكبير ـ العقيلي .
الطب الروحاني ـ ابن الجوزي .

طبقات الأولياء ـ ابن الملقن .
طبقات الحنابلة ـ محمد بن أبي يعلى .
طبقات الشافعية ـ ابن الصلاح .
طبقات الشافعية ـ ابن قاضي شهبة .
طبقات الشافعية الكبرى ـ السبكي .
طبقات الصوفية ـ السلمي .
طبقات علماء الحديث ـ ابن عبد الهادي .
طبقات الفقهاء ـ الشيرازي .
الطبقات الكبرى ـ ابن سعد .
طبقات المحدثين بأصبهان ـ أبو الشيخ .
العاقبة ـ الإشبيلي .
العقد الثمين ـ الفاسي .
العلل ومعرفة الرجال ـ أحمد بن حنبل .
عيون الأخبار ـ ابن قتيبة .
فتح الباري ـ ابن حجر .
فوات الوفيات ـ الكتبي .
الفوائد ـ ابن القيم .
قصر الأمل ـ ابن أبي الدنيا .
قيمة الزمن عند العلماء ـ أبو غدة .
الكامل ـ المبرد .
الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير .
الكامل في الضعفاء ـ ابن عدي .
كتاب المتمنين ـ ابن أبي الدنيا .
كتاب المحتضرين ـ ابن أبي الدنيا .
لباب الآداب ـ ابن منقذ .
لسان العرب ـ ابن منظور .
مجمع الزوائد ـ الهيثمي .
المجموع ـ النووي .
مجموع فتاوى شيخ الإسلام ـ ابن قاسم .
محاضرات الأدباء ـ الراغب الأصبهاني .
مختصر تاريخ دمشق ـ ابن منظور .
مختصر تفسير المنار ـ محمد رشيد رضا .
مختصر الشمائل المحمدية ـ الألباني .
مختصر صحيح مسلم ـ المنذري .
مدارج السالكين ـ ابن القيم .
مروج الذهب ـ المسعودي .
المستدرك ـ الحاكم .
المسند ـ أحمد بن حنبل .
مسند أبي يعلى الموصلي .
مسند الشاميين ـ الطبراني .
المشتبه في الرجال ـ الذهبي .
المصنف ـ ابن أبي شيبة .

المطالب العالية ـ ابن حجر .
معجم الأدباء ـ ياقوت الحموي .
معجم البلدان ـ ياقوت الحموي .
معجم الشعراء ـ المرزباني .
المعجم الكبير ـ الطبراني .
معجم المؤلفين ـ كحالة .
معرفة القراء الكبار ـ الذهبي .
المنتظم ـ ابن الجوزي .
الموطأ ـ مالك بن أنس .
ميزان الاعتدال ـ الذهبي .
النجوم الزاهرة ـ ابن تغري بردي .
نزهة الألباب ـ ابن حجر .
النهاية في غريب الحديث ـ ابن الأثير .
وصايا العلماء ـ الربعي .
وفيات الأعيان ـ ابن خلكان .

* * * * *

فهرس الموضوعات

* * * * *

التنضيد الإلكتروني والإخراج الفني : قسم الكمبيوتر في
دار الحسن للنشر والتوزيع
هاتف ٤٦٤٨٩٧٥ ـ فاكس ٤٦٤٨٩٧٥ ـ ص . ب ١٨٢٧٤٢ ـ عمان ١١١١٨ ـ الأردن